

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم



مجلة تأسيس العلوم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ

ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾

الأنعام ٣٨

## المشرف العام

د. محمود مهدي الشريف خالد

رئيس هيئة التحرير

د. كمال عبدالله أحمد المهلاوي

مدير التحرير

أ. شاهين الهادي إبراهيم محمد

التدقيق اللغوي

أ. عمر حسن سيد احمد جبريل

التصميم والإخراج الفني

الطبيب عمر رابع

هيئة التحرير

- |                                   |                                  |
|-----------------------------------|----------------------------------|
| ١- د. بربر سعد الدين السمانى بربر | ٢- محمد الفاتح زين العابدين احمد |
| ٣- د. محمد عثمان محمد نور علي     | ٤- د. رقية عبد الله الطيب الماحي |
| ٥- د. فوزية عمر محمد علي العوض    | ٦- د. مني محمد عوض يوسف          |
| ٧- د. فتح الرحمن عدلان موسى احمد  | ٨- أ. حامد أحمد عبد اللطيف محمد  |

## الهيئة الاستشارية

- |                                     |                               |
|-------------------------------------|-------------------------------|
| ١- أ. د. علي العوض عبد الله         | ٢- أ. د. الزبير بشير طه       |
| ٣- أ. د. إبراهيم احمد عمر           | ٤- أ. د. يوسف الخليفة أبوبكر  |
| ٥- أ. د. إسماعيل حسن حسين           | ٦- أ. د. احمد خالد بابكر      |
| ٧- أ. د. عبد الله الزبير عبد الرحيم | ٨- أ. د. علي الطاهر شرف الدين |
| ٩- أ. د. محمد الحسن بريمة           | ١٠- أ. د. عبدالله محمد النعيم |
| ١١- د. محمد حسب الله محمد علي       | ١٢- د. رحاب عبد الرحمن الشريف |

احمد

بسم الله الرحمن الرحيم

تحريرات وقف حمزة وهشام على الهمز من خلال كتاب "غيث النفع" للعلامة  
الصفاقسي

الباحث

د / شعيب إدريس إيما مايل المندلأوي<sup>■</sup>

■ أستاذ مساعد بجامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم - قسم القراءات.

## بسم الله الرحمن الرحيم

### ملخص البحث:

يهدف البحث إلى دراسة الأوجه المحررة في الوقف على الهمز لحمزة بن حبيب الزيات أحد القراء السبعة، وكذا هشام بن عمار عن ابن عامر الشامي من خلال كتاب (غيث النفع في القراءات السبع) للعلامة علي النوري الصفاقسي، مبيناً ماهيتها، والأوجه التي تجوز لهما وقفاً على الهمز بجميع أنواعه، المتطرف والمتوسط والمبتدأ به، وقد خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج والتوصيات تضمنتها الخاتمة.

الحمد لله الذي خلق الخلق بحكمته، ورفع السموات وخفض الأرض بقدرته، ذي العظمة والملكوت والعزة والجبروت، قهر الخلق بالموت، وهو حي لا يموت، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى الخليل المجتبي، المنزل عليه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وعلى آله وصحبه ومن تمسك بسنته إلى يوم الدين. وبعد.

فإن أشرف ما صرفت إليه الهمم، واعتنى به السلف والخلف، العيش مع كتاب الله تعالى قلباً وقالباً ظاهراً وباطناً تعليماً وتعلماً. يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»<sup>(١)</sup>.

ولما كان علم القراءات من العلوم التي شرفها الله تعالى؛ لتعلقها بكتابه، انصرفت همه الباحث لتناول جانب من جوانبها، فوقع الاختيار على علم التحريرات؛ ذلك العلم البحر الذي لا ساحل له، فكل من خاض فيه نال حظه من الدرر النفيسة والمعاني الجليلة.

ويعد علم التحريرات من العلوم المتشعبة، قلَّ من قام فيه بالواجب مما جعل بعضهم يأتي فيه بالعجائب وغرائب المسائل، مما دفعني لاختيار هذا الموضوع لِمَمَّ شتاته، وتبيين صحاحه من سقيمه على ما ورد في كتاب غيث النفع في القراءات السبع، وقد اتبعت في تناول هذا الموضوع منهجاً استقرائياً وصفيّاً تحليلياً، فأتت الدراسة على النحو الآتي:

---

(١) رواه البخاري في باب (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) ح/٥٠٢٧.

المبحث الأول : التعريف بالإمام حمزة ، وكذا هشام بن عمار، وعلي الصفاقسي.

المبحث الثاني : تعريف التحريرات ونشأتها وفوائدها .

المبحث الثالث : تحرير القول في الهمزة المتوسطة.

المبحث الرابع : تحرير القول في الهمزة المتطرفة لحمزة وهشام.

المبحث الخامس : تحرير القول في الساكن المفصول لحمزة.

المبحث الأول : التعريف بالإمام حمزة وكذا هشام والصفاقسي.

أولاً: التعريف بالإمام حمزة .

أ/ اسمه، وكنيته، ولقبه .

هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل ، أحد القراء السبعة ، وهو

إمام قدوة شيخ القراء بالكوفة ، ويكنى بأبي عمارة نسبة إلى جده عمارة ، وقيل: إن له ولداً يدعى عمارة فكني به ، وقد اتفقت المصادر التي ترجمت له على هذه الكنية ، ويعرف الإمام حمزة ويلقب بالزيات ؛ لأنه كان يجلب الزيت من العراق إلى حلوان ، ويجلب إلى الكوفة الجبن والجوز<sup>(١)</sup> .

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراء ، لابن الجزري ، بتحقيق ج/برجستراسر، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/٣ ، سنة ١٩٨٢م ، ١/٢٦١ - ٢٦٣ . ومعرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للإمام الحافظ محمد بن أحمد الذهبي ، بتحقيق محمد حسن محمد ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط/١ ، سنة ١٩٩٧م ، ص:٦٦ - ٧١ .

ولد الإمام حمزة سنة ثمانين للهجرة النبوية، قال ابن الجزري: "ولد سنة ثمانين وأدرك الصحابة بالسن، فيحتمل أن يكون رأى بعضهم"<sup>(١)</sup>، فيكون بذلك من التابعين. وقال صاحب غاية الاختصار: "بلغني أن حمزة ولد سنة ثمانين في أيام عبد الملك بن مروان"<sup>(٢)</sup>.

والذي يؤكد أن تاريخ مولد الإمام حمزة كان سنة ثمانين قول سليم الذي قرأ على حمزة، وهو من أجل أصحابه: "سمعت حمزة يقول ولدت سنة ثمانين وأحكمت القراءة ولي خمس عشرة سنة"<sup>(٣)</sup>.

أما عن نشأة الإمام حمزة فلم تسعفني المصادر التي ترجمت له بشيء من ذلك، ولم تتحدث عن الوسط الذي عاش فيه حمزة وأحاط به، ولكن أستطيع القول إن حمزة نشأ نشأة متوسطة بين أسرة لم تكن ثرية، فقد كان يتاجر بنفسه في بيع الزيت والجبن بين الكوفة والعراق وحلوان، وهو مصدره الأساسي في العيش، ولما مات كان عليه دين نحو ألف درهم. وعن ورعه يقول الشاطبي:

وَحَمَزَةُ مَا أَزْكَاهُ مِنْ مُتَوَرِّعٍ      إِمَاماً صَبُوراً لِلْقُرْآنِ مُرْتَبِلاً<sup>(٤)</sup>

(١) غاية النهاية لابن الجزري ٢٦١/١.

(٢) غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار لأبي العلاء الحسن بن أحمد الهمداني، بتحقيق أشرف محمد فؤاد طلعت، طبعة الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، ط/١، سنة ١٩٩٤م، ٦١/١.

(٣) معرفة القراء الكبار للذهبي ص: ٧١.

(٤) متن الشاطبية المسمى حرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع، للقاسم



ج/ شيوخه وتلاميذه:

قرأ حمزة على ثلثة من الشيوخ والعلماء في عصره منهم<sup>(١)</sup> :-

١- سليمان الأعمش .

٢- حمران بن أعين.

٣- أبو إسحاق السبيعي .

٤- محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى.

٥- طلحة بن مصرف.

٦- مغيرة بن مقسم.

٧- جعفر بن محمد بن الصادق .

ومن خلال النظر في شيوخ حمزة أستطيع القول كذلك بأن حمزة تعددت وجوهه في القراءة ، ففي سنده يوجد عبد الله بن مسعود ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، وكلا الصحابييين لا شك يخالف الآخر في القراءة ، واختار حمزة بعد ذلك لنفسه مقراً قرأ به عن شيوخه فأخذ عنه فيما بعد ونسب إليه.

د/ تلاميذه:

---

بن فيره بن خلف الأندلسي ، بتحقيق محمد تميم الزعبي ، طبعة دار الفوثاني

، ط/ ٥، سنة ٢٠١٠م ، البيت رقم (٣٧).

(١) غاية النهاية لابن الجزري ١/٢٦١-٢٦٢.

وقد روى القراءة عن حمزة خلق كثير ، ومن أشهر من روى عنه.<sup>(١)</sup>

١- سليم بن عيسى بن عامر وهو من أجل أصحابه ، وفيه يقول الشاطبي :

**روى خلفه عنه وخلاص الذي رواه سليم متقناً ومملاً<sup>(٢)</sup>**

٢- علي بن حمزة الكسائي ، وهو أحد القراء السبعة .

٣- عبد الرحمن بن أبي حماد .

٤- الحسن بن عطية .

٥- عبد الله بن صالح العجلي .

٦- محمد بن فضيل الضبي .

هـ/ثناء العلماء عليه وتوثيقهم له :

أثنى عليه ووثقه جمع من العلماء لما ثبت عندهم من حجته وعدالته وورعه وزهده في الدنيا . قال الإمام أبو حنيفة لحمزة : " شيئان غلبتا عليهما لسنا ننازعك فيهما : القراءان والفرائض"<sup>(٣)</sup> ، وأكد هذا سفيان الثوري بقوله : " غلب حمزة الناس على القراءان والفرائض"<sup>(٤)</sup> .

---

(١) المصدر السابق ١/٢٦٢-٢٦٣ .

(٢) الشاطبية البيت رقم (٣٨) .

(٣) معرفة القراء الكبار للذهبي ص: ٦٨ .

(٤) المصدر السابق ص: ٦٨ . وطبقات القراء السبعة لأمين الدين أبي محمد عبد

وما أعظمها من شهادة، صدرت من علماء عدول ضابطين للكتاب والسنة، وهل هناك أفضل من أن يكون المرء رأساً للناس في القرآن، الذي فضله الله على سائر الكتب المنزلة، وعلم المواريث الذي تفقده الأمة الإسلامية حتى لا يكاد يوجد في الأرض بسبب قلة عالميه ومتخصصيه.

وكان الأعمش إذا رأى حمزة مقبلاً قال: ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾

[الحج: ٣٤]

هذا حبر القرآن<sup>(١)</sup>. وقال أبو الحسن العجلي: "ثقة رجل صالح صاحب سنة"<sup>(٢)</sup>. وهناك شهادات كثيرة شهدها له العلماء غير ما أوردت تركتها خشية الإطالة وضيق المقام.

وفاته:

---

الوهاب بن السلار، بتحقيق أحمد محمد عزوز، طبعة المكتبة العصرية - بيروت - ط/١، سنة ٢٠٠٣م، ص: ١٧١.

(١) اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة لعبد الله محمد بن الحسن الفاسي، بتحقيق جمال الدين محمد شرف، نشر/دار الصحابة للتراث بطنطا / ٦٢/١.

(٢) معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم لأبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي بتحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي الناشر: مكتبة الدار - المدينة المنورة - الطبعة: الأولى، ١٩٨٥م، ٣٢٢/١.

توفى الإمام حمزة سنة ست وخمسين ومائة للهجرة النبوية<sup>(١)</sup>، ونقل الذهبي أنه مات سنة ست وخمسين ومائة، وقال صاحب العقد النضيد: إنه توفى سنة أربع أو ثمان وخمسين ومائة بحلول<sup>(٢)</sup>.

ثانياً التعريف بهشام بن عمار وأبي الإمام ابن عمار .

أ- اسمه وكنيته:

هو: هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة، ويكنى أبا الوليد السلمي، وينسب إلى دمشق، وهو إمامها وخطيبها ومقرئها ومحدثها ومفتيها<sup>(٣)</sup>.

ب/ مولده.

ولد هشام سنة ثلاث وخمسين ومائة في أيام المنصور<sup>(٤)</sup>.

ج/ شيوخه:

قرأ هشام على<sup>(٥)</sup> :

---

(١) غاية النهاية لابن الجزري ١/٢٦٣.

(٢) العقد النضيد في شرح القصيد للسمين الحلبي، بتحقيق أيمن رشدي سويد، طبعة دار نور المكتبات بجدة، ط/١، سنة ٢٠٠١م، ١/١٣٦. معرفة القراء الكبار للذهبي ص: ٧٢.

(٣) اللآلئ الفريدة للفاسي ١/٥٦. والعقد النضيد للسمين الحلبي ١/١٢١. وغاية النهاية لابن الجزري ٢/٣٥٤.

(٤) غاية النهاية لابن الجزري ٢/٣٥٤.

(٥) معرفة القراء الكبار للذهبي ص: ١١٥ - ١١٦. وغاية النهاية لابن الجزري

١- عراق .

٢- أيوب بن تميم.

وهما من أصحاب يحيى الذماري .

٣- سويد بن عبد العزيز .

٤- الوليد بن مسلم .

٥- صدقة بن خالد.

٦- ومدرك بن أبي سعد وغيرهم .

وروى الحديث عن مالك بن أنس وسفيان بن عيينة ومسلم بن خالد وغيرهم خلق

كثير.<sup>(١)</sup>

د/ تلاميذه.

روى عنه<sup>(٢)</sup>

١- روى القراءة عنه أبو عبيد القاسم بن سلام ، وهو مشهور لقيه قبل وفاته

بأربعين سنة مما يدل على طول ملازمته له.

٢- أحمد بن يزيد الحلواني .

---

٣٥٥ - ٣٥٤/٢

(١) معرفة القراء الكبار للذهبي ص: ١١٦.

(٢) غاية النهاية لابن الجزري ٣٥٤/٢ - ٣٥٥.

٣- هارون بن موسى الأخفش.

٤- عبد الصمد بن عبد الله بن عبد الصمد.

٥- الوليد بن مسلم ومحمد بن شعيب وهما من شيوخه .

وروى عنه البخاري في صحيحه وأبو داود والنسائي وابن ماجه في سننهم<sup>(١)</sup>.

هـ/ صفاته.

كان من أفصح الناس لهجة علامة واسع الرواية خطيباً مفوهاً مع الزهد والورع ، وعمراً طويلاً مع صحة العقل والرأي<sup>(٢)</sup>.

و/ توثيق العلماء له وثناؤهم عليه.

قال العجلي "ثقة صدوق" ، وقال النسائي: "لا بأس به" ، وقال الدار قطني : "صدوق كبير المحل" ، وقال أبو زرعة : "من فاته هشام بن عمار يحتاج أن ينزل في عشرة آلاف حديث" ، وقال أحمد بن أبي الحواري : "إذا حدثت في بلد فيها مثل أبي الوليد هشام بن عمار فيجب للحيتي أن تحلق"<sup>(٣)</sup>.

وفاته:

---

(١) غاية النهاية لابن الجزري ٣٥٥/٢.

(٢) المصدر السابق ٣٥٥/٢.

(٣) معرفة الثقات للعجلي ٣٣٢/٢.

قال البخاري: توفي هشام بن عمار في محرم سنة خمس وأربعين ومائتين. وقال ابن الجزري بعد أن نقل قول البخاري آنف الذكر: وقيل سنة أربع وأربعين.<sup>(١)</sup>

ثالثاً: التعريف بالعلامة المحقق علي بن محمد الصفاقسي:

هو: العلامة علي بن محمد بن سالم يُكنى أبو الحسن، من أهل صفاقس ، رحل في طلب العلم إلى تونس والمشرق ، وأخذ عن ثلة من العلماء ، وعاد إلى بلده ، وصنف مؤلفات جليلة منها : "غيث النفع في القراءات السبع" ، وهو الذي نحن بصدد دراسة التحريرات فيه ، وكذلك كتاب "تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين" ، وهو كتاب جيد في علم التجويد لم يصنف مثله أفاد فيه وأجاد ، وله كذلك مؤلفات في العقيدة والمناسك<sup>(٢)</sup> .

المبحث الثاني : تعريف التحريرات ونشأتها وفوائدها .

يقال حرر الله رقبته ، وحرره لأمر كذا وكذا أي أفرد له لا يشغله بغيره

---

(١) التاريخ الأوسط لمحمد بن إسماعيل البخاري ، بتحقيق: محمود إبراهيم

زايد، الناشر: دار الوعي ، مكتبة دار التراث - حلب ، القاهرة

ط/١، سنة ١٩٧٧م، ٣٨٢/٢. غاية النهاية لابن الجزري ٣٥٥/٢. والإقناع في

القراءات السبع لأبي جعفر أحمد بن علي الأنصاري ، بتحقيق أحمد فريد ، طبعة

دار الكتب العلمية - بيروت - ط/١، سنة ١٩٩٩م، ص: ٦١.

(٢) الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي

، الناشر: دار العلم للملايين، ط/١٥، سنة ٢٠٠٢ م، ١٤/٥.

والمحرر: المحبر من الكتاب<sup>(١)</sup>. ويقال حرر هذا الموضوع بمعنى بينه وأوضحه<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا يتضح لنا أن معنى التحرير في اللغة هو: البيان والإيضاح لما أشكل أو أبهم، وتمييز الشيء عن الآخر حتى لا يقع الخلف والتصادم بين الشئيين، وكذلك هو إمعان النظر في الشيء والإتيان به من غير زيادة ولا نقصان.

وأما التحرير في علم القراءات فهو تنقيحها وتهذيبها حتى لا يقع الخطأ في أي وجه من وجوهها، ولا يحصل التركيب والتلفيق بين الطرق. يقول ابن الجزري: "وَفَائِدَةٌ مَا عَيَّنَّاهُ وَفَصَّلْنَاهُ مِنَ الطَّرِيقِ وَذَكَرْنَاهُ مِنَ الكُتُبِ هُوَ عَدَمُ التَّرْكِيبِ فَيَأْتِيهَا إِذَا مَيَّزْتَ (وَبُنِيَتْ) (\*) ارْتَفَعَ ذَلِكَ وَاللَّهُ الْمُؤَفَّقُ"<sup>(٣)</sup>.

---

(١) معجم ديوان الأدب لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، بتحقيق: أحمد مختار عمر، طبعة: مؤسسة دار الشعب - القاهرة، سنة ٢٠٠٣ م، ٣، ١٦٩.

(٢) المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده بتحقيق: عبد الحميد هندراوي، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط/١، سنة ٢٠٠٠ م، ٦، ٥٦٢.

(\*) الكلمة التي بين قوسين هكذا في الأصل لعل المقصود والله أعلم بينت من التبيين فالسياق يقتضي ذلك .

(٣) النشر في القراءات العشر لابن الجزري بتحقيق زكريا عميرات، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان - ط/٢، سنة ٢٠٠٢ م، ١، ١٥٢.



أما عن نشأة علم التحريرات فهو قديم المنشأ يرجع إلى القرون الأولى ذكروا طرفاً منه في ثنايا كتبهم كالداني والهدلي وابن الجزري، فقد اهتم به سلفنا وسلموا بذلك من التركيب، وهو يعتبر كعلم المصطلح للحديث، فكما أن للحديث رواته وأسانيده فكذلك القراءات، لها رواتها وأسانيدها وطرقها، وهي أقدم زماناً من علم مصطلح الحديث. ومن العلماء الذين اهتموا بهذا العلم قديماً الإمام أبو عمرو الداني في كتابه "جامع البيان"، والإمام الهدلي في كتابه "الكامل"، وغيرهم كثيرون، حتى جاء خاتمة المحققين ومحطة المسندين وإمام الدنيا في القراءات، الإمام ابن الجزري فحقق وحرر الوجوه، وبين الطرق. وهما هو يقول في منظومته الطيبة :

وهذه الرواة عنهم طرق أصحها في نشرنا يحقق

بأثنين في اثنين وإلا أربع فهي زها ألف طريق تجمع<sup>(١)</sup>

ثم تتابع التأليف بعد ذلك في هذا العلم بياناً وإيضاحاً لمجمله ومشكله إلى عصرنا الحاضر. وممن اهتم به حديثاً وألف فيه:

١- الشيخ المنصور (١١٣٤هـ) ألف كتاب "تحرير الطرق والروايات في القراءات

٢- الشيخ مصطفى الميهي كان حياً سنة (١٢٢٩هـ) ألف كتاب "فتح الكريم

الرحمن في تحرير أوجه القرآن".

(١) طيبة النشر في القراءات العشر للإمام الحافظ محمد بن محمد بن الجزري

، بتحقيق محمد تميم الزعبي ط/مكتبة دار الهدى بجدة ، سنة ١٩٩٤م،

البيت رقم (٣٤ - ٣٥).

٣- الشيخ محمد بن محمد بن خليل، المعروف بالطباخ له نظم "هبة الرحمن في تحرير أوجه القرآن".

٤- الشيخ محمد هلال الأبياري، كان حيا سنة (١٣٣٤هـ)، له كتاب "غيث الرحمن شرح هبة المنان في تحرير أوجه القرآن".

٥- ومن العلماء الذين اهتموا بهذا العلم وحرروا فيه العلامة علي الصفاقسي الذي نحن بصدد دراسة تحرير وقف حمزة وهشام على الهمز من خلال كتابه الموسوم بـ "غيث النفع في القراءات السبع"، فقد اهتم بعلم التحرير فيه أيما اهتمام وأولاه عناية فائقة، وأفرغ فيه جهداً كبيراً نفع الله به الأمة.

وعلماء القراءات عموماً قد اهتموا بهذا الجانب من القراءات، وأوجبوا العمل به والرجوع إليه قديماً وحديثاً، حتى لا يقع الخلط وتركب الوجوه، ويقرأ المرء بما لا يجوز القراءة به.

### المبحث الثالث

#### تحرير القول في الهمزة المتوسطة

١- مستهزئون:

قال الصفاقسي: "مستهزئون إذا وقف عليه ففيه لحمزة ستة أوجه، والصحيح منها ثلاثة: أحدها: تسهيل الهمزة بينها وبين الواو على مذهب سيبويه عملاً بقوله: وفي غير هذا بين بين. الثاني: إبدال الهمزة ياء محضة عملاً بقوله: والأخفش

بعد الكسر ذا الضمّ أبدياً بياء الثالث: حذف الهمزة مع ضم الزاي عملاً بقوله:  
ومستهزؤون الحذف فيه ونحوه وضم.<sup>(١)</sup>

هذه الوجوه الثلاثة التي ذكرها المؤلف هي التي عليها المحققون، ولا يجوز  
سواها حال التلاوة بحال من الأحوال، وعليها استقر العمل رواية وأداءً، وقد  
ذكر صاحب الفتح الرباني أن الوجوه في (مستهزؤون) حال الوقف عليها خمسة  
ما بين مستعمل ومتروك<sup>(٢)</sup>.

والخمس منها ثلاثة صحيحة وهي التي سلف ذكرها، والوجهان الآخران  
متروكان، والوجه الأول المتروك هو تسهيل الهمزة بينها وبين الياء إذا كانت  
مضمومة وسبقت بكسرة، وهو مخالف للقياس لأن الهمزة تكون حينئذ سهلت  
من جنس حركة ما قبلها؛ والقياس أن تسهل الهمزة من جنس حركتها، وقد  
بين الإمام الشاطبي ذلك بقوله :

بِيَاءٍ وَعَنْهُ الْوَاوُ فِي سِيبِهِ وَمَنْ حَكَى فِيهِمَا كَأَيُّهَا وَكَالْوَاوِ أَعْضَلًا<sup>(٣)</sup>

---

(١) غيث النفع في القراءات السبع للمحقق على النوري الصفاقسي بتحقيق جمال  
الدين محمد شرف، طبعة دار الصحابة بطنطا، سنة ٢٠٠٤م، ص: ٤٩.

(٢) الفتح الرباني في القراءات السبع من طريق حرز الأمانى لمحمد البيومي  
الشهير بأبي عياشة، بتحقيق عبد العزيز بن ناصر، طبعة جامعة الإمام  
محمد بن سعود الإسلامية، ط/١، ص: ٦٦.

(٣) حرز الأمانى ووجه التهاني، البيت رقم (٢٤٥ - ٢٤٦).

والوجه الثاني المتروك هو بقاء الكسرة بعد حذف الهمزة، وهو الوجه الذي حكم عليه الشاطبي بالإخمال حيث قال :

وَمُسْتَهْزِءُونَ الْخَدْفُ فِيهِ وَنَحْوُهُ      وَضَمٌّ وَكَسْرٌ قَبْلُ قَيْلٍ وَأَخْمِلًا<sup>(١)</sup>

وسبب منع هذا الوجه وعدم جوازه؛ لأنه ليس في كلام العرب واو ساكنة قبلها كسرة ، وما كان من نحو هذا أبدلوه كما في كلمة (ميرَآن) وما شابهها فأصلها (مِوَرَانٌ) بواو ساكنة مسبوقه بكسرة على الميم فأبدلوا الواو ياء لتتناسب الكسرة قبلها<sup>(٢)</sup>.

وقد فهم بعضهم قول الشاطبي على غير ما أراد. ، فحكم على الوجهين بالإخمال، فألحق الجائز بالمنوع، وسبب ذلك هي الألف التي في آخر قول الشاطبي (أخملا) ، هل الألف هنا للتثنية أم للإطلاق ؟، فحملها بعضهم للتثنية فمنعوا الوجهين وحكموا عليهما بالإخمال ، منهم العلامة أبو الحسن السخاوي تلميذ الشاطبي ، وتابعه على ذلك الفاسي في شرحه على الشاطبية، وما فهمه السخاوي ومن تابعه عند المحققين خطأ ، لو أنه أراد التثنية لقال ( قَيْلا وأخملا ) ، ولكنه لما قال : (قيل وأخملا ) فحملت الألف على معنى الإطلاق.

---

(١) متن الشاطبية البيت رقم (٢٤٧).

(٢) شذا العرف في فن الصرف لأحمد بن محمد الحملاني بتحقيق نصر الله عبد الرحمن نصر الله، الناشر: مكتبة الرشد الرياض ، ص: ١٣٠.

وروى محمد بن سعيد البزّار عن خلّاد عن سليم عن حمزة أنه كان يقف على ( مستهزءون ) بغير همز وبضم الزاي<sup>(١)</sup>، والحق أن الوجوه في مستهزءون وما شابهها خمسة كما ذكرها الدمهوري خلافاً للصفاقسي، وقد أثبت الصفاقسي ذلك في موضع آخر عند الكلام على ( متكئون )، فقال: بعد أن ذكر الوجوه الثلاثة الجائزة "وحكي فيه التسهيل بين الهمزة والياء، وإبدالها واواً وحذف الهمزة مع كسر الكاف وكله لا يصح"<sup>(٢)</sup>.

وقد ذهب بعض الأئمة كذلك إلى إلغاء وجه الأخفش الذي يبدل فيه الهمزة ياء، منهم أبو الحسن طاهر بن غلبون، ولكن خولف في ذلك وقد أجازه أبو الفتح فارس، قال ابن الجزري: " وَالَّذِي رَأَيْتُهُ أَنَا فِي كِتَابِ "مَعَانِي الْقُرْآنِ" أَنَّهُ لَا يُجِيزُ ذَلِكَ إِلَّا إِذَا كَانَتِ الْهَمْزَةُ لَامَ الْفِعْلِ نَحْوُ (سُنْقَرِيكَ، وَاللُّوْلُو)، وَأَمَّا إِذَا كَانَتْ عَيْنَ الْفِعْلِ نَحْوُ (سُئِلَ) أَوْ مِنْ مُنْفَصِلٍ نَحْوُ (يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ، وَيَشَاءُ إِلَى) فَإِنَّهُ يُسَهِّلُهَا بَيْنَ بَيْنٍ كَمَدَّهَبٍ سَيِّبِيهِ، وَالَّذِي يَحْكِيهِ عَنْهُ الْقُرَّاءُ وَالنُّحَاةُ إِطْلَاقُ الْإِبْدَالِ فِي التَّوَعِينِ"<sup>(٣)</sup>.

وينبغي أن يراعى وجه تثليث المد العارض عند الوقف على مستهزءون ونظائرها لحمزة عند جميع الوجوه.

---

(١) جامع البيان في القراءات السبع المشهورة لأبي عمرو الداني، بتحقيق محمد صدوق الجزائري، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت، ط/١، سنة ٢٠٠٥م، ص: ٢٥٨.

(٢) غيث النفع للصفاقسي ص: ٤٣٤.

(٣) النشر لابن الجزري ١/٣٤٣ - ٣٤٤.

٢- خاسئين :

قال الصفاقسي: " خاسيئينَ فيه إن وقف عليه لحمزة وجهان: تسهيل همزة

بين بين وحذفها، وهو المختار عن الآخذين باتباع الرسم، وحكي فيها وجه

ثالث، وهو إبدال الهمزة ياء وهو ضعيف"<sup>(١)</sup>.

الوجه الأول الذي ذكره المؤلف هو تسهيل الهمزة بين بين هو من باب القياس،

وفيه أن الهمزة لو كانت متحركة وتحرك ما قبلها فإنها تسهل بين بين، قال

الشاطبي :

ويسمع بعد الكسر والضم همزة لدى فتحه ياء وواواً محولاً

وفي غير هذا بين بثله<sup>(٢)</sup>

ويقول ابن الجزري :

وبعد كسرة وأبـدلاً إن فتحت ياءً وواواً مسجلاً

وغير هذا بين بين ونقل<sup>(٣)</sup>

---

(١) غيث النفع ص: ٦٩.

(٢) الشاطبية البيت رقم (٢٤١ - ٢٤٢).

(٣) متن طيبة النشر في القراءات العشر، لمحمد بن محمد الجزري، بتحقيق

محمد تميم الزعبي طبعة مكتبة دار الهدى، ط/١، سنة ١٩٩٤م، البيت رقم

(٢٤٥ - ٢٤٦).

والوجه الثاني : هو إتباع الرسم في التسهيل ، فالهمزة إذا كانت صورتها ياء تبدل ياءً ، وإن كانت صورتها واواً تبدل واواً ، وإذا لم تكن لها صورة تحذف ، وهنا الهمزة ليست لها صورة ، فحذفت عملاً بقول الشاطبي:

وقد رووا أنه بالخط كان مسهلاً .....

ففي الياء يلي والواو والحذف رسمه<sup>(١)</sup> .....

والوجه الثالث ضعيف كما بينه المؤلف ، وهو إبدال الهمزة ياء ، ولو قرئ به تكون قد خرجت بذلك الهمزة من القياس على حسب القاعدة.

٣- بارئكم :

قال المؤلف : " فإن وقف عليه لحمزة ولا وقف عليهما . وقيل على الثاني

كاف ففيه وجه واحد وهو تسهيل همزه بين بين وإبداله ياء محضة ضعيف لا يقرأ به"<sup>(٢)</sup> .

وتسهيل الهمزة كما ذكره المؤلف هو الوجه الصحيح الذي يُقرأ به؛ لأن

هذه الهمزة متحركة بعد متحرك ، وفيها وما مائلها التسهيل بين بين عملاً بقول ابن الجزري :

..... وغير هذا بين بين ونقل<sup>(٣)</sup>

---

(١) الشاطبية البيت رقم (٢٤٤ - ٢٤٥).

(٢) غيث النفع ص: ٦٧.

(٣) متن الطيبة البيت رقم (٢٤٥ - ٢٤٦).

والوجه الثاني ضعيف؛ لأنه لم يرد عن أحد من الأئمة المعتبرين؛ لأن إبدال الهمزات التي رسمت على الياء في المذهب الرسمي موقوف على السماع والرواية ، فليس كل الهمزات التي رسمت على ياء تبدل ياءً ، وليس كل الهمزات التي ترسم واواً تبدل واواً ، وليس كل الهمزات التي ليس لها صورة تحذف من الرسم ، فإنما ذلك موقوف على السماع وصحة الرواية ، فلذا ضعف هذا الوجه ؛لأنه لم ينقله أحد من الأئمة.

٤- شيئاً ، شيء ، شيء ، السوء ، السوء..

قال المؤلف : "شيئاً" إذا وقف عليه لحمزة فيه وجهان: نقل حركة الهمزة إلى الياء فتصير ياء مفتوحة بعدها ألف ، والثاني: تشديد الياء<sup>(١)</sup>

هذا مما سكنت فيه الياء والواو قبل الهمزة ، وهما أصليتان ، ففيه

لحمزة وقفاً النقل عملاً بقول الشاطبي - رحمه الله - :

وَحَرَّكَ بِهِ مَا قَبْلَهُ مَسَكْنَا      وَأَسْقَطَهُ حَتَّى يَرْجِعَ اللَّفْظُ أَسْهَلًا<sup>(٢)</sup>

والوجه الثاني فيه إبدال الهمزة من جنس الحرف الذي سكن قبلها ، واواً كان أو ياء ، ثم إدغام ما قبلها فيها ، فيصير اللفظ بياء مشددة إن كان قبلها ياء أو واو مشددة إن كان قبلها واو ، وفيه يقول الشاطبي :

وَمَا وَاوٌ أَصْلِيٌّ تَسَكَّنَ قَبْلَهُ      أَوْ الْيَاءُ فَعَنْ بَعْضٍ بِالِادْغَامِ حُمَلًا<sup>(٣)</sup>

(١) غيث النفع ص: ٦٦.

(٢) الشاطبية البيت رقم (٢٣٧).

(٣) الشاطبية البيت رقم (٢٥١).



وهذا الحكم جار على هذه الكلمة ونظيراتها مثل شيء<sup>١</sup> ، شيء<sup>٢</sup>، السوء<sup>٣</sup> ، السوء<sup>٤</sup>.

وكلمة ( شيء<sup>١</sup> )، ( شيء<sup>٢</sup> )، ( السوء<sup>٣</sup> )، ( السوء<sup>٤</sup> ) حال الرفع والجر ففيهما وجوه<sup>٥</sup> آخر غير الوجهين السابقين، فإنه حال النقل يصبح النطق بياء ساكنة ، ولكن السكون الموقوف عليه ليس هو الذي بنيت عليه الكلمة ، وإنما جيء به لأجل الوقف ، ولك بعد هذا أن تقرأ بالإشمام أو الروم حال الرفع وبالروم حال الجر ، ولا يقال إن الحركة هنا عارضة؛ لأن الحركات التي تنقل من حرف محذوف من ذات الكلمة هي جزء من الكلمة ، وتصبح كحركة الإعراب والبناء في أواخر الكلمات ، ولا يشملها المنع من الروم والإشمام في قول الشاطبي :

وَفِي هَاءِ تَأْنِيثٍ وَمِيمٍ الْجَمِيعِ قُلْ وَعَارِضٍ شَكْلٍ لَمْ يَكُونَا لِيَدْخُلَا (١)

وهذان الوجهان أعني - الروم والإشمام - جائزان كذلك حال الإدغام

في مثل هذه الكلمات فتصير الوجوه حال الرفع ستة وحال الجر أربعة؛ لأن الإشمام لا يدخل في المجرورات. وقد جمع العلامة المرادي هذه الوجوه فقال :

نقل وإدغام بغير منازع	في شيء المرفوع ستة أوجه
والحذف مندرج فليس بسابع	كلاهما معه ثلاثة أوجه
إشمامه فامنع لأمر مانع <sup>(٦)</sup>	ويجوز في مجروره هذا سوى

(١) الشاطبية البيت رقم (٣٧٣).

(٢) غيث النفع ص: ٧٨ - ٧٩.

وقد نبه العلامة الصفاقسي هنا إلى لطيفة ، قلّ من تعرض لها من المؤلفين ، وهي أن ( شيء ) حال الوقف عليها بالروم لا بد من حذف تنوينها ، ويكون النطق بكسرة واحدة حال الجر وبضمة واحدة حال الرفع .<sup>(١)</sup>

وكذلك ينبغي الإشارة هنا إلى أنه لا بد من بيان تشديد الياء حال الوقف على مثل هذه الكلمات حال الإدغام؛ لأن كثيراً من الناس يغفل عن ذلك ويقراء بياء واحدة غير مشددة لصعوبة ذلك على اللسان ، ولا يتمكن المرء من هذا إلا بالمران وترويض اللسان .

٥- رثياً :

قال الصفاقسي: " فلو وقف ففيه لحمزة وجهان صحيحان رجح كل منهما أولهما: إبدال الهمزة ياء من غير إدغام، الثاني: الإبدال مع الإدغام"<sup>(٢)</sup>. وهذه الهمزة تعد من قسم الهمزات السواكن التي حكمها الإبدال على ما يفهم من قول الشاطبي :

فَأَبْدَلَهُ عَنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ ۖ حَ زَفَ مَدَّ مُسَكَّنًا

وحكم الإبدال هذا يجري على كل همزة ساكنة متحرك ما قبلها حال الوقف عليها ، نحو: مُؤْمِنٌ ، تُسَلِّونَ ، بئِرٍ . فيكون اللفظ في ( رثياً ) بياءين مظهرتين هكذا ( رثياً )

(١) المصدر السابق ص: ٧٨.

(٢) غيث النفع ص: ٣٢٤.

عملا بقول الشاطبي :

وَرِيًّا عَلَى إِظْهَارِهِ وَإِدْغَامِهِ      وَبَعْضُ يَكْسُرِهَا لِيَاءٍ تَحَوُّلاً<sup>(١)</sup>

ويجوز في (رئياً) وجه آخر كما ذكر المؤلف، وهو إدغام الياء المبدلة من الهمزة في الياء الأصلية، فيصير اللفظ بياء واحدة مشددة كما أشار إليه الشاطبي .

وغير هذين الوجهين لا يجوز في هذه الكلمة كتحقيق الهمزة أو حذفها فكلاهما وجه ضعيف، ضعفه صاحب النشر وغيره<sup>(٢)</sup>.

والوجه المقدم في الأداء هو الإظهار ويليه الإدغام، قال ابن الجزري في النشر: " وَهُوَ إِنْ كَانَ مُوَافِقًا لِلرَّسْمِ، فَإِنَّ الْإِظْهَارَ أَوْلَى وَأَقْبَسُ، وَعَلَيْهِ أَكْثَرُ أَهْلِ الْأَدَاءِ"<sup>(٣)</sup>.

٦- كَفَوًّا:

قال الصفاقسي: " فإن وقفت عليه وليس بموضع وقف ففيه لحمزة وجهان النقل على الأصل المطرد وهو المختار لجماعة وإبدال الهمزة واوا مع إسكان الفاء على

إتباع الرسم"<sup>(٤)</sup>.

(١) الشاطبية البيت رقم (٢٤٣).

(٢) النشر لابن الجزري ١/٣٦٤.

(٣) المصدر السابق ١/٣٦٤.

(٤) غيث النفع ص: ٦٠٧.

اختلف القراء في هذه الكلمة فقراً حمزة وخلف ويعقوب بإسكان الفاء،  
وقرأ بقية القراء بضمها<sup>(١)</sup>. قال ابن الجزري:

عُدُّ هُزُؤًا مَعَ كُفُؤًا هُزُؤًا سَكَنٌ      ضُمَّ فَتَى كُفُؤًا فَتَى ظَنَّ الْأُدُنَّ<sup>(٢)</sup>

والوجه الأول في هذه الكلمة لحمزة عند الوقف هو النقل؛ لأنَّ الهمزة متحركة بعد ساكن، وقد مر بنا نظير ذلك وشاهده، والوجه الثاني هو إبدال الهمزة واواً على المذهب الرسمي مع إسكان الفاء، وهذان الوجهان جائزان رواية وأداءً، ولا يجوز غيرهما في هذه الكلمة.

٧- تَرَءَا :

قال الصفاقسي: "وأما حمزة فإنه يسهل الهمزة بين بين ويميلها من أجل إمالته الألف بعدها المنقلبة عن الياء التي حذف وصلها وهي لام تفاعل ويجوز مع ذلك المد والقصر"<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الكنز في القراءات العشر لعبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه، بتحقيق هناء الحمصي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، سنة ١٩٩٨م، ص: ٢٦٩.  
والمستتير في القراءات العشر لأبي طاهر بن سوار، بتحقيق جمال الدين محمد شرف، طبعة دار الصحابة للتراث بطنطا، سنة ٢٠٠٢م. ص: ٤٤٩.

(٢) متن الطيبة البيت رقم (٤٤٩).

(٣) غيث النفع ص: ٣٧٦.

رسمت هذه الكلمة في المصاحف بإثبات الألف الثانية وحذف الأولى هكذا ﴿فَلَمَّا تَرَأَى﴾ [الشعراء: ٦١]. قال أبو داود في التبيين: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى﴾ كتبوه في جميع المصاحف بألف واحدة بعد الراء كراهة اجتماع ألفين<sup>(١)</sup>.

وأصل هذه الكلمة على وزن تفاعل، فالألف الثانية المثبتة رسماً منقلبة عن ياء متحركة مفتوح ما قبلها، على حسب ما تقرر في قواعد الصرف أن الياء أو الواو إذا تحركتا وانفتح ما قبلهما يقلبان ألفاً، فيجتمع بذلك في الكلمة ألفان، الألف الأولى التي هي لبناء تفاعل، والثانية المنقلبة عن الياء، فكرهوا اجتماع صورتين في الرسم فحذفوا إحداهما، واختلف في أي الألفين محذوفة، فقال بعضهم: هي الأولى؛ لأنها زائدة والزائد أولى بالحذف من الأصلي، وهذا الذي رجحه الداني فقال: "وهذا المذهب عندي في ذلك أوجه وهو الذي أختار، وبه أنقط"<sup>(٢)</sup>، وذهب بعضهم إلى أن المحذوفة هي الثانية؛ لأنها طرف والأطراف محل التغيير، وإليه ذهب أبو داود فقال: "والثانية هي المحذوفة عندي والأولى هي ألف تفاعل"<sup>(٣)</sup>. وقال الشاطبي في العقيلة مشيراً إلى كيفية رسمها:

واكتب تراءى جاءنا بواحدة      تبوءاً ملجأً ماءً مع النظر<sup>(٤)</sup>

(١) التبيين لهجاء التنزيل، لأبي داود سليمان بن نجاح، بتحقيق أحمد بن أحمد شرشال، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، سنة ٢٠٠٢م، ٤/٩٢٦.

(٢) كتاب النقط لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، بتحقيق محمد أحمد دهمان، طبعة دار الفكر - دمشق، ط/٢، سنة ١٣٠٤هـ، ص: ٣٩.

(٣) التبيين لأبي داود ٤/٩٢٦ - ٩٢٧.

(٤) منظومة عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد للإمام الشاطبي، بتحقيق

ولا يجوز لحمزة عند الوقف على هذه الكلمة سوى تسهيل الهمزة بين بين مع المد والقصر؛ لأن الهمزة هنا متوسطة أصالة، وجاز المد والقصر عملاً بقول الشاطبي :

وَإِنْ حَرَفٌ مَدَّ قَبْلَ هَمْزٍ مُغَيَّرٍ      يَجُزُّ قَصْرُهُ وَالْمَدُّ مَا زَالَ أُغْدَلًا<sup>(١)</sup>

وما ورد غير هذين من الوجوه في هذه الكلمة لا تجوز القراءة به، وقد نظم العلامة المرادي جميع ما فيها لحمزة من الوجوه فقال :

خذ وجه الوقف في تراءى	لحمزة يا أبا الذكاء
فإن تبعت القياس	بين الممالين في الأداء
واقصر لتغييره أو امدده	فالمَدَّ ما زال ذا اعتلاء
وقف على رسمه بمدّ	يمــــال لا غير بعد راء
واقصر إذا شئت أو فوسّط	فوجــــه ليس ذا خفا
هذا ووجهه	إذا أجبف الرّسم بالبناء <sup>(٢)</sup>

٨- بأسمائهم :

قال الصفاقسي: "بأسمائهم إن وقف عليه فذكروا لحمزة فيه ثمانية أوجه، والصحيح منها أربعة: الأول والثاني: تحقيق الهمزة الأولى؛ لأنه متوسط

---

أيمن رشدي سويد، نشر دار نور المكتبات، ط/١، سنة ٢٠٠١م، ص: ١٦.

(١) الشاطبية البيت رقم (٢٠٨).

(٢) غيث النفع ص: ٣٧٦.

بزائد ، وتسهيل الثانية مع المد والقصر. الثالث والرابع: إبدال الأولى ياء مع تسهيل الثانية مع المد والقصر"<sup>(١)</sup>.

اجتمعت في هذه الكلمة همزتان الأولى توسطت بحرف زائد وهو الباء ، فحكمتها التحقيق أو التخفيف وفق قواعده ، فهي ها هنا تبدل ياء ؛ لأنها مفتوحة بعد كسر وقد مر بنا نحوها ، أما وجه التحقيق فيؤخذ من قول الشاطبي :

وما فيه يلقى واسطاً بزوائد دخلن عليه فيه وجهان أعمالاً<sup>(٢)</sup>  
وهذان الوجهان جائزان في كل همزة توسطت بزائد . أما الهمزة الثانية فهي متوسطة بعد ألف ، فحكمتها التسهيل بين المد والقصر لقول الشاطبي :

سوى أنه من بعد ما ألف جرى يسهله مهما توسط مدخلا  
ويؤيدله مهما تطرف مثله وَيَقْصُرُ أَوْ يَمْضِي عَلَى الْمَدِّ أَطْوَلَ<sup>(٣)</sup>

وقد يؤخذ حكم المد والقصر من قول الشاطبي في باب الهمزتين من كلمتين :

وإن حرف مد قبل همز مغيير يَجْزُ قَصْرُهُ وَالْمَدُّ مَا زَالَ أَعْدَلًا<sup>(٤)</sup>  
وهذان الوجهان جائزان في هذه الكلمة وما ماثلها نحو بناء ، وألياءه ، ونساءكم ، وآبأؤنا .

(١) غيث النفع ص: ٦١.

(٢) الشاطبية البيت رقم (٢٤٨).

(٣) الشاطبية البيت رقم (٢٣٨ - ٢٣٩).

(٤) الشاطبية البيت رقم (٢٠٨).

## ٩- وأحباؤه:

قال الصفاقسي: " وَأَحْبَاؤُهُ فِيهِ لِحَمْزَةٍ إِنْ وَقَفَ عَلَيْهِ عَلَى مَا قَالُوا سِتَّةَ وَثَلَاثُونَ وَجْهًا..... وَالصَّحِيحُ مِنْهَا اثْنَا عَشَرَ وَجْهًا ، أَرْبَعَةٌ مَجْمَعٌ عَلَيْهَا ، وَثَمَانِيَةٌ مُخْتَلَفٌ فِيهَا"<sup>(١)</sup>.

بالنظر إلى جميع الوجوه المذكورة يلاحظ أن لحمزة في هذه الكلمة اثنا عشر وجهاً وفقاً كما ذكر المؤلف، وهي تفصل على النحو الآتي: تحقيق الهزمة الأولى وتسهيلها؛ لأنها من باب المتوسط بزائد، وقد سبق لها شواهد ونظائر، وعلى كلا الوجهين يجري تسهيل الهزمة الثانية مع المد والقصر، وهذا قد مر بنا مثله كذلك، وجميع هذه الوجوه تأتي على السكون، وهي التي ذكر المؤلف الإجماع عليها، وبقية الوجوه هي أن نقف بالروم والإشمام على الوجوه الأربعة الآنف الذكر، فتصير الوجوه بذلك اثني عشر وجهاً على التمام، وهذه الوجوه الأخيرة هي التي ذكر المؤلف الاختلاف فيها، وسبب الاختلاف ناتج من جواز دخول الروم والإشمام على هاء الضمير أو منعه فيها. وقد نظم الصفاقسي هذه الوجوه الاثني عشر فقال:

أَحْبَاؤُهُ مِنْ بَعْدِ وَאוْ لِحَمْزَةٍ	لَدَى وَقْفِهِ ثِنْتَانِ زَادَتْ عَلَى عَشْرِ
فَوَجْهَانِ فِي الْأُولَى فَحَقَّقَ	وِثْنَانِيَّةً سَهَّلَ مَعَ الْمَدِّ وَالْقَصْرِ
فَهَا أَرْبَعٌ مُضْرُوبَةٌ فِي ثَلَاثَةٍ	سُكُونٍ وَإِشْمَامٍ وَرُومٍ أَخِي الْقَصْرِ

١٠- الأَنْهَارُ:

(١) غيث النفع ص: ١٦١.



قال الصفاقسي: "والسكت لحمزة وصلًا لا يخفى، وأما لو وقف عليه حمزة وهو كاف ففيه ثلاثة أوجه الصحيح منها اثنان: النقل والتحقيق مع السكت"<sup>(١)</sup>

ولامات التعريف التي تدخل على الكلمات التي أوائلها همزات تعد الهمة فيها متوسطة بزائد؛ إذ أن لامات التعريف كلمة مستقلة بذاتها وما بعدها كلمة مستقلة كذلك، فإنما جاء بالألف واللام للتعريف فقط، يقول ابن مالك:

**أل حرف تعريف أو اللام فقط      فنمطٌ عرّفت قل فيه النمط<sup>(٢)</sup>**

فيجوز لحمزة وصلًا على نحو (الأنهار) وما مائلها السكت من الروایتين، وتركه من رواية خلاد، وهذا لم يشر إليه المؤلف وإنما ذكر وجه السكت لحمزة من روايته وفي هذا قصور منه، وأما حال الوقف عليها فيجوز وجهان كما ذكر المؤلف: النقل والسكت، والتحقيق من دون سكت لا يجوز لحمزة، قال ابن الجزري في النشر: "وقد رأيت بعض المتأخرين يأخذ بهذا لخلاد

---

(١) غيث النفع ص: ٥٢.

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك لعبد الله بن عبد الرحمن العقيلي بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار التراث - القاهرة، ط/٢٠، سنة ١٩٨٠ م ١٧٧/١.

اعتماداً على بعض شروح الشاطبية، ولا يصح ذلك في طريق من طرقها<sup>(١)</sup>. وقال الطيبي مبيناً منع ذلك :

ومنع التحقيق دون سكتة وقفاً على مقرون آل لحمزة<sup>(٢)</sup>  
وهذه الوجوه تؤخذ من قول الشاطبي :

وَعَنْ حَمْزَةٍ فِي الْوَقْفِ رَوَى خَلْفًا فِي الْوَصْلِ سَكْتًا مُقَالًا  
وَيَسْكُتُ فِي شَيْءٍ وَشَيْئًا لَدَى الْإِلَامِ لِلتَّعْرِيفِ عَنْ حَمْزَةٍ تَلَا  
وَشَيْءٍ وَشَيْئًا لَمْ يَزِدْ<sup>(٣)</sup> .....

وهناك وجوه تطبق على المتوسط بلام التعريف وقفاً ووصلاً إذا اجتمعت بمثلها ووقف على الثانية، أو اجتمعت بالمفصول رسماً سواء أكان ميم جمع أم غيرها، أو المتوسط بزائد وبيانها على النحو الآتي :

أولاً: اجتماع الهمزة المتوسطة بلام التعريف بمثلها وأريد الوقف على الثانية نحو قوله تعالى : ﴿ وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ نَلْفَسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ

---

(١) النشر في القراءات العشر ، لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري ، محمد بن محمد بن يوسف ، بتحقيق : علي محمد الضباع ، نشر المطبعة التجارية الكبرى ، ٤٨٧/١ .

(٢) الفتح الرحمانى شرح كنز المعاني ، بتحقيق عبد الرازق على إبراهيم ، طبعة دار الضياء - طنطا ، ط١ ، سنة ٢٠٠٣ م ص : ١١٤ .

(٣) الشاطبية البيت رقم (٢٢٧ - ٢٢٩) .

بِالْأَنْفِ ﴿ [المائدة: ٤٥] ، على وجه السكت على الأول يجوز في الثاني النقل والسكت ولا يجوز التحقيق بدون سكت لما تقدم . وعلى وجه ترك السكت وهو من رواية خلاد يجوز في الثاني النقل فقط ، وفي هذا يقول صاحب إتحاف البرية :

وفي آل بنقل قف وسكت لساكت وعند التاركين له انقلا<sup>(١)</sup> ثانياً: اجتماع لام التعريف بالمفصول رسماً ، ووُوقِف على الثاني نحو قوله تعالى : ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا ﴾ [النحل: ١٣] ، إذا قرئ بالسكت على الأول لحمزة من الروایتين جاز في الثاني النقل ثم التحقيق ، ويزاد السكت لخلف لانفراده به في نحو هذا ، وإذا قرأنا بترك السكت - وهو لخلاد وحده - جاز له في الثاني النقل ثم التحقيق .

ثالثاً: اجتماع لام التعريف مع متوسط بزائد موقوف عليه نحو قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٢٢] ،

إن كنت تقرأ بالسكت على لام التعريف لحمزة جاز لك في الثاني التحقيق ، ثم التسهيل بين بين ، وإذا كنت تقرأ بترك السكت لخلاد تعين في الثاني التخفيف وفق قواعده كما مر بنا من قبل .

---

(١) شرح إتحاف البرية بتحريرات الشاطبية لعلي محمد الضباع ، بتحقيق أبو الخير عمر بن مالم ، طبعة دار أضواء السلف ، ط/١، سنة ٢٠٠٧م ، ص: ٢٢٤ .

رابعاً: اجتماع لام التعريف مع ساكن مفصول بسبب ميم الجمع موقوف عليه نحو قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [التوبة: ١١٨] ، فإن كنت تقرأ بوجه السكت على لام التعريف جاز في ميم الجمع الموقوف عليها التحقيق لحمزة ثم السكت لخلف وحده ، وإذا كنت تقرأ بترك السكت لخلاد يجوز له في الثاني التحقيق فقط.

### تنبيه :

لا يجوز النقل إلى ميم الجمع لحمزة؛ بل حكمها كالوصل تحقيقاً قال صاحب إتحاف البرية:

ولا نقل في ميم الجمع لحمزة بل الوقف حكم الوصل فيما تنقل<sup>(١)</sup> وقال ابن الجزري: "وَأَجَازَ النُّحَاةُ النَّقْلَ بَعْدَ السَّاكِنِ الصَّحِيحِ مُطْلَقًا ، وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ مِيمِ جَمْعٍ وَلَا غَيْرِهَا ، وَلَمْ يُوَافِقْهُمْ الْقُرَاءُ عَلَى ذَلِكَ ، فَأَجَازُوا فِي غَيْرِ مِيمِ الْجَمْعِ"<sup>(٢)</sup>

خامساً: إذا اجتمعت لام تعريف موقوف عليها مع ساكن مفصول غير موقوف عليه نحو قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدَاءَ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ١٠١] ، فعلى وجه ترك السكت في الأول يجوز لك في الثاني النقل ثم السكت ، وعلى وجه السكت في الأول لك في الثاني النقل .

### المبحث الرابع

(١) شرح إتحاف البرية للضباع ص: ٦٧.

(٢) النشر لابن الجزري ١/٣٤١.

تحرير القول في الهمزة المتطرفة لحمزة وهشام.

في هذا القسم يشترك هشام في روايته عن ابن عامر مع حمزة في تسهيل الهمزات المتطرفة حال الوقف عليها، فكلاهما يسهل الهمزة المتطرفة حال الوقف عليها مع اختلاف يسير بينهما أحياناً، وسوف نبين ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى.

١- مكر السيئ :

قال الصفاقسي: "فإذا وقف عليه حمزة أبدل الهمزة ياء خالصة لسكونها وانكسار ما قبلها ولا يجوز له فيها غير هذا ولهشام ثلاثة أوجه الأول: كحمزة، الثاني: إبدالها ياء مكسورة مع روم كسرتها. الثالث: تسهيلها بين بين مع الروم"<sup>(١)</sup>.

اختلف القراء في حرف (السيئ) المقترن بكلمة (مكر) في سورة فاطر، فقرأها حمزة بإسكان الهمزة وصلأ ووقفأ، وقرأ بقية القراء بخفضها وصلأ وإسكانها وقفأ<sup>(٢)</sup>. قال الإمام الشاطبي :

وفي السيئ المخفوض همزاً سكونه فشا<sup>(٣)</sup>.....

(١) غيث النفع ص: ٤٢٨.

(٢) الكفاية الكبرى في القراءات العشر لأبي العز محمد بن الحسين القلانسي، بتحقيق عثمان محمود غزال، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت - ط/١، سنة ٢٠٠٧م، ص: ٣٥٥.

(٣) الشاطبية البيت رقم (٩٨٥).

فإذا وقف عليه حمزة يبدل الهمزة ياء خالصة؛ لأنها ساكنة في قراءته

ومتحرك ما قبلها ، وهكذا حكم كل همزة ساكنة متحرك ما قبلها .

أما في رواية هشام فإذا وقف عليه فإنه يسكن الهمزة لأجل الوقف ثم

يبدلها حرف مد من جنس الحركة التي قبلها فيكون في هذا الوجه متفق مع

حمزة تماماً ، وله وجهان آخران وهما الوقف بالروم على الياء المكسورة ، والوجه

الثاني تسهيلها بين بين مع الروم عملاً بقول الشاطبي :

وما قبله التحريك أو ألف محرر      ركا طرفاً فالبعض بالروم سهلاً<sup>(١)</sup>

٢- لؤلؤ:

قال الصفاقسي: " فإن وقف عليه والوقف عليه كاف ففيه لهشام وحمزة ستة

أوجه الصحيح منها ثلاثة، الأول: إبدال الهمزة واوا ساكنة بعد تقرير

إسكانها، وهو الأشهر وفيه موافقة الرسم. الثاني: تسهيلها بين الهمزة والياء مع

الروم لأن الساكنة لا تسهل، وحكى تسهيلها بين الهمزة والواو أيضاً، وهو

الوجه المفضل، ويجوز إبدالها واوا مكسورة فإن وقفت بالسكون فهو كأول

وإن اختلفا تقديراً، وإن وقفت بالروم فهو الوجه الثالث هذا كله في الثانية".<sup>(٢)</sup>

اختلف القراء في هذا الحرف فقرأه أهل المدينة وعاصم بالنصب في سورة الحج

وفاطر، ووافقهم يعقوب في سورة الحج، وقرأ بقية القراء بالخفض<sup>(٣)</sup>.

(١) الشاطبية البيت رقم (٢٥٢).

(٢) غيث النفع ص: ٣٤٦.

(٣) المستير في القراءات العشر لأبي طاهر بن سوار، بتحقيق جمال الدين محمد

وحكم الهمزة الأولى لا يخفى فهي ساكنة مسبوقة بضم، أما الثانية فالوجوه  
الجائزة فيها ثلاثة كما ذكر المؤلف، وبيانها وتحقيقها على النحو الآتي:

أ- إبدال الهمزة واو ساكنة لأننا حين الوقف عليها نسكنها لأجل الوقف  
فتلحق بباب الهمزات السواكن التي تحرك ما قبلها وحكمها الإبدال .

ب- تسهيل الهمزة بين بين مع الروم لأن الهمزة منكسرة في قراءة حمزة وكذا  
هشام ، وسهلت بالروم لأن حركتها مشوية بسكون الوقف. قال ابن الجزري:

وأشمنن ورم بغير المبدل      مــــداً وأخراً بروم سهل

بعد محرك كذا بعد ألف      ومثله خلف هشام في الطرف<sup>(١)</sup>

ج- إبدال الهمزة واو مكسورة على إتباع الرسم . وعند الوقف بالسكون عليها  
فهي كالأولى نطقاً وإن اختلفا مأخذاً وتقديراً، فإن قرأتها بالروم بعد الإبدال  
فذاك هو الوجه الثالث الذي أشار إليه المؤلف.

٣- نَشَوُا ، شُرَكْوُا ، الْعُلَمَوُا .

قال الصفاقسي : " فلو وقف عليه وهو كاف ففيه لحمزة وهشام اثنا  
عشر وجهاً: ثلاثة مع البديل ألفا، واثان مع بين بين، وسبعة مع إبدال الهمزة  
واوا، ثلاثة مع الإسكان، وثلاثة مع الإشمام، وواحدة مع الروم" <sup>(٢)</sup> .

---

شرف ، طبعة دار الصحابة بطنطا، سنة ٢٠٠٢م، ص: ٣٤٠.

(١) الطيبة البيت رقم (٢٥٢ - ٢٥٣).

(٢) غيث النفع ص: ٤٢٧، ١٨٢، ١٠٣.

رسمت الهمزة في هذه الكلمات على الواو ففيها على المذهب القياسي خمسة أوجه ، وعلى المذهب الرسمي سبعة أوجه فتكون الوجوه اثنا عشر وجهاً ، وبيانها كما يلي :

كل الهمزات التي رسمت على الواو طرفاً فإبدال الهمزة ألفاً فيها جار على القياس وأما على إتباع الرسم فإن كانت من الكلمات التي يجوز فيها إتباع الرسم على كيفية رسمها وكانت بواو على صورة الرفع جاز فيها سبعة أوجه . وبالجمع بين المذهبين القياسي والرسمي تكون الوجوه اثنا عشر وجهاً .

أ - ١، ٢، ٣ = إبدال الهمزة ألفاً مع القصر والتوسط والإشباع.

ب - ٥، ٤ = تسهيل الهمزة بين بين مع المد والقصر .

ج - ٦، ٧، ٨ = إبدال الهمزة واواً على الرسم مع القصر والتوسط والإشباع مع السكون المحض.

د - ٩، ١٠، ١١ = إبدال الهمزة واواً مع القصر والتوسط والإشباع على الرسم مع وجه الإشمام.

هـ - ١٢ = إبدال الهمزة واواً مع الروم ولا يكون إلا مع القصر.

**تنبيه :**

اتباع الرسم في إبدال الهمزات موقوف على السماع وصحة الرواية ، ولا يجوز إبدال كل همزة رسمت على الواو واواً ، ولا إبدال جميع الهمزات التي



رسمت على الياء ياءً ، ولا حذف جميع الهمزات التي ليست لها صورة في الرسم ، وقد حصر العلماء هذه الهمزات فينبغي للقارئ أن لا يتعدها إلى غيرها مما لم يرد نص بإبداله ، وقد حصر العبد الفقير إلى رحمة مولاه كاتب هذا البحث الكلمات التي رسمت على الواو وجاز إبدالها واواً وقفاً ، والكلمات التي رسمت على الياء وجاز إبدالها ياء في الوقف ، في أبيات فقلت :

وهالك همزات على الواو قد	على إثر ألفات بدت قمرا
وفي كلها صورت مرفوعة طرفا	فيا رب اغفر ما بدا والذي سترا
وعد بلاؤ الدخان صاح متبعاً	كذاك البلاؤ في الصافات
جزاؤ العقود الأولان بها	وحم شورى تبدو لمن نظرا
وحشر بها أيضاً خذه ميتدرا	عسى تتل به أعظم الدررا
وشورى وأنعام بها شركاؤ قد	بهودٍ نشأ ضعفاؤ فوق الحجر منتصرا
وقل شفعاء دعاء الكافرين أتى	بغافر برءاؤ تحت الحشر
جزاؤ بطله كذاك المحسنين	بخلف أبي عمار صاح مشتهرا
وفي فاطر علما فوق النمل قد نزلا	وأنباء فيها وأنعام بدت زهرا
ويبدؤ بووا حيثما وقعت	ومعه الذي بعد بلا ألفات
وتفتؤ فوق الرعد قد ثبتت	ويعبؤ في الفرقان قد ذكرا
وينشؤ لدى زخرف نبؤ حوت	تغابن وص وإبراهيم قد حصرا
وقل ثلاث الملا في النمل قد أثرت	وأولى المؤمنين في العد معتبرا
كما بدت ص بخلف أولها	وفي ينبؤ الخلف صاح والعبرا

وإيتاء تلقائ على الياء قد رسمت  
وأنعام نبأ المرسلين بها سطررت  
فأله الحمد والصلاة على  
رسولا ليس كمن مضى من  
ورائي أبنائي فوق الأنبياء أئرا  
لقاء بخلف الروم يجنيه مبتدرا  
محمد وأشياعه ومن نصرا  
شفيعنا فطب به سيدا للجن  
فكن صاح مرآة لي وما كتبت  
يديا فقوم إن رأيت العيب  
ورحماك ربي لابن إيما وإخوته  
ومن يرج غير الله قد خسرا

#### ٤- وَإِيْتَاءِي ، وَمِنْ أَنَاي .

قال الصفاقسي: " وفيه لحمزة إن وقف عليه ، وليس محل وقف ثمانية عشر وجهاً ، بدل الهمزة مع المد والتوسط والقصر والتسهيل مع المد والقصر وإسكان الياء مع الثلاثة وروم حركتها مع القصر فهذه تسعة تأتي على كل من تسهيل الهمزة الأولى وتحقيقتها لتوسطها بزائد وهو واو العطف" (١) ، ويقول في الكلمة الثانية: " فإن وقف عليه لحمزة وليس بمحل وقف ففيه سبعة وعشرون وجها كلها قوية صحيحة ، ففيه البديل مع المد والتوسط والقصر والتسهيل مع المد والقصر وإبدال الهمزة ياء ساكنة مع الثلاثة وروم حركة الياء مع القصر فهذه تسعة مضروبة في النقل والسكت وعدمه" (٢)

الهمزة في الكلمتين متطرفة مرسومة على الياء ففيها مذهبان في التسهيل : المذهب القياسي والمذهب الرسمي ، فعلى المذهب الرسمي تبدل

(١) غيث النفع ص: ٢٩٦.

(٢) المصدر السابق ص: ٣٣٧.

الهمزة المتطرفة ألفاً مع القصر والتوسط والإشباع ، ثم تسهل الهمزة بالروم مع المد والقصر فهذه خمسة القياس ، وعلى المذهب الرسمي تبدل الهمزة ياء ساكنة مع القصر والتوسط والإشباع ، ثم تقرأ بالروم مع القصر فهذه أربعة الرسم فتكون الوجوه تسعة ، وكل هذه الوجوه تجري على الكلمة الثانية . ولكن الفرق بينهما في الهمزة الأولى ففي الكلمة الأولى توسطت الهمزة بزائد ففيها لحمزة وجهان التحقيق والتخفيف ، وإذا ضربا في الوجوه التسعة تكون وجوه حمزة ثمانية عشر وجهاً ، وأما الكلمة الثانية فالهمزة متوسطة بساكن مفصول ففيه وفقاً لحمزة النقل والتحقيق من الروايتين والسكت من رواية خلف فإذا ضربا في الوجوه التسعة تكون الوجوه سبعة وعشرين وجهاً ، كلها صحيحة مقروء بها . ثمانية عشر وجهاً لخلاص وسبعة وعشرون لخلف ، والمؤلف أدرج الوجوه ولم يبين هذا وكان ينبغي تبيينه . وأما هشام فلا يزيد في الكلمتين على الوجوه التسعة ؛ لأنه ليس له حكم في الهمزة المتوسطة .

٥- هؤلاء :

قال الصفاقسي : " الوقف عليه كاف فإن وقف عليه ففيه لحمزة على ما ذكروا خمسة وعشرون وجهاً بيانها أن له في الهمزة الأولى خمسة أوجه التحقيق مع المد فقط ، والتسهيل مع المد والقصر ، وإبدالها واوا مضمومة إتباعاً للرسم معهما ، ويجوز في الثانية خمسة أوجه : إبدالها ألفاً مع المد والقصر ، وتسهيلها

مرامة مع المد والقصر، فتضرب في خمسة الأولى خمسة الثانية خمسة وعشرون<sup>(١)</sup>.

والصحيح في هذه الكلمة من الوجوه ثلاثة عشر وجهاً واثنان عشر وجهاً ممتنعة<sup>(٢)</sup>. وقد نظمها الخليجي فقال :

في هؤلاء إن تقف لحمزة  
 وهي إذا حققت ما توسطاً  
 ورم على القصر ومد إذا  
 والقصر فيه وعلى كل أتى  
 منعا إن قصرت ها بمد  
 وبيان هذه الوجوه كما يلي :

هـ ————— هؤلاء		م
الهمزة الثانية	الهمزة الأولى	
إبدال الثانية ألف مع التثنية ٣	تحقيق الأولى مع المد المشبع	١

(١) غيث النفع ص: ١٥٣.

(٢) المصدر السابق ص: ١٥٣.

(٣) حل المشكلات وتوضيح التحريرات في علم القراءات لمحمد عبد الرحمن الخليجي، بتحقيق جمال الدين شرف، نشر دار الصحابة للتراث بطنطا، سنة ٢٠٠٢م ص: ٤١.

٢	تحقيق الأولى مع المد المشبع	تسهيل الثانية بالروم مع المد والقصر ٢
٣	تسهيل الأولى مع المد	إبدال الثانية ألف مع التثنيث ٣
٤	تسهيل الأولى مع المد	تسهيل الثانية بالروم مع المد ١
٥	تسهيل الأولى مع القصر	إبدال الثانية ألف مع التثنيث ٣
٦	تسهيل الأولى مع القصر	تسهيل الثانية مع القصر ١

وهذه الوجوه الثلاثة عشر لحمزة وحده، أما هشام فليس له إلا خمسة أوجه، وهي تسهيل المتطرفة بأوجهها الخمسة، وهي الإبدال مع التثنيث والتسهيل بين بين مع الروم مع المد والقصر.

#### المبحث الخامس

#### تحرير القول في الساكن المفصول لحمزة

#### ١- عذاب أليم :

قال الصفاقسي: "إن وصلته بما بعده فالسكت فيه لخلف وحده، وله كباقيهم عدم السكت، وإن وقف عليه فلخلف ثلاثة أوجه: النقل، والسكت، وتركهما، ولخلاد وجهان: النقل، وتركه بلا سكت"<sup>(١)</sup>.

(١) غيث النفع ص: ٤٨.

وهذه الوجوه في الوصل والوقف لخلف وخلاد تؤخذ من قول الشاطبي :

وعن حمزة في الوقف خلف وعنده روى خلف في الوصل سكتاً

والخلف الذي عناه الشاطبي بقوله (خلف) هو النقل والتحقيق ، فكل موضع نقل فيه ورش حركة الهمزة إلى الساكن قبلها جاز لحمزة من روايته عند الوقف عليه هذا الخلف ، وزاد من رواية خلف السكت على الساكن إن وصلته بالهمزة ، سواء وقفت على الكلمة التي فيها الهمزة أم تجاوزتها إلى ما بعدها . فتصير وجوه خلف بذاك ثلاثة وقفاً ، وأما حال الوصل فوجه التحقيق مشترك بين خلف وخلاد ، ويزيد خلف وجه السكت فيكون له وصلاً وجهان ، ولخلاد وجه واحد . ولا يجوز النقل إلى ميم الجمع كما مر معنا حيث لم ينقل إليها ورش .

وقد يجتمع الساكن المفصول بمثله موقوف عليه ، أو متوسط بزائد

موقوف عليه ، فيكون بيان الأوجه هكذا :

أ - إذا اجتمع الساكن المفصول بساكن مفصول آخر موقوف عليه نحو قوله تعالى : ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (البقرة: ١٨٤) ، فإذا قرأت بترك السكت في الأول تعين في الثاني التحقيق والنقل ، وإذا قرأت في الأول بالسكت تعين في الثاني السكت والنقل ، ومعلوم أن السكت لخلف وحده.

---

(١) الشاطبية ، البيت رقم (٢٢٧).

ب- وإذا اجتمع الساكن المفصول بمتوسط بزائد مباشر نحو قوله تعالى : ﴿قُلْ

ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّٰهُ﴾ [البقرة: ١٤٠] ، فعلى وجه ترك السكت في اللام يجوز في  
 الهمزة المتوسطة بزائد تسهيل الهمزة وتحقيقها ، وعلى وجه السكت في اللام  
 تسهيل الهمزة وتحقيقها كذلك ، وعلى وجه النقل في اللام يتعين في الهمزة  
 التسهيل؛ ولا يجوز وجه التحقيق<sup>(١)</sup> . وقد بين ذلك بعضهم بقوله :

وفي قل أنتم إن وقفت لحمزة      خمس محررة تنص لنشرهم  
 فالنقل بالتحقيق ليس موافقاً      وتنافيا فالمنع منه بنصهم<sup>(٢)</sup>

٢- قل أو نبئكم :

قال الصفاقسي: " فلو وقف عليه حمزة ، وليس بموضع وقف؛ بل الوقف  
 على (ذلك) ، على خلاف فيه ، ففيه على ما قاله الجعبري وغيره سبعة وعشرون  
 وجها"<sup>(٣)</sup>.

اجتمعت في هذه الكلمة ثلاث همزات : الأولى هي الهمزة المفتوحة التي  
 وقعت بعد ساكن صحيح منفصل ، ففيها من الوجوه النقل والتحقيق وعليه  
 السكت وعدمه ، والهمزة الثانية هي الهمزة المضمومة التي رسمت على واو بعد  
 حرف منفتح ، وهذه يجوز فيها التحقيق؛ لأنها تعتبر متوسطة بزائد والتسهيل  
 كالواو لأنها مضمومة بعد فتح ، وكذلك يجوز إبدالها واو على المذهب الرسمي

(١) غيث النفع ص: ٨٣.

(٢) المصدر السابق ص: ٨٣.

(٣) المصدر السابق ص: ١١٧.

، والهمزة الثالثة هي الهمزة المضمومة التي سبقت بكسرة، ففيها من الوجوه التسهيل كالواو وكالياء أو إبدالها ياء ، ومجموع الوجوه في هذه الكلمة سبعة وعشرون وجهاً من حاصل ضرب ما في كل همزة من الوجوه في الأخرى فيبلغ العدد ما ذكرنا هكذا (3×3×3=27). وقد نظم العلامة المرادي هذه الوجوه فقال :

سبع وعشرون وجهاً قل لحمزة في	قل أوئبئكم يا صاح إن وقفا
فالنقل والسكت في الأولى وتركهما	وأعط ثانية حكما لها ألفا
واوا وكالواو أو حقق وثالثة	كالواو أو يا وكالياء ليس فيه خفف
واضرب بين لك ما قد قلت متّضحا	وبالإشارة استغنى وقد عرفاً <sup>(١)</sup>

ولكن المحققين منعوا بعض هذه الوجوه لضعفها ، وقالوا الصحيح في هذه الكلمة من الوجوه عشرة وما عداها لا يصح ، وهي كما يلي : النقل في الأولى وعليه تسهيل الثانية والتسهيل والإبدال في الثالثة ، ثم التحقيق والسكت في الأولى وعليهما تسهيل وتحقيق في الثانية ، وعليها تسهيل وإبدال في الثالثة<sup>(٢)</sup> . وقد نظم الخليجي هذه الوجوه العشرة فقال :

في وقف حمزة في قل أوئبئكم	نقل بتسهيل ثاني الهمزتين يرى
وعند سكت وتحقيق يزيد بها	تحقيقها ثم في الهمز الأخير جرى

(١) غيث النفع ص: ١١٧.

(٢) البدر الزاهرة ص: ٦٠.



في الكل تسهيل أو ابدال يا كملت  
عشراً بغير ضعيف عند من نظراً<sup>(١)</sup>  
وجاء نظمها عند بعضهم:

لحمزة عند الوقف عشرة أوجه  
بقل أو نُبئكم فخذ عنه وانقلا  
فسهل لثان الهمز في النقل مطلقا  
ومع تركه حقق وسهل تأملا  
وأجرهما في السكت تزداد فطنة  
ومع كل وجه ثالث الهمز سهلا  
وإبدالها ياء مضمومة هاء عشرة  
ووجوه خلاد في هذه الكلمة ستة أوجه فقط لأنه ليس له السكت على المفصول  
بل هو خاص بخلف

### الخاتمة :

وختاماً أحمد الله تعالى على توفيقه وامتنانه على إتمام هذا البحث الذي  
تناول جانباً مهماً من جوانب علم القراءة رواية ودراية ، وهو باب قلّ من يقوم فيه  
بالواجب ؛ وذلك لكثرة تشعبه وصعوبة مسلكه ، وها هو خاتمة المحققين ابن  
الجزري يشير إلى طرف من هذا الغموض فيقول : " وهو باب مشكل يحتاج إلى  
معرفة تحقيق مذاهب أهل العربية وأحكام رسم المصاحف العثمانية وتمييز  
الرواية وإتقان الدراية "<sup>(٢)</sup> ، ويقول الإمام أبو شامة : " هذا الباب من أصعب الأبواب

(١) حل المشكلات للخليجي ص: ٥٣.

(٢) هامش الفتح الرحمانى لسليمان الجمزوري ص: ١٢٠.

(٣) النشر لابن الجزري ١/ ٣٣٢.

نظماً ونثراً في تمهيد قواعده وفهم مقاصده<sup>(١)</sup>. ومن خلال البحث وقف الباحث على أصح الأقوال وأشار إلى الضعيف والسقيم منها لتجنبه، وترك ما لا تدعو الضرورة لذكره، وركز جلاً جهده على الصحيح من الأقوال والمعتبر من الوجوه، وخلص أخيراً من هذه البحث بالآتي :

١- يعتبر باب وقف حمزة وهشام على الهمز من أصعب الأبواب؛ وذلك بإجماع العلماء سلفاً وخلفاً.

٢- أورد بعض العلماء في كتبهم في هذا الباب وجوهاً كثيرة بالغوا فيها ، بلغت أحياناً المئات وأزيد ، وكثير منها لا يصح ولا تجوز القراءة به.

٣- حقق الصفاقسي من خلال كتابه في هذا الباب تحقيقاً بديعاً وأجمل في القول وأحسن الاختيار ، وقد وفقه الله تعالى لإحكامه وإتقانه.

٤- حمزة وهشام يتفقان في تسهيل الهمزات المتطرفة وينفرد حمزة بالمتوسطة والمبتدأ به .

٥- علم التحريرات علم مهم لا بد منه لكل من أراد أن يقف على علم القراءات متخصصاً كان أو مطلعاً ، فهو مرآة وأداة تبين الصحيح من السقيم في وجوه القراءات.

---

(١) إبراز المعاني من حرز الأمانى في القراءات السبع للإمام أبي شامة المقدسي ، بتحقيق إبراهيم عطوة ص: ١٦٥.

٦- خلط بعض المؤلفين في كتبهم بين الطرق وذكرها في ما ليس منها وتركوا ما كان حقه أن يرد فيها ، وهذا لا يُعلم إلا بإحكام علم التحريرات والتمكن منه.

٧- اتصف الإمام حمزة بصفة الورع والزهد ووصف بأوصاف لم يوصف بها قارئ من القراء العشرة.

وأخيراً يوصي الباحث الدارسين بالوقوف على كتاب غيث النفع للصفارسي وإخراج ما تبقى فيه من الدرر والنفيسة ، فقد ذكر تحريرات كثيرة لجميع أئمة القراء ، لها قدر وقيمة تستحق وتستوجب الوقوف عندها ودراستها .

وكذلك يوصي الباحث بتوجيه همم الباحثين والدارسين إلى تنقية علم التحريرات مما علق به من شوائب ، واعتماد مراجع حديثة تجمع شتات ما صح منه في بطون الكتب وأمهات المصادر والمراجع. والاهتمام بكتب علم التحريرات حيث ما زال الكثير منها مخطوطاً لم يطبع. والاهتمام بتدريس علم التحريرات في الجامعات والمعاهد العلمية لأهميته ، وجهل بعض طلبة العلم له على الرغم من أهميته.

فالحمد لله في الختام كما بدأت لتوفيقه على إتمام هذا البحث ، وقد من الله عليّ من خلاله بالوقوف على الدقائق اللطيفة والفوائد النفيسة ، فأسأله القبول والخلوص من الرياء والسمعة ، إنه ولي ذلك والقادر عليه . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

## قائمة المصادر والمراجع:

- ١- الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: ط/١٥، سنة ٢٠٠٢ م.
- ٢- الإقناع في القراءات السبع لأبي جعفر أحمد بن علي الأنصاري، بتحقيق أحمد فريد، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت - ط/١، سنة ١٩٩٩ م.
- ٣- التاريخ الأوسط لمحمد بن إسماعيل البخاري، بتحقيق: محمود إبراهيم زايد، الناشر: دار الوعي، مكتبة دار التراث - حلب - ط/١، سنة ١٩٧٧ م.
- ٤- التبيين لهجاء التنزيل، لأبي داود سليمان بن نجاح، بتحقيق أحمد بن أحمد شرشال، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، سنة ٢٠٠٢ م.
- ٥- التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، نشر دار الكتاب العربي - بيروت - ط/٢، سنة ١٩٨٤ م.
- ٦- جامع البيان في القراءات السبع المشهورة لأبي عمرو الداني، بتحقيق محمد صدوق الجزائري، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت - ط/١، سنة ٢٠٠٥ م.
- ٧- حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، للقاسم بن فيره بن خلف الأندلسي، بتحقيق محمد تميم الزعبي، طبعة دار الغوثاني، ط/٥، سنة ٢٠١٠ م.
- ٨- حل المشكلات وتوضيح التحريات في علم القراءات لمحمد عبد الرحمن الخليجي، بتحقيق جمال الدين شرف، نشر دار الصحابة للتراث بطنطا، سنة ٢٠٠٢ م.
- ٩- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك لعبد الله بن عبد الرحمن العقيلي، بتحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار التراث - القاهرة، ط/٢٠، سنة ١٩٨٠ م.
- ١٠- شرح إتحاف البرية بتحريات الشاطبية لعلي محمد الضباع، بتحقيق أبو الخير عمر بن

- مالم، طبعة دار أضواء السلف، ط/١، سنة ٢٠٠٧م.
- ١١- شرح طيبة النشر في القراءات العشر لأبي القاسم محمد بن محمد النويري، بتحقيق مجدي محمد سرور، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان - ط/١، سنة ٢٠٠٣م.
- ١٢- شرح طيبة النشر للإمام شهاب الدين أبي بكر أحمد بن محمد، بتحقيق الشيخ أنس مهرة، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط/٢، سنة ٢٠٠٠م.
- ١٣- طبقات القراء السبعة لأمين الدين أبو محمد عبد الوهاب بن السلال، بتحقيق أحمد محمد عزوز، طبعة المكتبة العصرية - بيروت - ط/١، سنة ٢٠٠٣م.
- ١٤- طيبة النشر في القراءات العشر للإمام الحافظ محمد بن محمد بن الجزري، بتحقيق محمد تميم الزعبي ط/مكتبة دار الهدى بجدة، سنة ١٩٩٤م.
- ١٥- العقد النضيد في شرح القصيد للسمن الحلبي، بتحقيق أيمن رشدي سويد، طبعة دار نور المكتبات بجدة، ط/١، سنة ٢٠٠١م.
- ١٦- عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد للإمام الشاطبي، بتحقيق أيمن رشدي سويد، نشر دار نور المكتبات، ط/١، سنة ٢٠٠١م،
- ١٧- غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار لأبي العلاء الحسن بن أحمد الهذاني، بتحقيق أشرف محمد فؤاد طلعت، طبعة الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، ط/١، سنة ١٩٩٤م.
- ١٨- غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، بتحقيق ج/برجستراسر، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط/٣، سنة ١٩٨٢م،
- ١٩- غيث النفع في القراءات السبع للمحقق على النوري الصفاقسي بتحقيق جمال الدين محمد شرف، طبعة دار الصحابة بطنطا، سنة ٢٠٠٤م.
- ٢٠- الفتح الرباني في القراءات السبع من طريق حرز الأمانى لمحمد البيومي الشهير بأبي عياشة، بتحقيق عبد العزيز بن ناصر، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط/١.
- ٢١- الفتح الرحمانى شرح كنز المعاني، بتحقيق عبد الرازق على إبراهيم، طبعة دار الضياء -

- طنطا، ط/١، سنة ٢٠٠٣ م.
- ٢٢- فتح الوصيد في شرح القصيد لعلي بن محمد السخاوي، بتحقيق جمال الدين محمد شرف، طبعة دار الصحابة للتراث - طنطا- ط/١، سنة ٢٠٠٤ م.
- ٢٣- كتاب النقط لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، بتحقيق محمد أحمد دهمان، طبعة دار الفكر - دمشق، ط/٢، سنة ١٣٠٤ هـ.
- ٢٤- الكفاية الكبرى في القراءات العشر لأبي العز محمد بن الحسين القلانسي، بتحقيق عثمان محمود غزال، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت- ط/١، سنة ٢٠٠٧ م.
- ٢٥- الكنز في القراءات العشر لعبد الله بن عبد المؤمن ابن الوجيه، بتحقيق هناء الحمصي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، سنة ١٩٩٨ م.
- ٢٦- كنز المعاني في شرح حرز الأمانى ووجه التهاني لإبراهيم بن عمر الجعبري، بتحقيق فرغلي سيد عرياوي، طبعة مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ط/١، سنة، ٢٠١١ م، ٣٧٠/١.
- ٢٧- اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة لعبد الله محمد بن الحسن الفاسي، بتحقيق جمال الدين محمد شرف، نشر/ دار الصحابة للتراث بطنطا .
- ٢٨- المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده بتحقيق: عبد الحميد هنداوي، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت ط/١، سنة ٢٠٠٠ م.
- ٢٩- المستنير في القراءات العشر لأبي طاهر بن سوار، بتحقيق جمال الدين محمد شرف، طبعة دار الصحابة للتراث - طنطا- سنة ٢٠٠٢ م.
- ٣٠- معجم ديوان الأدب لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، بتحقيق: أحمد مختار عمر، طبعة: مؤسسة دار الشعب - القاهرة، سنة ٢٠٠٣ م، ٣، ١٦٩.
- ٢٧- معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم لأبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي بتحقيق:

عبد العليم عبد العظيم البستوي الناشر: مكتبة الدار - المدينة المنورة -  
السعودية، الطبعة: الأولى، ١٩٨٥م.

- ٣١- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للإمام الحافظ محمد بن  
احمد الذهبي، بتحقيق محمد حسن محمد، طبعة دار الكتب العلمية  
، بيروت - لبنان، ط/١، سنة ١٩٩٧م.
- ٣٢- النشر في القراءات العشر لابن الجزري بتحقيق زكريا عميرات، طبعة  
دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ط/٢، سنة ٢٠٠٢م، ١/١٥٢. الأعلام  
لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي، الناشر:  
دار العلم للملايين، الطبعة: ط/١٥، سنة ٢٠٠٢م.

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم

بحث بعنوان :

في القرآن اليوم الآخر الكريم

د. بله آدم أحمد الوحيديو

رمضان ١٤٣٤هـ / يوليو ٢٠١٣م



## ملخص البحث

تعددت مسميات اليوم الآخر في القرآن الكريم بصورة كبيرة ويعدد وافر وذلك من بلاغة القرآن الكريم وقوة بيانه وبلاغته وإعجازه. ولا تخفى الحِكمُ الإلهية والمقاصد الربانية والدلائل البيانية في هذا التعدد والأسماء الكثيرة لشيء واحد هو اليوم الآخر ، وهذا من إعجاز القرآن وفصاحته فالاسم المعين في المعنى الذي شملته الآية والسياق العام للآيات يناسبه اسم من أسماء اليوم الآخر، لا نستطيع أن نضع المسمى الآخر مكانه ، ولا ينبغي ، لنا ذلك وهذا كله وغيره دلالة على صدق وإعجاز هذا القرآن الكريم.

ولكل ما ذكرنا رأينا أن نأتي بهذه الأسماء لليوم الآخر في ثلاث محاور ووضَّحنا لكل محور المسوغات التي رأيناها ليحمل كل محور من هذه المحاور الثلاثة مسمىً يميِّزه عن الأخريات وذلك بصفة أو ظرف يناسبه.

واخترنا لكل محور عنواناً يناسبه ومن ثم الأسماء التي تناسبه من أسماء اليوم الآخر.

ف نجد المحور الأول تحت مسمى : أسماء لليوم الآخر مأخوذة من الطرف الزمني.

والمحور الثاني تحت مسمى : أسماء لليوم الآخر مأخوذة من الطرف المكاني.

والمحور الثالث تحت مسمى : أسماء لليوم الآخر مأخوذة مما فيها من تهويل وترهيب وشدائد لا ندعي أننا أحصينا كل المسميات لليوم الآخر في هذا البحث ولكن اجتهدنا أن نحصي بعضها ثم بيَّنا آراء بعض أئمة التفسير في كل اسم من هذه الأسماء.

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين،

سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين .  
الحمد لله تعالى الذي جعل الحياة والموت والنشور ، فتعمّر الحياة الدنيا بالعمل  
والكسب والسعي ، ثم تختم بالموت والحياة البرزخية ، ثم يكون الجمع  
والحساب والجزاء يوم القيامة.  
يبعث الناس ويحاسبون فيجازى أهل الإحسان بالحسنى ، وأهل الإساءة  
، بالسيئة فجزاء سيئة سيئة مثلها ، فيفضل الله تعالى على من يشاء من عباده  
بالمغفرة والرحمة ، وينال الذين كفروا ولم يُصدقوا الرسل عليهم السلام ينالهم  
العذاب بما كسبت أيديهم.

فالإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان.  
والحديث عن اليوم الآخر والبعث هو حديث عن  
الحساب والثواب والعقاب .. وما أعدّ الله تعالى للمؤمنين في الجنة .. وما أعدّ الله  
تعالى للكافرين والمنافقين في النار.

أسباب وأهداف اختيار البحث :

- الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان.
- يترتب على التصديق باليوم الآخر أن يعمل الإنسان بما أمر به الله تعالى من  
فعل الخيرات ويتجنب المنكرات.
- كثرة المكذّبين باليوم الآخر يفرض علينا أن نقوم بواجب الدعوة والإرشاد.
- نحتاج لكثير من الموعظة والتوجيه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- بعض المؤمنين باليوم الآخر لا يهتمون بالعمل له بما يستحقه من جهدٍ وزهدٍ.

- بيان الأدلة من القرآن والحديث .
- نرجوا الثواب والأجر عند الله عز وجل . مع الإسهام بهذا الجهد في إثراء المكتبة الإسلامية.

### أهمية البحث ومشكلته

- ❖ يعالج البحث بعض القصور في الدعوة والإرشاد والتوجيه.
  - ❖ هنالك مشكلة كبيرة في عمل بعض المؤمنين باليوم الآخر وتقصيرهم ، كأنهم نسوا ذلك اليوم.
  - ❖ الغفلة وعدم الاهتمام بالعمل لما بعد الموت عند بعض المؤمنين يفرض علينا التواصي بالحق والتواصي بالصبر.
- منهج البحث :

المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الوصفي الاستقرائي والتحليلي. ثم نعزو الآيات إلى سورها ونخرج الأحاديث من مظانها ومصادرها. وننسب التفاسير إلى أصحابها مع بيان مراجعها. الدراسات السابقة حول موضوع البحث :

لا يخلو كتاب من كتب التفسير عن الحديث عن اليوم الآخر وما فيه من أهوال عظام . وما يترتب على الإيمان به من نعيم مقيم وجنة وسرور وكرامة وإكرام وكذلك ما يترتب على الكفر باليوم الآخر من خوف وعذاب وشقاء ومصير بئيس في حميم وعذاب مقيم.

لا أدعي أنني أول من يكتب في هذا الموضوع والذي هو ركن من أركان الإيمان.

## هيكل البحث:

الفصل الأول : البعث واليوم الآخر.

الفصل الثاني : أسماء لليوم الآخر مأخوذة من الظرف الزمني.

الفصل الثالث : أسماء لليوم الآخر مأخوذة من الظرف المكاني.

الفصل الرابع : أسماء لليوم الآخر مأخوذة مما يجري فيه من أحداث رهيبة  
وشدائد وأهوال.

## الفصل الأول

### البعث واليوم الآخر

المبحث الأول : حكم وأدلة الإيمان باليوم الآخر :

الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان التي أثبتها القرآن الكريم  
وكذلك السنة المطهرة ، وأجمعت عليه الأمة.

### تعريف الإيمان :

"الإيمان في اللغة التصديق . والإيمان في لسان الشرع : هو

التصديق بالقلب والعمل بالأركان<sup>١</sup> "

الإيمان باليوم الآخر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰرِئِ  
وَالصَّٰبِغِينَ مِّنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ  
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> - صحيح مسلم شرح النووي - ج ١ - ص ١٤٦ .

<sup>٢</sup> - سورة البقرة - الآية ٦٢ .

في هذه الآية دعا الله تعالى أصحاب الملل والنحل جميعاً إلى الإيمان الصادق بالله وباليوم الآخر و إخلاص العمل لله تعالى فقال. [من آمن بالله واليوم الآخر] من آمن من هذه الطوائف إيماناً صادقاً فصدق الله وأيقن بالآخرة . [وعمل صالحاً] في الدار الدنيا. [فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون] ليس عليهم خوف في الآخرة ولا يحزنون حين يحزن المقصرون على تضييع العمر"<sup>١</sup>

قال تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الْآيَةَ لَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾<sup>٢</sup>.

" في هذه الآية يبين الله تعالى : ليس فعل الخير وعمل الصالح محصوراً في الصلاة. ولكن البر الصحيح الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والرسل"<sup>٣</sup> فالإيمان باليوم الآخر إذاً هو ركن من أركان الإيمان كما جاء في القرآن الكريم.

السنة النبوية هي الشارحة لكتاب الله تعالى والمبينة له ولا يكتمل أمر من أمور الدين إلا بعد أن يجمع ما بين القرآن الكريم والحديث النبوي. " عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث جبريل عليه السلام قال : فاخبرني عن الإيمان ، قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"<sup>٤</sup>.

وضَّح الحديث أن الإيمان باليوم الآخر ركنٌ من أركان الإيمان . فهو تصديق باليوم الآخر وعمل واستعداد له بالعمل الصالح.

---

<sup>١</sup> صفوة التفاسير م ١ - ص ٦٣ - محمد علي الصابوني.

<sup>٢</sup> - سورة البقرة - الآية ١٧٧.

<sup>٣</sup> - صفوة التفاسير م ١ - ص ١١٧.

<sup>٤</sup> - رواه مسلم .

## المبحث الثاني : الحساب والعقاب والثواب

الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان في هذه الدنيا ليعمرها ويتزود منها للآخرة. فالمؤمن يعيش حياته في طاعة الله عز وجل ، ياتمر بأمر الله تعالى على منهج الإسلام . أما الكافر والمنافق يتمتعان فيها كما تعيش الأنعام ؛ ذلك لأنَّ المؤمن باليوم الآخر يستعد للحساب ويؤمن بالثواب والعقاب فيعمل لما بعد الموت ، بينما الكفار الذين لا يؤمنون بالبعث يضيِّعون أعمارهم في اللهو واللعب والأكل والشرب والتفاخر والتكاثر حتى إذا حضر أحدهم الموت كانت حصيلة أعماله كسراب ببيعة. وهم في غفلة وإنكار وإعراض عن الإسلام.

قال تعالى ﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾<sup>١</sup>

وجاء في الحديث: [عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم : "بعثت أنا والساعة كهاتين"]<sup>٢</sup>.

وفي سورة الأنبياء كذلك ورد قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ ﴾<sup>٣</sup>

٣ ﴿٤٧﴾

قوله تعالى: ﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾<sup>١</sup>

عام في جميع الناس وإن كان المشار إليه في ذلك الوقت كفار قريش [وهم في غفلة معرضون] يريد الكفار"<sup>٤</sup>.

١ - سورة الأنبياء - الآية ١ .

٢ - رواه البخاري ومسلم .

٣ - سورة الأنبياء - الآية ٤٧ .

٤ - تفسير ابن عطية - ص ١٢٧٤ .

ورد ذكر الحساب والثواب والعقاب في القرآن في كثير من الآيات والسُّور ونجد مثلاً لذلك في سورة الزلزلة . " [زُلْزِلَتْ ] تحركت ورجّت رجاً عنيفاً [أَتَقَالَهَا] موتاها . وأخرجت ما في باطنها ليوم الحساب والجزاء . [تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ] [تخبر الأرض يومئذ بما عمل عليها من خير أو شر . [يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا ] يخرجون من قبورهم إلى المحشر متفرقين من أقطار الأرض [يُسْرَوُ أَعْمَلَهُمْ ] ليريهم الله تعالى ثواب أعمالهم"<sup>١</sup>

سورة الزلزلة وضّحت بجلاء ما يحدث للأرض وما عليها وما بداخلها من زلازل وتغييرات كونية كثيرة. وما يصاحب ذلك من أهوال وأحوال.

وفي الحديث : " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قرأ رسول الله صلى

الله عليه وسلم [يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ] ثم قال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فإن أخبارها أن تشهد على كل عبدٍ أو أمةٍ بما عمل على ظهرها تقول : عملت كذا وكذا في يوم كذا وكذا فهذه أخبارها"<sup>٢</sup>.

### المبحث الثالث : ما أعدَّ الله للمؤمنين في الجنة :

الله سبحانه وتعالى وصف لنا الجنة في القرآن الكريم ودعا إليها ورغب

فيها وأعدّها وجهزها للمؤمنين .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا

يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴿١٠٨﴾

<sup>١</sup> مفاتيح فهم القرآن للشيخ أحمد علي الإمام - ص ٥٩٩ .

<sup>٢</sup> - رواه الترمذي . - التحريج

<sup>٣</sup> - سورة الكهف - الآيات [١٠٧ - ١٠٨] .

وفي الحديث " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوق عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة " <sup>١</sup>

وجاءت أحاديث كثيرة تبين ما أعدَّ الله تعالى لعباده المؤمنين في الجنة. فالبشريات كثيرة نجدها في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية. فالمؤمنون في شوق للقاء ربهم وإكرامه ورضوانه وجنته.

وفي الحديث : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قال الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرعوا إن شئتم [فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون] <sup>٢</sup> <sup>٣</sup> وهذه الآية في سورة السجدة جاءت بعد الآيات التي بينت صفات وأخلاق المؤمنين الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ويدعون ربهم خوفاً وطمعاً فجاءتهم هذه البشارة بما أعدَّ الله لهم في الجنة من الإكرام والنزل.

#### المبحث الرابع : ما أعدَّ الله للكافرين والمنافقين في النار :

<sup>١</sup> - رواه البخاري ومسلم. - التخريج

<sup>٢</sup> - سورة السجدة - الآية ١٧

<sup>٣</sup> - متفق عليه



القرآن الكريم يجمع في خطابه بين البشارة بالخير والترغيب وبين الإنذار والترهيب. فإذا حدثنا القرآن الكريم عما أعدَّ الله تعالى للمؤمنين والصالحين من جنات ونهر وسلام وعيش وهناء وسعادة. يحدثنا كذلك عما ينتظر الكافرين والمنافقين من عذابٍ وسعيرٍ وشرٍ مستطيرٍ وخوفٍ وصياحٍ ووعيدٍ شديدٍ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾<sup>١</sup>

"يجمع الفريقين الكافرين والمنافقين في نار جهنم في الآخرة لأنَّ المرء مع من أحب وهذا الوعيد منه تعالى للتحذير من مخالطتهم ومجالستهم"<sup>٢</sup> ففي الآية بيان لما أعدَّ الله تعالى للكافرين والمنافقين في اليوم الآخر من العذاب في النار . وفيها تحذير للمؤمنين من موالاته الكافرين والمنافقين.

وفي الحديث: "إنَّ أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة. لرجلٍ يوضع في أخص قدميه جمرتان يغلي منها دماغه. ما يرى أنَّ أحداً أشدُّ منه عذاباً وإِنَّه لأهونهم عذاباً"<sup>٣</sup>.

وقد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم حرارة وفضاعة نار جهنم وشدة حرها مقارنة بالنار التي يستخدمها بنو آدم اليوم ويوقدونها. كما جاء في الحديث: "نار بني آدم التي يوقدون جزءً من سبعين جزءٍ من نار جهنم"<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> سورة النساء - الآية ١٤٠ .

<sup>٢</sup> صفوة التفاسير للصابوني - مجلد ١ - ص ٣١٢ .

<sup>٣</sup> - متفق عليه .

<sup>٤</sup> - رواه البخاري .

ونحن نعوذ بالله تعالى من نار جهنم . بل ونعوذ بالله من نار بني آدم التي  
نوقدها لطهي طعامنا وشرابنا

## الفصل الثاني

### أسماء لليوم الآخر مأخوذة من الظرف الزماني

#### المبحث الأول : يوم الحسرة :

قال تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣٩)



وفي الحديث : "عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم : إذ دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يجاء بالموت  
كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا  
فيشرفون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه . ثم يقال يا أهل النار  
هل تعرفون هذا ؟ فيشرفون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت . وكلهم قد رآه  
. فيؤمر به فيذبح ، فيقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود  
فلا موت . ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : [ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ  
الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ] وأشار بيده وقال : "أهل الدنيا في غفلة"<sup>١</sup> .  
وفي هذا الحديث شرح وبيان وتوضيح ليوم الحسرة وهو من أسماء اليوم الآخر  
كما تقدم . فيتحسر أهل النار لأنهم كانوا يأملون أن يموتوا فيرتاحوا من  
العذاب.

<sup>١</sup> - سورة مريم - الآية ٣٩ .

<sup>٢</sup> - رواه البخاري ومسلم .

## المبحث الثاني : يوم الحشر :

قال تعالى ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ  
النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ  
يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾<sup>١</sup>

خروج الدابة من العلامات الكبرى الدالة على الساعة أو القيامة. "إِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ] هذا بيان لمن يكون بين يدي الساعة أي : إذا قرب نزول العذاب وقيام الساعة وحين وقت عذاب الكفار [أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ..]. أخرجنا لهم دابة الأرض تكلم الناس وتناظرهم وتقول من جملة كلامها : ألا لعنة الله على الظالمين الذين لا يصدقون ولا يؤمنون بآيات الله وخروج الدابة من أشراط الساعة وخروجها حين ينقطع الخير ولا يؤمر بمعروف ولا ينهى عن منكر ولا يبقى منيب ولا تائب"<sup>٢</sup>.

وفي الحديث : "إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَخُرُوجَ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضَحَىٍّ وَأَيْتُهُمَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْآخِرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا"<sup>٣</sup>

وقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا ﴾ يعني وأذكر يوم نجمع للحساب والعقاب من كل أمة من الأمم جماعة وزمرة [مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا] من الجاحدين والمكذبين بآياتنا ورسلنا [فَهُمْ يُوزَعُونَ] فهم يجمعون ويساقون بعنف"<sup>٤</sup>  
هذه المشاهد العظيمة والهائلة والرهيبة ينقلها لنا القرآن الكريم وذلك ترهيباً من

<sup>١</sup> - سورة النمل - الآيات [٨٢ - ٨٣]

<sup>٢</sup> - صفوة التفاسير - للصابوني - المجلد الثاني - ص ٤١٩ .

<sup>٣</sup> - رواه مسلم .

<sup>٤</sup> - صفوة التفاسير - م ٢ - ص ٤٢٠ .

ذلك اليوم - يوم الحشر - يوم القيامة لنتبع الرسول صلى الله عليه وسلم ونؤمن به.

### المبحث الثالث : يوم البعث :

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾<sup>١</sup>

قال تعالى : ﴿ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ يقسمون لجأاً منهم ونشوراً على ما لا علم لهم به أنهم ما لبثوا تحت التراب غير ساعة هذا اتباع لتخيلهم الفاسد ونظرهم في ذلك الوقت على ما كانوا في الدنيا يبتغون فيؤفكون عن الحق أي: يصرفون. وقيل: المعنى: ما لبثوا في الدنيا غير ساعة. كأنهم استقلوها لما عاينوا أمر الآخرة<sup>٢</sup> .

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ ﴾ أي: وقال العقلاء من أهل الإيمان والعلم رداً عليهم وتكذيباً لهم : لقد مكثتم فيما كتبه الله في سابق علمه إلى يوم البعث الموعود - فهذا يوم البعث الذي كنتم تتكرونه. ولكنكم لم تصدقوا به لتفريطكم في طلب الحق وإتباعه.. في ذلك

<sup>١</sup> - سورة الروم - الآيات [ ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ ]

<sup>٢</sup> - تفسير ابن عطية - ص ١٤٨٢ .

اليوم لا ينفع الظالمين إعتذارهم"<sup>١</sup>

هذا شأن وحال الظلمة والكفرة في أخذهم الأمور بسطحية ولا مبالاة. فحين جاءته الرسل في الدنيا استكبروا عليهم وكذبوهم ولم يتبعوهم . حتى جاءهم الموت. وحين قاموا من القبور يوم القيامة يرجعون إلى خيالاتهم السقيمة فيكابرون ويظنون أنهم ما لبثوا في موتهم غير ساعة.

### المبحث الرابع : أولاً : يوم الدين - ثانياً : يوم الفصل :

هذان المسميان لليوم الآخر : يوم الدين و يوم الفصل . نجدهما في

سورة الصافات :

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا بَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ

﴿٢١﴾ ٢

الآيات التي سبقت هذه الآيات من سورة الصافات توضّح وتبين ما كان عليه الكفرة من سخرية برسلمهم واستهزاء ، واتهامهم لأنبيائهم بالسحرة وأنّ ما جاءوا به هو السحر المبين وهم في غفلة معرضون عن البيان والمعجزات الواضحات التي تدل على البعث والنشور .

قوله تعالى: ﴿ أَوَدَا مِنَّا وَكُنَّا نُرَابًا وَعِظْمًا إِيَّانَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ والاستفهام

للإنكار والاستهزاء .. أي إذا أصبحت . أجسادنا بالية وتفتتت أجزاءها إلى تراب

<sup>١</sup> - صفوة التفاسير - م ٢ - ص ٤٨٣ - ٤٨٤ .

<sup>٢</sup> - سورة الصافات - الآيات قم [٢٠ - ٢١] .

وعظام سوف نبعث؟ أو آباؤنا الأولون كذلك يبعثون يعنون أن آباؤهم أقدم.  
وهذا زيادة في الاستبعاد للأمر. [قل نعم] أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم  
أن يجيبهم بنعم وأنتم داخرون يعني وأنتم صاغرون. [فإنما هي زجرة واحدة]  
أي: وما هي إلا صيحة واحدة ينفخ فيها إسرافيل في الصور للقيام من القبور.  
و الزجرة : الصيحة وهي النفخة الثانية.

[فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ] فإذا هم قيام في أرض المحشر ينظر بعضهم إلى بعض ثم  
يخبرهم الله تعالى عن حسرتهم وندامتهم عند معاينتهم أهوال القيامة [وَقَالُوا بَوَّيْنَا  
هَذَا يَوْمَ الدِّينِ] أي يا حسرتنا وهلاكنا هذا يوم الجزاء والحساب وتقول لهم  
الملائكة على سبيل التوبيخ والتقريع: [هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ] أي  
: هذا يوم الفصل بين الخلائق الذي كنتم تتكرونه وتكذبون به<sup>١</sup>. هذا هو  
المصير الذي قررته الآيات للمكذبين باليوم الآخر والكافرين بالبعث والنشور  
والمكذبين بالجزاء والحساب. ومصيرهم هو أن يحشروا ثم يساقوا إلى طريق  
الجحيم وأن يسألوا سؤال توبيخ وتبكييت ما لكم لا تتناصرون وأين آلهتكم التي  
كنتم تعبدونها من دون الله؟! هل ستنصركم؟! أين هي الآن!؟

#### المبحث الخامس : يوم الحساب :

يوم الحساب يوم يجازى فيه الناس ويحاسبون على أعمالهم والكفار الذين  
ينكرون البعث والقيامة واليوم الآخر ينكرون الحساب ولا يصدقون بأن هنالك

<sup>١</sup> - صفوة التفاسير - م ٣ - ص ٣٠.

يوم يحاسب ويجازى فيه الناس فكفرهم بالحساب يجعلهم لا يحسنون عملاً من أجل الحساب وإنما يعيشون حياتهم كالأنعام يأكلون ويتمتعون. قال تعالى ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾<sup>١</sup>

"لما هدد فرعون موسى عليه السلام بالقتل استعاذ بالله عز وجل من كل متعظم عن الإيمان بالله غير مؤمن بالبعث والنشور"<sup>٢</sup>

يقول فرعون لقومه في الآيات التي سبقت هذه ذروني أقتل موسى حتى لا يفسد في الأرض أو يصرفكم عن عبادتي . وفرعون يخاف على ملكه وعرشه ويتظاهر أمام قوم بأنه يستشيرهم ويأخذ برأيهم..

"وقال موسى إني عذت بربي وربكم] أي : إني استجرت بالله واعتصمت به ليحفظني [مِن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ] أي: من كل جبار عنيد متكبر عن الإيمان بالله لا يصدق بالآخرة. ولم يذكره باسمه ليشمل فرعون وغيره وليكون فيه وصف لغير فرعون بذلك الوصف القبيح"<sup>٣</sup>.

نلاحظ أن فرعون الضال والمفسد والمدعي للربوبية يحاول أن يظهر للرعية حرصه عليهم وعلى مصلحتهم فهو يحذرهم من موسى عليه السلام وأمثاله من المصلحين ، وهو حال الكثير من المستكبرين الذين يحكمون الدول اليوم بغير منهج الله عز وجل وهذا منهجهم في صرف الرعية عن الدعاة

<sup>١</sup> - سورة غافر - الآية ٢٧ .

<sup>٢</sup> - فتح القدير - للشوكاني - م ٤ - ص ٤٨٨ .

<sup>٣</sup> - صفوة التفاسير - م ٣ - ص ١٠٠ .

والمرشدين. وكما استعاذ موسى عليه السلام بربه واستجار نرى اليوم الكثير من دعاة الحق في دول الفراعنة يلوذون بربهم ويشكون إليه الظلم والاستكبار والاستبداد . وهذه صورٌ من صور الصراع بين الحق والباطل على مرّ التاريخ وفي كل زمان ومكان.

ونجد سلوى المؤمنين في صبرهم على دينهم وإيمانهم بما لهم عند الله تعالى من الكرامة والإكرام يوم يوفى الصّابرون أجرهم بغير حساب. وفي الحديث : "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتَرُهُ مِنَ النَّاسِ . وَيَقْرُرُهُ بِذُنُوبِهِ وَيَقُولُ لَهُ : أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا وَكَذَا أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا وَكَذَا . حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ قَالَ : سَتَرْتَهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ ثُمَّ يُعْطِي كِتَابَ حَسَنَاتِهِ . وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الشَّاهِدُ : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ"<sup>١</sup>

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٤﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْقِدْتَهُمْ هَوَاءً ﴿٤٣﴾ ﴾<sup>٢</sup>

فما دام هنالك يوم للحساب يجازى فيه المحسن على إحسانه ويحاسب المسيء على إساءته فلا ظلم ولا ضياع لصبر الصابرين من المؤمنين.

<sup>١</sup> واه البخاري.

<sup>٢</sup> - سورة إبراهيم - الآيات [٤٢ - ٤٣].



وجاء في الآيات التي تلت هذه الآية مسميات لليوم الآخر بصيغ متعددة منها قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَوْمَ يَأْتِيكُمُ الْمَلَائِكَةُ مَعَهُ السُّعُودُ فَإِذَا هُمْ فِي عَذَابٍ مُّتَسَاوِينَ ﴾<sup>١</sup>

"أي مثل أيام العذاب التي عذب بها المتحزبون على الأنبياء"<sup>٢</sup>

وقوله تعالى: ﴿ وَيَقَوْمِ إِتِيَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾<sup>٣</sup>

"يعني يوم القيامة لأن الناس إذا رأوا زلزلة الأرض ينادي بعضهم بعضاً"<sup>٤</sup>

### المبحث السادس : يوم الوعيد ويوم الخلود ويوم الخروج :

هذه ثلاث مسميات لليوم الآخر تجدها في سورة "ق" وكما هو التعبير القرآني البياني البلاغي جاء كل مسمى يتناسق تماماً مع سياق الآيات السابقة واللاحقة.

قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ<sup>٥</sup> ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ ﴾<sup>٦</sup> وَحَمَّتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ<sup>٧</sup>

وقال تعالى: ﴿ أَدْخُلُوهَا بِسَلْطَنٍ<sup>٨</sup> ذَلِكَ يَوْمَ الْخُلُودِ ﴾<sup>٩</sup>

<sup>١</sup> - سورة غافر - الآية ٣٠.

<sup>٢</sup> - صفوة التفاسير - م ٣ - ص ١٠١.

<sup>٣</sup> - سورة غافر - الآية ٣٢.

<sup>٤</sup> - ابن كثير - م ٤ - ص ٧٩.

<sup>٥</sup> - سور ق - الآيات [٢٠ - ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ۚ

ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾<sup>٢</sup>

هذه سورة "ق" وشأنها كما هو شأن القرآن المكي تعالج أصول العقيدة الإسلامية: الوجدانية والرسالة والبعث. ونجد المحور الذي تدور حوله هذه السورة وطابعها الخاص هو البعث والنشور. بقيام البرهان الواضح والحجة الدامغة مع ما اشتملت عليه آياتها من الترغيب والترهيب بما أعد الله تعالى للمؤمنين في دار الكرامة". والجنة وبما توعد الله عز وجل به المكذبين المنكرين للبعث والنشور والحساب من عذاب شديد للكفار من الأمم السابقة وفي ذلك تحذير وتخويف لكفار قريش.

يعيش الإنسان في هذه الحياة الدنيا وهو مراقب من الله تعالى وهو العليم ومع علمه تعالى بحال الإنسان وعمله إلا أنه وكل به ملائكة تكتب وتحصي أعماله من خير أو شر حتى ينقضي عمر الإنسان ويأتيه الموت.

" [وَنُفِخَ فِي الصُّورِ] أي: نفخ في الصور نفخة البعث ذلك هو اليوم الذي وعد الله الكفار به بالعذاب. [وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ] وجاء كل إنسان برأ كان أم فاجراً ومعه ملكان: أحدهما يسوقه إلى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله . لقد

<sup>١</sup> - سورة ق - الآية [٣٤]

<sup>٢</sup> - سورة ق- الآيات [٤١ - ٤٢].

كنت أيتها الإنسان في غفلة من هذا اليوم العصيب"<sup>١</sup>  
ثم تأتي الآيات بعد هذه الآية توضح مصير كل كفّار عنيد مناع للخير  
معتد جعل مع الله إلهاً آخر وأشرك ولم يؤمن ويوحّد الله تعالى.

ثم تذكر الآيات التالية لها حال المؤمنين الذين آمنوا وصدقوا وعملوا  
الصالحات .

قال تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ (٣١) أي : قربت للمتقين تقريباً غير  
بعيد منهم بحيث يشاهدونها وينظرون ما فيها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت  
ولا خطر على قلب بشر [هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ] هذا الذي تروونه من  
فنون نعيمها ما توعدون هذا لكل رجّاع إلى الله بالتوبة وقيل: المسيح وقيل هو  
الذاكر لله في الخلوة. ويذكر ذنوبه فيستغفر منها. والحافظ لأمر الله ولما  
استودعه الله من حقه ونعمته. [وجاء بقلب منيب] راجع إلى الله مخلص  
لطاقته. وقيل: المنيب المقبل على الطاعة. يقال لهم [أَدْخُلُوهَا سَلَامًا] أي:  
بسلام من الله وملائكته. وبسلامة من العذاب وبسلامة من زوال النعم [ذَلِكَ يَوْمٌ  
الْخُلُودِ] سماه يوم الخلود؛ لأنّه لا انتهاء له . بل هو دائم أبداً. [وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ] من  
النعم التي لم تخطر لهم على بال ولا مرّت لهم في خيال"<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> - صفوة التفاسير - م ٣ - ص ٢٤٤ .

<sup>٢</sup> - فتح القدير - م ٥ - ص ٧٧ - ٧٨ .

نلاحظ أن القرآن الكريم في كلامه عن سكرة الموت ، وهروب الناس وخوفهم ونفخة الصورة وأهوالها ، وما يصاحبها من الصعاب ، كان المسمى [يوم الوعيد]. وفي الآيات التي تلت ذلك لما كان الحديث وكان الجديد في التعبير القرآني عن الجنة وأنها أزلفت وقربت من المؤمنين ووصفهم بالأوابين والحافظين لأمر الله ودينه والخاصعين الذين يخشون الرحمن بالغيب وبقلوب منيية وجلة وجاء الإذن بالدخول إلى الجنة بسلام كان التعبير القرآني : [يوم الخلود] ، وفي الآيات التي تلت ذلك جاء البيان القرآني بالتنبيه لمناداة المنادي وسماع الصيحة من نافخ الصور بصوتها الرهيب القوي عبّر القرآن الكريم عن اليوم الآخر بقوله تعالى: ﴿يوم الخروج﴾ .

"إقال تعالى: ﴿واستمع يوم يناد المناد﴾ أي: استمع يا محمد النداء والصوت حين ينادي إسرافيل من موضع قريب يصل صوته إلى الكل على السواء. وفيه تهويل وتقطيع حين يقول إسرافيل عليه السلام: أيتها العظام البالية والوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وهي النفخة الثانية"<sup>١</sup>

وقيل: "إسرافيل ينفخ وجبريل ينادي بالحشر"<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> - صفوة التفاسير - م ٣ - ص ٢٤٨ .

<sup>٢</sup> - الكشاف - م ٤ - ص ٣٥ .

[ذلك يوم الخروج] أي : ذلك يوم الخروج من القبور . [إنا نحن نحي ونميت  
وإلينا المصير . يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً] فيخرجون من القبور مسرعين  
إلى موقف الحساب استجابة لنداء المنادي"<sup>١</sup>

### المبحث السابع : يوم الجمع ويوم التغابن :

في سورة التغابن ورد اسم يوم الجمع ويوم التغابن فسميت به السورة.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾<sup>٢</sup>

سبحان الله العظيم . ففي آية واحدة يشار ليوم القيامة وهو اليوم الآخر  
باسمين هما يوم الجمع ويوم التغابن.

قال تعالى: [يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ] أي: ليوم القيامة فإنه يجمع فيه أهل  
المحشر للجزاء . ويجمع فيه بين كل عامل وعمله وبين كل نبي وأمته وبين كل  
مظلوم وظالمه [ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ] ذلك يعني أنّ يوم القيامة هو يوم التغابن وهو  
أنه يغبن فيه بعض أهل المحشر بعضاً فيغبن فيه أهل الحق أهل الباطل فيغبن  
فيه أهل الإيمان أهل الكفر . وأهل الطاعة أهل المعصية . ولا غبن أعظم من  
غبن أهل الجنة أهل النار . عند دخول هؤلاء الجنة وهؤلاء النار . فنزلوا منازلهم  
التي كانوا سينزلونها لو لم يفعلوا ما يوجب النار . فكان أهل النار استبدلوا

<sup>١</sup> - صفوة التفاسير - م ٣ - ص ٢٤٨ .

<sup>٢</sup> - سورة التغابن - الآية ٩ .

الخير بالشر والجيد بالردىء والتَّعِيم . بالعذاب وأهله الجنة على العكس من ذلك.

يقال غبن فلاناً : إذا بايعته أو شاربته فكان النقص عليه والغلبة، فالمغبون من غبن أهله ومنازله في الجنة"<sup>١</sup>.

"[يوم الجمع] أي: واذكروا ذلك اليوم الرهيب - يوم القيامة- الذي يجمع الله تعالى فيه الخلائق كلها في صعيد واحد للحساب والجزاء. يسمعهم الداعي وينفذهم البصر. [ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ] أي : ذلك اليوم الذي يظهر فيه غبن الكافر وخسارته بتركه الإيمان والغبن هو أخذ الشيء بدون قيمته ويظهر غبن كل مؤمن بتقصيره في الإحسان"<sup>٢</sup>.

فالיום الآخر هو يوم التغابن وهو يوم الجمع فالأمر واضح وفاضح على رؤوس الأشهاد ، وقد كشف المستور وظهر الحق فيتحسر الجميع على عدم العمل الصالح والإخلاص والزيادة والإكثار من الخير وسميت به سورة كاملة هي سورة التغابن غير أننا نجد هذا الاسم في غيرها من السور.

---

<sup>١</sup> - فتح القدير - م ٥ - ص ٢٣٧.

<sup>٢</sup> - صفوة التفاسير - م ٣ - ص ٣٩٣.

## المبحث الثامن : يوم القيامة :

وهو المسمى الشائع الأكثر استخداماً لليوم الآخر . وسميت به سورة كاملة هي سورة القيامة . وهي تعالج موضوع البعث والجزاء والإيمان باليوم الآخر ..  
وتتحدث السورة عن القيامة وأحوالها وشدائدها . وما يلاقيه الكافر في الآخرة والسورة كلها تصلح للحديث عن اليوم الآخر ولكننا نكتفي بالوقوف عند بعض الآيات الواردة فيها .

قال تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝١ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ

عِظَامَهُ، ۝٣﴾<sup>١</sup> " [لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ] أي : أقسم بيوم القيامة . يوم الحساب

والجزاء . [ولا أقسم بالنفس اللوامة] أي: بالنفس المؤمنة التقية التي تلوم صاحبها على ترك الطاعات وفعل الموبقات: قال المفسرون " [لا] لتأكيد القسم وقد اشتهر في كلام العرب الزيادة [لا] قبل القسم لتأكيد الكلام كأنه من الوضوح والجلاء بحيث لا يحتاج إلى قسم . وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن ولتحاسبن دل عليه قوله: [أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ،] . أقسم تعالى بيوم القيامة لعظمه وهوله وأقسم بالنفس التي تلوم صاحبها على التقصير في جنب الله وتستغفر وتتنيب مع طاعتها وإحسانها . وهي نفس المؤمن<sup>٢</sup> .

قوله تعالى: [أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ،]

<sup>١</sup> - سورة القيامة - الآيات [ ١ - ٣ ] .

<sup>٢</sup> - صفوة التفاسير - م ٣ - ص ٤٨٤ .

نزلت في عمر بن ربيعة وذلك أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: حدثني عن يوم القيامة متى يكون وكيف أمرها وحالها. فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك. فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أؤمن به أو يجمع الله هذه العظام؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية<sup>١</sup>

"قوله تعالى: [يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] أي: يسأل هذا الكافر الفاجر على سبيل الاستهزاء والتكذيب - متى يكون هذا اليوم يوم القيامة؟ وهو سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة<sup>٢</sup>.

[إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ] أي " إلى الله جلَّ وعلا مساق العباد يجتمع عنده الأبرار والفجار ثم يساقون إلى الجنة أو النار".

### الفصل الثالث

#### أسماء لليوم الآخر مأخوذة من الظرف المكاني

#### المبحث الأول : دار الآخرة :

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْقِذِينَ ﴿٨٣﴾<sup>١</sup>

<sup>١</sup> - أسباب النزول للنيسابوري - ص ٣٣٩.

<sup>٢</sup> - صفوة التفاسير - م ٣ - ص ٤٨٥.



قوله تعالى: [تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ] الإشارة للتفخيم والتعظيم أي: تلك الدار العالية الرفيعة التي سمعت خبرها وبلغك وصفها هي دار النعيم الخالد السرمدى. التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر نجعلها للمتقين الذين لا يريدون التكبر والطغيان ولا الظلم والعدوان في هذه الحياة الدنيا<sup>٢</sup>.

نلاحظ في السياق العام للآيات التي سبقت هذه الآية التي نحن بصدد توضيح معناها أن الآيات السابقة تحدثت عن الطغاة. فبعد أن ذكرت قصة قارون وهي حالة تمثل الطغيان بالمال، ثم تلتها قصة الطغيان بالجاه والسلطان في قصة فرعون مع سيدنا موسى عليه السلام، ليعقب ذلك مباشرة بهذه الآية [تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا] وفيها بشارة لموسى عليه السلام والمؤمنين معه.

"[لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا] أي: التجبر في الأرض والأخذ بغير الحق والبغي"<sup>٣</sup>.

### المبحث الثاني : دار القرار:

<sup>١</sup> - سورة القصص - الآية ٨٣.

<sup>٢</sup> - صفوة التفاسير - م ٢ - ص ٤٤٧.

<sup>٣</sup> - فتح القدير - م ٤ - ص ١٩٠.

قال تعالى: ﴿يَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَعٌ وَإِنَّ الْأَخْرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ



وكما أسلفنا في حديثنا عن يوم الحساب ويوم الأحزاب ويوم التناد التي وردت مسمياتها في صدر سورة غافر. وهي مسميات حسب الظرف الزمني فهنا الاسم مأخوذ من الظرف المكاني.

" يقول المؤمن لقومه ممن تمرد وطغى وأثر الحياة الدنيا ولم يؤمن برسول الله موسى عليه السلام . [يَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَعٌ] أي : قليلة زائلة فانية عن قريب تذهب وتضمحل [وَإِنَّ الْأَخْرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ] أي: الدار التي لا زوال لها. ولا انتقال منها ولا ظعن عنها إلى غيرها بل. إمَّا نعيم وإمَّا جحيم" <sup>٢</sup>.

"[وَإِنَّ الْأَخْرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ] أي: وإن الدار الآخرة هي دار الاستقرار والخلود التي لا زوال لها ولا انتقال منها فإمَّا خلود في النعيم أو خلود في الجحيم. والمراد بذلك الجنة والنار؛ لأنَّهما لا يفنيان" <sup>٣</sup>

<sup>١</sup> - سورة غافر - الآيات ٣٩.

<sup>٢</sup> - تفسير ابن كثير - م ٢ - ص ٨٠.

<sup>٣</sup> - صفوة التفاسير - م ٣ - ص ١٠٣.

وعلى المسلم أن يعمل لتلك الدار الباقية ودار الاستقرار والخلود الأبدى.  
فبعد لها العمل الصالح و القربات الباقية التي يقدمها لحياته الأبدية في جنة  
عرضها السموات والأرض.

**المبحث الثالث : دار الخلد :**

قال تعالى: ﴿فَلَنذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ

﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ هُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾<sup>١</sup>

"فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً] هذا وعيد لجميع الكفار ويدخل فيهم الذين جحدوا القرآن من الكفار. [ولنجزيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ] أي: ولنجزينهم في الآخرة جزاء أقبح أعمالهم التي عملوها في الدنيا وهو الشرك. وقيل المعنى: أنه يجازيهم بمساويء أعمالهم لا بمحاسنها كما يقع منهم من صلة الأرحام وإكرام الضيف. لأن ذلك باطل لا أجر له مع كفرهم. [ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ هُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ] أي: دار الإقامة المستمرة التي لا انقطاع لها. [جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ] يجوزون جزاء بسبب جحدهم بآيات الله. يعني القرآن يجحدون أنه من عند الله"<sup>٢</sup>.

" [فَلَنذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا] أي: فوالله لنذيقن هؤلاء الكفار المستهزئين بالقرآن عذاباً شديداً لا يخف ولا ينقطع. [وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ] أي: ولنجازينهم بشر أعمالهم وسيء أفعالهم أسوأ وأقبح الجزاء. [ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارِ] ذلك العذاب الشديد الذي هو أسوأ الجزاء. هو نار جهنم كجزاء المجرمين أعداء الله ورسوله. [هُمَّ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ] لهم في جهنم دار الإقامة. لا يخرجون منها أبداً. [جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ] أي: جزاء لهم على كفرهم بالقرآن

<sup>١</sup> - سورة فصلت - الآيات [٢٧ - ٢٨].

<sup>٢</sup> - فتح القدير - م٤ - ص ٥١٤.

واستهزأهم بآيات الرحمن ؛ لأنهم لما علموا أنّ القرآن بالغ إلى حد الإعجاز خافوا إن سمعه الناس أن يؤمنوا به فاخترعوا تلك الطريقة الفاسدة وذلك يدل على أنهم علموا كونه معجزاً إلا أنّهم جحدوه حسداً<sup>١</sup>. سبحان الله فالكفار إذاً لا يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلمون أن ما جاء به هو من عند الله تعالى ولكنهم يجحدون ذلك ويستكبرون أن يسلموه قيادهم ويتبعونه وهؤلاء هم الزعماء والقادة والسادة ظنوا بجهلهم أنّ الإيمان يسلبهم السيادة والزعامة.

### الفصل الرابع

#### أسماء لليوم الآخر مأخوذة مما يجري فيه من أحداث رهيبة وشدائد وأهوال

##### المبحث الأول : الآزفة :

قال تعالى: ﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾ أَزْفَتِ الْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ

كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ ٢

"[هذا] القرآن [نذير من النذر الأولى] إنذار من جنس الإنذارات الأولى التي أنذر بها من قبلكم ، أو هذا الرسول منذر من المنذرين الأولين. [أزفت الآزفة] قربت الموصوفة بالقرب [لَيْسَ لَهَا] نفس [كَاشِفَةٌ] أي : مبينة متى تقوم لا

<sup>١</sup> - صفوة التفاسير - م ٣ - ص ١٢٢ .

<sup>٢</sup> - سورة النجم - الآيات [٥٦ - ٥٨] .

يجليها لوقتها إلا هو. أي : ليس لها نفس قدرة على كشفها إذا وقعت إلا الله غير أنه لا يكشفها وهي على الظالمين ساءت الغاشية<sup>١</sup>.

"[هَذَا نَذِيرٌ] يعني محمد صلى الله عليه وسلم [مِنَ النَّذْرِ الْأَوَّلِ] من جنسهم أرسل كما أرسلوا. [أزفة الآزفة] اقتربت القريبة وهي القيامة. [لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ] أي : لا يدفعها إذاً من دون الله أحد ولا يطلع على علمها سواء والنذير أي: الحذر لما يعاين من الشر الذي يخشى وقوعه في من أنذرهم<sup>٢</sup>.

"[الْأَزْفَةُ] سميت أزفة لدنوها وقرب قيامها<sup>٣</sup>"

وجاءت الآيات التي تليها لتبين غفلة الناس عن اليوم الآخر وهم لاهون وغافلون وبضحكون استهزاء عند سماع القرآن ولا يبكون ولا ينتبهون لما فيه من المواعظ والإرشادات ، مع قرب الساعة والقيامة التي ستفاجئهم بأهوالها وشدائدها.

### المبحث الثاني : الحاقة :

قال تعالى: ﴿ الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝٣ ﴾<sup>٤</sup>

"[الْحَاقَّةُ] الساعة الواجبة الوقوع . الثابتة المجيء. التي هي آتية لا ريب فيها. أو التي فيها حواق الأمور من الحساب والثواب والعقاب. أو التي تحوق فيها

١ - الكشَّاف - م - ٤ - ص ٤٣.

٢ - تفسير ابن كثير - م - ٤ - ص ٢٥٩.

٣ - صفوة التفاسير - م - ٣ - ص ٢٨٠.

٤ - سورة الحاقة - الآيات [١ - ٢ - ٣].

الأمر أي: تعرف على الحقيقة. من قولك لا أحق هذا أي لا أعرف حقيقته.  
جعل الفعل لها وهو لأهلها.

[مَا الْحَاقَّةُ] والأصل الحاققة ما هي أي: أي شيء هي. تفخيماً لشأنها وتعظيماً  
لهولها فوضع الظاهر موضع المضمرة لأنه أهول لها [وَمَا أَدْرَبَكَ] وأي شيء  
أعلمك ما الحاققة. يعني أنك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها.

على أنه من العظم والشدة بحيث لا يبلغه دراية أحد ولا وهمه وكيفما قدرت  
حالتها فهي أعظم من ذلك<sup>١</sup>.

"[الحاققة] من أسماء يوم القيامة لأنَّ فيها يتحقق الوعد والوعيد ولهذا عظم الله  
أمرها فقال : [وَمَا أَدْرَبَكَ مَا الْحَاقَّةُ] <sup>٢</sup>"

"قوله: [الْحَاقَّةُ] هي القيامة لأنَّ الأمر يحق فيها وهي تحق في نفسها من غير  
شك. يقال: حاقفته فحقته أحقّه، غالبته فغلبته أغلبه.

فالقيامة حاقّة لأنّها تحاق كل محاق في دين الله بالباطل. وتخصم كل  
مخاصم وقال في الصحاح : حاقّة. أي: خاصمه في صغار الأشياء. ويقال  
ماله فيها حق ولا حقاق ولا خصومة. والتّحاق التخاصم. والحاقّة والحقة والحق  
ثلاث لغات بمعنى. وهي القيامة في قول كل المفسرين.

<sup>١</sup> - الكشاف - م ٤ - ص ١٣٢ - ص ١٣٣.

<sup>٢</sup> - ابن كثير - م ٤ - ص ٤١٢.

وسميت بذلك لأنها ذات الحواق من الأمور. وهي الصادقة الواجبة  
الصدق.

وقيل: سميت بذلك ؛ لأن كل إنسان فيها حقيقاً بأن يجزى بعمله.

"ما الحاقة أي: أي شيء هي في حالها أو صفاتها. ومعناها التعظيم والتفخيم  
لشأنها.

[وما أدراك ما الحاقة] أي : أي شيء أعلمك ما هي؟ أي : كأنك لست  
تعلمها إذا لم تعينها وتشاهد ما فيها من الأحوال. فكأنها خارجة عن دائرة علم  
المخلوقين"<sup>١</sup>

سبحان الله العظيم فكل اسم من هذه المسميات لليوم الآخر - يوم القيامة -  
يحمل في داخله أعظم معاني البيان البلاغة والإعجاز والتّحدي.

### المبحث الثالث : الطّامة :

قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطّٰمَٔةُ الْكُبْرٰى﴾<sup>٢</sup>

"قال تعالى: [فَإِذَا جَاءَتِ الطّٰمَٔةُ الْكُبْرٰى] أي: الداهية العظمى التي تطمّ على سائر  
الطّامات. وهي النفخة الثانية. وقيل : هي القيامة سميت بذلك لأنها تطمّ على  
كل شيء عظم هولها.

<sup>١</sup> - فتح القدير - م ٥ - ص ٢٧٩.

<sup>٢</sup> - سورة النازعات - الآية ٣٤



والطَّامَّة عند العرب الداهية التي لا تستطاع وإنَّما أخذت فيما أحسب من قولهم: طَمَّ الفرس طمياً استفرغ جهده في الجري. وطَمَّ الماء إذا مَلَأ النَّهْر كَلَّهُ. والطمم الدفن.

والطَّامَّة الكبرى هي التي تسلم أهل الجنَّة إلى الجنَّة وأهل النار إلى النار"<sup>١</sup> [الطَّامَّة] الداهية التي تطم على الدواهي أي: تعلو وتغلب. وفي أمثالهم جرى الوادي فطمَّ على القرى. وهي القيامة. لطمومها على كل هائلة. وقيل هي النفخة الثانية. وقيل السَّاعة التي يساق فيها أهل الجنَّة إلى الجنَّة وأهل النار إلى النَّار"<sup>٢</sup>.

#### المبحث الرابع : الصَّاحَّة :

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ ﴾ (٣٣) يَوْمَ يَقْرَأُ الرَّءُفُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَحْبِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) ﴿<sup>٣</sup>

وفي الحديث: عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: تحشرون حفاة عراة غرلاً. فقالت زوجته: أينظر بعضنا إلى عورة بعض؟ فقال: يا فلانة لكل امرئٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يغنيه"<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> - فتح القدير - م ٥ - ص ٣٧٩.

<sup>٢</sup> - الكشاف - م ٤ - ص ١٨٣.

<sup>٣</sup> - سورة عبس - الآيات [٣٣-٣٧].

<sup>٤</sup> - رواه الترمذي.

"الصَّائِغُ" يقال صحَّ لحديثه مثل أصاخ له فوصفت النَّفْخَةَ بالصَّائِغَةَ مجازاً لأنَّ الناس يصخون لها. [يفرّ] منهم لاشتغاله بما هو مدفوع إليه. ولعلمه أنَّهم لا يغنون عنه شيئاً. وبدأ بالأخ ثم الأبوين لأنهما أقرب منه ، ثم بالصاحبة والبنين ؛ لأنَّهم أقرب. كأنَّه قال: يفر من أخيه بل من أبويه . بل من صاحبتة وبنيه. وقيل: يفر منهم حذراً من مطالبتهم بالتبعات. يقول الأخ لم تواسيني بمالك. والأبوان قصرت في برِّنا والصَّاحبة أطعمتني الحرام وفعلت وصنعت. والبنون لم تعلمنا ولم ترشدنا [يعنيه] يكفيه في الاهتمام به<sup>١</sup>.

"الصَّائِغُ" اسم من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحذره. وقيل الصَّائِغَةُ يعني صيحة يوم القيامة سميت بذلك لأنها تصخ الأسماع أي تبالغ في إسماعها حتى تكاد تصمها. [يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَحْبِهِ وَبَنِيهِ] أي: يراهم ويفر منهم ويبتعد منهم ؛ لأن الهول عظيم والخطب جليل. قيل: يقول الرجل لزوجته أي بعل كنت لك؟ فنقول نعم البعل كنت وتنتي عليه بخير ما استطاعت. فيقول لها فإني أطلب إليك اليوم حسنة واحدة تهيبها لي لعلني أنجو مما ترين . فنقول ما أيسر ما طلبت ولكن لا أطيق أن أعطيك شيئاً أتخوف مثل الذي تخاف<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> - الكشاف - م ٤ - ص ١٨٧.

<sup>٢</sup> - تفسير ابن كثير - م ٤ - ص ٤٧٣.

وكذا يكون الحال بين كل والدٍ وولده وبين كل مولود ووالده والناس كلها في مناداة وصياح وطلب ورجاء ولا أحد من الناس يعير اهتماماً لغيره مهما كانت القرابة والعلاقة والصلة فكل إنسان مشغول بنفسه عن غيره.

"[الصَّخَّةُ] يعني صيحة يوم القيامة وسميت صاخة لشدة صوتها ؛ لأنها تصخّ الآذان. وقيل: سميت صاخَّةً ؛ لأنها يصيح لها الأسماع. من قولك أصاخ إلى كذا أي استمع إليه وهي في اللغة مأخوذة من الصَّكَّ الشديد"<sup>١</sup>

#### المبحث الخامس : الغاشية :

قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾<sup>٢</sup>

"[الْغَاشِيَةِ] الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم أهوالها يعني القيامة. من قوله "يوم يغشاهم العذاب". وقيل النار من قوله وتغشى وجوههم النار ومن فوقهم غواش [يومئذٍ] يوم إذ غشيتهم [خاشعة] ذليلة [عاملة ناصبة] تعمل في النار عملاً تتعب فيه وهو جرها السلاسل والأغلال. وخوضها في النار كما تخوض الإبل في الوحل ارتقاؤها دائبة في صعود من نار وهبوطها في حذور منها. وقيل: عملت في الدنيا أعمال السوء. والتذت بها وتتعمت فهي في نصبٍ منها في الآخرة.

وقيل : عملت ونصبت في أعمال لا تجدي عليها في الآخرة"<sup>١</sup>

<sup>١</sup> - فتح القدير - م ٥ - ص ٣٨٥.

<sup>٢</sup> سورة الغاشية - الآية ١.

"[الغاشية] من أسماء يوم القيامة . لأنها تغشى الناس وتعمهم. [خاشعة] أي: ذليلة. تخشع ولا ينفعها عملها [عاملة ناصبة] أي: قد عملت عملاً كثيراً ونصبت فيه وصليت يوم القيامة ناراً حامية. وقيل : عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في النار بالعذاب والإهلاك. وقيل: النَّصَارَى"<sup>٢</sup>

"[هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ] قال جماعة من المفسرين : هل هنا بمعنى قد. أي: قد جاءك يا محمد حديث الغاشية. وهي القيامة لأنها تغشى الخلائق بأهوالها . وقيل :الغاشية النار تغشى وجوه الكفار خاشعة الخاشعة الذليلة الخاضعة والمراد بالوجوه هنا أصحابها يعني الكفار لأنهم تكبروا عن عبادة الله. وقيل : المراد وجوه اليهود والنصارى على الخصوص.

[عاملة ناصبة] وهذا العمل هو جر السلاسل والأغلال والخوض في النار . ناصبة تعبة. وقيل: تعمل في الدنيا بالكفر والمعاصي. وتنصب في ذلك"<sup>٣</sup>

وكما نرى من أقوال أئمة التفسير فالغاشية هي القيامة ومن أسماء يوم القيامة . وإن كان لكل اسم نصيبه الذي يلزمه من أحوال وأهوال القيامة واليوم الآخر. وفي السورة نجد حديثاً عن ما أعد الله تعالى للكفار في النار الحامية والسقي من عين بالغة الشدة في الحرارة وكذلك نجد في السورة ما أعد الله تعالى للمؤمنين في الجنَّة العالية بما فيها من نعيم مقيم.

١ - الكشاف - م ٤ - ص ٥٠٢.

٢ - تفسير ابن كثير - م ٤ - ص ٥٠٢.

٣ - فتح القدير - م ٥ - ص ٤٢٨.

## المبحث السادس : القارعة :

قال تعالى ﴿الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾﴾<sup>١</sup>

"[الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ] القارعة القيامة نفسها لأنها تفرع القلوب بهولها. وقال قوم من المتأولين: القارعة صيحة النفخة في الصور؛ لأنها تفرع الأسماع وفي ضمن ذلك القلوب" وما أدراك تعظيم لأمرها<sup>٢</sup>.

" القارعة من أسماء القيامة كالحَاقَةِ والطَّامة والغاشية وغير ذلك ثم قال تعالى معظماً أمرها ومهولاً لشأنها [ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ] ، ثم فسر ذلك بقوله [يوم يكون الناس كالفراش المبثوث] أي : في انتشارهم وتفرقهم وذهابهم ومجيئهم من حيرتهم مما هم فيه كأئهم فراش مبثوث<sup>٣</sup>

"[الْقَارِعَةُ] من أسماء القيامة ، لأنها تفرع القلوب بالفرع وتفرع أعداء الله بالعذاب. والعرب تقول: قرعتهم القارعة إذا وقع بهم أمر فظيع . والقارعة مبتدأ وخبرها قوله [ مَا الْقَارِعَةُ ] وبالرفع قرأ الجمهور. وقرأ عيسى بنصبها على تقدير : احذروا القارعة . والاستفهام للتعظيم والتفخيم لشأنها. [ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ] تأكيد لشدة هولها ومزيد فظاعتها . حتى كأنها خارجة عن دائرة علوم الخلق بحيث لا تتأهل دراية أحدٍ منهم" وتعني : وأي شيء أعلمك ما شأن القارعة<sup>٤</sup> .

١ - سورة القارعة - الآيات [ ١ - ٣ ]

٢ - تفسير ابن عطية - ص ٢٠٠٠ .

٣ - تفسير ابن كثير - م ٤ - ص ٥٤٣ .

٤ - فتح القدير - م ٥ - ص ٤٨٦ .

وهكذا تتعدد الأساليب البيانية والبلاغية واللغوية في تهويل اليوم الآخر . -  
يوم القيامة- ووصف ما يصاحب ذلك اليوم من تغييرات كونية هائلة فظيعة  
مفزعة أوردتها القرآن الكريم بصور شتى وعبارات بليغة ينقلها ويصورها لنا  
القرآن العظيم

## الخاتمة

لقد طوفنا حول مسميات اليوم الآخر المختلفة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وهي كثيرة جداً ومنها المتقاربة المعنى ومنها المتطابقة ومنها التي تشرح بعضها بعضاً.

ولكل مسمى من مسميات يوم القيامة ميزته وخصوصيته التي قد لا نجدتها في المسمى الآخر وما يمثله كل مسمى من أسماء القيامة واليوم الآخر والأمر الذي يجمع بينها جميعاً هي دلالتها على حتمية القيامة وتأكيدها كلها على قيام الناس للحساب والجزاء وما يصاحب ذلك اليوم من أهوال ومتاعب ومصائب وفظائع. تذهل لها وبها كل مرضعة عن ولدها وتضع كل ذات حمل حملها ويكون الناس في حيرتهم وهيجانهم وهلعهم ودهشتهم وترددهم كأنهم سكارى وليس بهم سكر ولكنه هول ذلك اليوم العظيم.

وبكفي جمع هذه الآيات في فصول ومباحث أن يتعظ بها كل مؤمن يرجو النجاة من ذلك الموقف العصيب وهوله وشدته. وفي ذكرها عظة لكل متعظ يخاف العذاب ويرجو رحمة ربه. وفي ذكرها رادع لكل ظالم متكبر جبار قد نسى يوم الحساب.

ولكي تعم فائدة هذا البحث أتمنى أن يتيسر لنا كتابته في رسائل صغيرة ميسرة الإطلاع سهلة المحمل. ثم أتمنى أن تجد له فرصة في النشر والتوزيع عبر مواقعنا على الشبكة الإلكترونية. حتى يتاح الإطلاع عليها عسى ولعل يتم المراد منه.

ونسأل الله عز وجل أن ينفع بها ويتقبلها منَّا خالصة لوجهه الكريم ويتقبل بها موازين كل من يطلّع عليها

### فهرس المراجع والمصادر

- [١] القرآن الكريم .
- [٢] أبو الحسن علي النيسابوري - أسباب نزول القرآن - الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- [٣] أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم - صحيح مسلم بشرح النووي.
- [٤] أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي - تفسير القرآن العظيم - دار الفكر ببيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.
- [٥] أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- [٦] محمد علي الصّابوني - صفوة التفاسير - مختصر تفسير ابن كثير.
- [٧] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - صحيح البخاري.
- [٨] أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي - تفسير ابن عطية - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - بيروت - دار ابن حزم - الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- [٩] محمد بن علي بن محمد الشوكاني - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير.
- [١٠] فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور أحمد علي الإمام - مفاتيح فهم القرآن.



## فهرس المحتويات

رقم الصف	الموضوع	رقم
أ	ملخص البحث	١
ب	المقدمة	٢
<b>الفصل الأول : البعث واليوم الآخر</b>		
١	المبحث الأول : حكم وأدلة الإيمان باليوم الآخر.	٣
٢	المبحث الثاني : الحساب والثواب والعقاب.	٤
٣	المبحث الثالث: ما أعدَّ الله للمؤمنين في الجنة.	٥
٤	المبحث الرابع : ما أعدَّ الله للكافرين والمنافقين في النار.	٦
<b>الفصل الثاني : أسماء لليوم الآخر مأخوذة من الظرف الزماني.</b>		
٦	المبحث الأول : يوم الحسرة	٧
٦	المبحث الثاني : يوم الحشر	٨
٧	المبحث الثالث : يوم البعث	٩
٨	المبحث الرابع : [١] يوم الدين . [٢] يوم الفصل.	١٠
٩	المبحث الخامس : يوم الحساب.	١١
١١	المبحث السادس : [١] يوم الوعيد . [٢] يوم الخلود . [٣] يوم الخروج.	١٢
١٤	المبحث السابع : [١] يوم الجمع . [٢] يوم التغابن.	١٣
١٥	المبحث الثامن : يوم القيامة.	١٤
<b>الفصل الثالث : أسماء لليوم الآخر مأخوذة من الظرف المكاني.</b>		
١٨	المبحث الأول : دار الآخرة.	١٥
١٩	المبحث الثاني : دار القرار.	١٦
٢٠	المبحث الثالث: دار الخلد .	١٧
<b>الفصل الرابع : أسماء لليوم الآخر مأخوذة مما يجري فيه من أحداث رهيبة وشدائد وأحوال</b>		
٢٢	المبحث الأول : الأزفة	١٨
٢٣	المبحث الثاني : الحاقّة	١٩

٢٤	المبحث الثالث : الطَّامَّة	٢٠
٢٥	المبحث الرابع : الصَّاحَّة	٢١
٢٦	المبحث الخامس : الغاشية.	٢٢
٢٨	المبحث السادس : القارعة.	٢٣
٢٩	<b>الخاتمة</b>	٢٤
٣٠	<b>فهرس المراجع والمصادر</b>	٢٥
٣١	<b>فهرس المحتويات</b>	٢٦

بحث بعنوان :

الخفاض الفرعوني وبديله الأمثل علي ضوء السنه والآثار

إعداد الدكتور :

والي الدين الامين عبد الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه

أجمعين

أما بعد :

فلقد ظلت المرأة ومنذ زمان بعيد تعاني ويلات الظلم والاضطهاد وهضم الحقوق وعدم الاعتبارية كعنصر بشري فعال، فتراها في ظلام الجاهلية تدفن حية من نفوس انعدمت فيها الإنسانية والعقل الرصين، وكانت تظلم من الميراث نسياناً بل تناسيا حتى جاء الإسلام بنوره

الساطع وشمسه المنيرة، فحرم الوأد، وأعطها حقها في الميراث، فوجدت المرأة من الإسلام مأوىً أميناً وشعرت بأنها آوت الى ركن شديد ولكن ثم جهل يتفشى وبقايا من جاهلية تصلي المرأة ناراً تلتظى وهأنذا أناقش في هذا البحث هذا واحدة من المشاكل التي تعاني منها المرأة وهي مشكلة الختان اللاشعري.

**أهمية الموضوع:**

١ / تتمثل أهمية هذا الموضوع في انتهاك حقوق المرأة والاعتداء على جسدها. وكذلك انكار بعض الأطباء والعلماء لختان السنة.

٢ / غفلة الناس عن هذا الأمر الخطير وتغافلهم أحياناً.

**أهداف البحث:**

هدفنا من هذا البحث بيان الحلال والحرام من الختان.

**أهمية البحث:**

تأتي أهمية البحث في هذا الموضوع للجدل القائم حول موضوع الختان وبخاصة الفرعوني منه والضحية بريئة صغيرة تحتاج الى وزارات الدفاع وجيوش الحماية.

**منهج البحث:**

اتبعت فيه المنهج الوصفي التحليلي الموصل الى النتائج.

## الدراسات السابقة:

لا أعلم وجود دراسات سابقة في شكل اطروحات وانما كتيبات ومقالات.

## حدود البحث:

الحدود الزمانية: ٢٠١٣م.

الحدود المكانية: جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم.

## هيكل البحث:

المقدمة

الفصل الأول: وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الخفاض الفرعوني.

المبحث الثاني: تاريخ الخفاض الفرعوني وأنواعه ونظائره.

المبحث الثالث: الدوافع والأسباب لخلوده وانتشاره.

الفصل الثاني: وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أضرار الخفاض الفرعوني الصحية.

المبحث الثاني: الخفاض الفرعوني سهم على العقل والاقتصاد والاجتماع.

الفصل الثالث: وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حكم الخفاض الفرعوني في الشرع الإسلامي.

المبحث الثاني: البديل الأمثل - ختان السنة.

المبحث الثالث: مناقشة حديثية لبعض أحاديث الختان.

**الفصل الأول وفيه ثلاثة مباحث:**

المبحث الأول: تعريف الخفاض الفرعوني. المبحث الثاني:

تاريخ الخفاض الفرعوني وأنواعه ونظائره.

المبحث الثالث: الدوافع والأسباب لخلوده وانتشاره.

## المبحث الأول

### تعريف الخفاض الفرعوني

قال ابن الأثير: ( الخفض للنساء كاختان للرجال) <sup>١</sup> . وقال ابن قدامه رحمه الله: (الخفض ختان المرأة) <sup>٢</sup> وقال الإمام النووي: (يسمى ختان الرجل إعداراً وختان المرأة خفاضاً) <sup>٣</sup> وقال الشوكاني: (قال أبو شامة كلام أهل اللغة يقتضي تسمية الكل إعداراً والخفض يختص بالنساء) <sup>٤</sup>

ويقول دكتور فيصل مكّي: ( الخفاض شعيرة اجتماعية تستأصل فيها الأعضاء التناسلية التي يعتقد أنها تؤثر على السلوك الجنسي) <sup>٥</sup> .

ويقول دكتور فيصل مكّي معرفاً الخفاض الفرعوني: (يُفي هذا النوع من الخفاض يزال كل البظر وكل الشفرين الصغيرين وعلى الأقل الثلثان الأماميان من الشفرين الكبيرين وغالباً كل

١ . النهاية ٤/٥٤ ط: دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان .

٢ . المغني لابن قدامه ١/١١٧ ط هجر .

٣ . نيل الاوطار ١/١١٢/١ دار الكتب . بيروت .

٤ . نيل الاوطار ١/١/١١١ - ١١٢ ط دار الكتب . بيروت .

٥ . كتاب خفاض المرأة . دكتور فيصل مكّي . ص ١٤ . المطبعة العسكرية .



الشفرين الكبيرين ثم يخاط جانبا الفرج بفتلات من الحرير أو العصب كما هو معروف في السودان أو بالشوك كما يجرى الحال في الصومال وبذلك يكون مدخل المهبل قد قفل تماماً إلا من فتحة صغيرة جداً في الخلف لخروج البول ودم الحيض وحتى لا يقفل المهبل تماماً فهم يقومون بإدخال قطعة صغيرة من الخشب وعادة ما تكون عودة كبريت أو نواة بلح رفيعة، ثم تربط ساقا الطفلة مع بعضهما فوق وتحت الركبة وعند الكعبين وتبقى راقدة على الفراش ثلاثة أيام حيث يسمح لها بان تتجول قدر استطاعتها ولأن الساقين تكونان مربوطتين فان تحركهما لا يتم إلا باستنادها إلى عصاة تمسكها بكلتا يديها وتتقدم في قفزات صغيرة وبعد أسبوع من عملية الخفاض يعتبر الجرح ملتئماً ويفك رباط الساقين).<sup>١</sup>

وعرفه فريق إنتاج كتاب حقائق للحياة بقولهم: (الخفاض هو العملية التي تجرى لإزالة بعض أو كل الأجزاء الخارجية لجهاز المرأة التناسلي).<sup>٢</sup>

والخفاض الفرعوني يسمى بالتكميم أحياناً، وهو يمارس في أكثر من دولة من دول أفريقيا، ومن الطريف في الأمر انه يسمى

---

٦. خفاض المرأة فيصل مكي. ص ١٩-٢٠ المطبعة العسكرية

١. كتاب حقائق للحياة. ص ٣٣.

عندنا في السودان بالخفاض الفرعوني ، وفي مصر يسمونها الطهارة السودانية<sup>١</sup> وهو أعنى : الخفاض الفرعوني على قساوته ، عادة عميقة متجذرة بجذور ثابتة عند الذين يمارسونها ، وهي كما سيأتي في مباحث البحث ، ذات آثار صحية خطيرة ، يشيب من هولها الولدان ، وتصك من سماع ذكرها الأذان ، وتبنى تحتها أحكام شرعية عظيمة ، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وهو أي الخفاض الفرعوني ، على علته يتنوع شكلياً ، وقطرياً ، وبجانبه خفاضات منكرة محل تفصيلها في المبحث القادم.

ويلزم من تعريف الخفاض الفرعوني تعريف الآتي:

البظر:

قال في النهاية: ( البظر يفتح الباء الهنة التي تقطعها الخافضة

من فرج المرأة عند الختان وجمعه بظور).<sup>٢</sup>

وهذا البظر الذي عند النساء يقابل القضيب في الرجال مع صغر حجمه وعدم اختراق قناة البول له.

---

٢. خفاض المرأة . فيصل مكّي . ص ٤٩ . المطبعة العسكرية

٣. النهاية بن الأثير . ١/١٣٨ ط دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان

ويلاحظ أن شكل البظر يقارب إلى حد ما شكل القضيب ، إذ أن له قلفة صغيرة جداً ، لها نفس عيوب القلفة في الرجل. فالإفرازات تتجمع فيها كما تنمو أيضا الميكروبات . فالبظر عضو حساس جداً مثل حشفة القضيب تماماً ، وهو كذلك عضو انتصابي<sup>١</sup> .

وهو يختلف في طوله من قطر إلى آخر ، فيطول في الأقطار الحارة ، ويكون قصيراً في الأقطار الباردة ، وفيه مركز شهوة المرأة ، وغاية طوله لا يزيد على ثلاثة سنتيمترات. وسبب اختلاف الطول والقصر هو أن قلفة البظر تطول عادة عند نساء البلاد الحارة ، وتقل عند نساء البلاد الباردة<sup>٢</sup> .

## المبحث الثاني

### تاريخ الخفاض الفرعوني وأنواعه ونظائره

إن التاريخ ولأنه رافد من روافد الثقافة ومقرر فعال لمدارات الحياة البشرية ، بل ولا بشرية ، فإنه لا يترك شاردة ، ولا وارداً

---

١ . كتاب خفاض المرأة . فيصل مكي . ص ١١ . المطبعة العسكرية

٢ . أشرطة الفتاوى الإماراتية الشيخ الألباني بتصرف يسير

، صغيراً، أو كبيراً، إلا و أودعه مخازنه الأمانة، وسطره على صفحاته النيرة . ومن الندرة بمكان أن يفلت حدث عن التسطير التاريخي، وعلى هذا فإن الخفاض الفرعوني ولأنه من أهم الأحداث التي طرأت على تاريخ البشرية عامة والمرأة خاصة، فإنه لا بد له من جذور تاريخية، مدونة تحكي نشأته، وأسبابه، وعليه ومن هذا المنطلق وهذه القاعدة العظيمة، أطلقت مأكوك البحث والتفتيش على بعض كتب التاريخ بل أهمها. فبدأت بكتاب التاريخ للأمام الطبري فلم أجده قد تكلم عن هذه الجريمة حين تناول قصة فرعون. ثم قلبت البداية والنهاية لابن كثير، فلم أحظى بشيء في هذا الأمر، مما جعلني في ريب من نسبة هذه العادة لفرعون لعنه الله، فخرجت بعد ذلك على كتب التفسير - تفسير ابن كثير - تفسير القرطبي - تفسير الطبري وفتح القدير الشوكاني، وختاماً تفسير الصابوني، وبعد كل هذا البحث لم أجد أدنى إشارة تاريخية في هذا الأمر.

وأصلاً كان الأمر الذي دعاني إلى هذا البحث في هذه المظان أنه مما اشتهر بين العامة أن فرعون لعنه الله عندما أخبره المنجمون بأنه سوف يولد ولد من بني إسرائيل يكون ذهاب ملكه على يديه قام بتضييق فروج النساء حتى يعرفن حين الولادة، وهي لا تستبعد من هذا الجبار، ولكن لو كان هذا صحيحاً لذكره هؤلاء الجهابذة من

المفسرين والمؤرخين، لاسيما وأنهم ذكروا ما هو دونه في الأهمية مثل توظيف القابلات، ومراقبة النساء، وتحديد زمن الولادة، ولكن في الأمر غموض، ولعلي لا أكون بعيداً عن الصواب أن قلت: إن هذه العادة لم تكن فرعونية التاريخ، بل ولا هي قبل الإسلام بقليل، إذ لو كان كذلك لتكلم عنها القرآن، أو السنة النبوية، لاسيما وأن الإسلام تكلم عن التفليج، والتميص، ووصل الشعر، والإنهاك في قطع البظر، وهذه العادة أولى وأخطر. بل وأقول أن هذه العادة بعد الإسلام بكثير، إذ لو لم تكن كذلك لضمنها العلماء القدامى في كتبهم ومؤلفاتهم. وغاية ما أظن أن هذه العادة تعود إلى جذور تاريخية إفريقية قريبة وبخاصة أنها في مصر تسمى الطهارة السودانية، كما أسلفنا ولكن على الباحثين أن يجدوا الجذ، حتى تتجلى الحقيقة. وأرى أن بهذا القدر كفاية، وأدعو القارئ الكريم إلى مائدة أخرى من موائد هذا البحث وهي مائدة الأنواع والنظائر فإلى هناك.

## الأنواع:

إن الخفاض الفرعوني يتنوع ويختلف بعضه عن بعض، وهو يتنوع تنوعان، تنوع شكلي، وتنوع قطري، حسب عادات وتقاليد الأقطار.

الأنواع الشكلية :-

## الفرعوني:

وهو نوع سائد في السودان ويكون بقطع البظر والشفرين الصغيرين أو الأجزاء الخارجية كلها ، وأغلبية الشفرين الكبيرين ثم يخاط الجانبان على أن تترك فتحة صغيرة في المؤخرة لخروج البول ودم العادة الشهرية<sup>١</sup>. وقد تكلمت عن هذا النوع بدقة في المبحث السابق.

## المتوسط:

وهو النوع المتوسط وهو عبارة عن قطع البظر وجزء أو كل من الشفرين الكبيرين والصغيرين ويخاط الجرح ، وتترك فتحة متفاوتة لخروج البول ، ودم العادة الشهرية ، وهذا النوع هو الشائع في المدن الكبرى ، وعادة ما يستعمل فيه البنج وبعض المضادات الحيوية وهذا النوع ظهر سنة ست وأربعين وتسعمائة وألف (١٩٤٦م) بعد صدور القانون الذي منع الخفاض الفرعوني ، وأباح خفاض السنة. وكان المجتمع آنذاك يرفض خفاض السنة لأنه يعتبر خفيف جداً ، لذلك اخترع هذا النوع المتوسط بين الفرعوني والسنة<sup>٢</sup>.

---

١. كتاب حقائق للحياة . ص ٣٣ وزارة الصحة.

٢. كتاب حقائق للحياة . ص٣٣ - ٣٤ بتصرف يسير

وهذا النوع لا يقل كثيراً في خطورته عن سابقه ولكن حنانيك  
بعض الشر أهون من بعض.

ومن الخفاض ، الكبير، والصغير (نصف رباط) وذلك بتفاوت الفتحة  
التي تترك بين الشفرين الكبيرين.<sup>١</sup>

### الساندوتش:

قالت ميترون فتحية إبراهيم في نشرة العادات الضارة: من أنواع  
الخفاض ما يسمى بالساندوتش ( وهي عملية حديثة تتم بإخفاء البظر  
تحت الشفرتين الصغيرتين ويخيط الشفران الكبيرتان مع بعضهما<sup>٢</sup>.

الأنواع القطرية :-

### الخفاض الفرعوني في السودان:

الخفاض الفرعوني شائع جداً في السودان، بل يمكن أن نقول  
بثقة شديدة إنه سائد بشكل كبير في أواسط وغرب وشرق وشمال  
السودان، أما دولة الجنوب الجنوب فان خفاض الإناث لا يمارس<sup>١</sup>.

---

١ . نشرة الإدارة القومية للأمم المتحدة والطفولة . ص ٢ .

٢ . خفاض المرأة ، ص ٢٠ . فيصل مكّي . المطبعة العسكرية

وهذه العادة تجري في السودان على الطفلة في ما بين خمس إلى ثمان سنوات، وربما امتدت إلى عشر عندما تكون صحة الطفلة ضعيفة نوعاً ما.<sup>٢</sup>

وقد ذكر دكتور فيصل مكي أيضاً أنه ربما أجروها عليها من الثانية<sup>٣</sup> وعند إقامة هذا الخفاض تشتري للمخفوضة الملابس الجديدة، وتقدم لها الهدايا والنقود، وتصدق الطبول، وتتجمع البنات ويغنين لها، أعني المخفوضة. وتسمى بالعروس وربما أقيمت من أجلها مهرجانات كبيرة، فيها الغناء والرقص، فيا عجبني من إيلاهما وعذابها، ورقصهم وفرحهم ويا بئس ما فعلوا والله المستعان.

## الخفاض في الصومال:

الخفاض يمارس في الصومال بصفة عامة كممارسة عادية تقليدية وذلك لأنه لم يكن موضوعاً لحملات التوعية كما انه لم يحظر قانوناً، وهو كما ذكرنا من قبل يمارس بالطريقة الفرعونية

---

٣. خفاض المرأة، ص ٢١. فيصل مكي. المطبعة العسكرية

٤. خفاض المرأة. ص ٤٧ بتصرف يسير

٤. خفاض المرأة. ص ٤٧ بتصرف يسير



وربما بأقصى منها<sup>١</sup> وهو يمارس على الفتاة بين ست إلى ثمان سنوات، في رواية وبين خمس إلى عشر سنوات في رواية أخرى<sup>٢</sup>، أما مجموعة الحمر العرقية فهي وحدها تجرى خفاض السنة<sup>٣</sup> ولا أدري هل الصومال مازالت بهذه الصورة أم أنها نفضت عنها غبار هذه العادة الخبيثة ولبست ثوب العافية.

وبعد كتابة ما تقدم سألت أحد الإخوة الصوماليين زملائي في الدراسة عن هذه العادة الآن في الصومال؟ فقال إنها ما زالت تمارس وبخاصة في الريف إلا أنها قلت في المدن.

### الخفاض الفرعوني في أثيوبيا:

وتفيد التقارير بان الخفاض الفرعوني يمارس في أثيوبيا بين صوماليين وبين الدناكيل والقالا، ويجري الدناكيل هذه العملية في سن مبكرة، هي الثالثة من العمر<sup>٤</sup> والخفاض الفرعوني يمارس في بعض أجزاء كينيا أيضاً وعلى كل حال فأنا متفائل بان يكون هذا الأمر قد قل كثيراً، وربما انعدم من هذه الدول مع ما بث من وعي،

---

٦. ٧ خفاض المرأة. فيصل مكّي. ص ٢١. المطبعة العسكرية.

٣. خفاض المرأة ص ٣٢. المطبعة العسكرية

٤. خفاض المرأة. ص ٢١. المطبعة العسكرية

٥. خفاض المرأة. فيصل مكّي. ص ٢١، المطبعة العسكرية

لأننا نحن في السودان قد دب في بعض أوساطنا ديبب العافية والعلم بمخاطر هذه العادة والآن بدأت تتلاشى وتنتهي في تلك الأوساط المعنية وإلى الأمام.

### النظائر:

والخفاض الفرعوني بخطرته الهدام هذا، ليس وحده بطل ساحات الظلم والدمار، ولكن هناك من النظائر والأشباه وما يورث شقاوة للمرأة ما دامت حية، وهذا مجال ذكر هذه النظائر فإلى أولها:

### الاستئصال:

يكون هذا النوع من الخفاض قائماً على استئصال قلفة البظر ومقدمته كذلك، وربما شمل الاستئصال معه الأجزاء المجاورة من الشفرين الصغيرين أو استئصال الشفرين الصغيرين بالكامل أيضاً<sup>١</sup>.

---

١. المرجع السابق. ص ١٩

وهذا النوع يمارس أحياناً في إريتريا وبعض أجزاء كينيا أيضاً وفي مصر قديماً. وما أظن بظلمهم هذا إلا قصد الفلاح ولكن شرق الفلاح وغربوا وشتان بين مشرق ومغرب. ولو أنهم رجعوا إلى عقولهم برهة لسلموا دهرًا طويلاً، ولكن إذا أصيب الناس في إفهامهم فأقم عليهم مآتماً وعويلاً.

### الشق:

هذا النوع القاسي من الخفاض تمارسه قبيلة البيتا - باتا، من سكان أستراليا الأصليين وهو عبارة عن القيام بتوسيع فتحة المهبل أثناء فترة المراهقة باستعمال اليد لفتحها ناحية الخلف، وباستعمال سكين لشق العجان<sup>٢</sup>.

ولا شك أن هذا أمر عجيب وغريب، يتنافى وما نحن فيه من رقي وتطور ولكن ثمة تساؤل هل هذا الأمر إلى اليوم موجود؟ الله بهذا عليم، ولن يقف البحث.

---

٢. نفس المرجع السابق . ص ٢١

٣. خفاض المرأة . فيصل مكّي . ص ٢٠ . المطبعة العسكرية



## الدوافع والأسباب لخلوده وانتشاره

إن الخفاض الفرعوني بجذوره المتعمقة لا بد له من أسباب ودوافع، أدت إلى نشأته، وانتشاره، وخلوده، ومن أهم تلك الأسباب الجهل، الذي يخيم على تلك الأقطار التي تمارس هذه العادة الضارة، إذ أن قوامة الأسرة عند العجوز التي لا تعرف عن الصحة والدين صرفاً ولا عدلاً، ثم إنه لما دخل الوعي الديني والتثقيف الصحي وعلم بعض الناس ما علموا عن هذه العادة لم يستطيعوا أن يخرجوا عن العادات ولم يكونوا - أعني المثقفين - بالجرأة التي تجعلهم يأمرون بترك هذا المنكر، خشية

خسارة الأهل، وبئس عذرهم أقبح من ذنبهم، ولا يصلح

الناس فوضى لا سراة لهم، ولا سراة إذا جهالهم سادوا.

ولعل من الجهل القاتم اعتقاد كثير من الناس أن الخفاض الفرعوني له سند إسلامي، ولكن الأمر عكس ذلك، فالسند الإسلامي يحرم الخفاض الفرعوني والإسلام دين العدل لا دين الظلم فانتبهوا.

ومن الأسباب التي أدت إلى خلود هذه العادة ظن كثير من الناس أن المرأة إذا لم تخفض فرعونياً يصيبها الانحلال الجنسي، وتغترب الفاحشة، وهذا ظلم واضح للمرأة، فإن الإسلام لم يأمر بمثل هذا، وإنما غاية ما أمر به هو قطع قلفة البظر مع تجنب الإنهاك لأن المرأة إذا خفضت فرعونياً هذا يعني استئصال الشهوة الخارجية تماماً ويحل محلها الألم والعذاب، فلا تستمتع بالزوجية حق المتاع. وأما الانحلال فهذا ينجي منه الدين والخلق فقط، فكم من مفرعة زانية، بل وما أكثرهن. ويتواصل مسلسل الأسباب ومنها اعتقاد بعض الناس أن المرأة الغير مختونة فرعونياً لا تتزوج ويروجون لذلك ترويحاً باطلاً، ويحكون نماذج من نسج الخيال والأوهام، طلاق، وفسخ خطوبة، إلى آخر ذلك، وكل هذا يرجع إلى الجهل والواقع يكذب هذا، إذ أن المرأة الغير مفرعة أكثر إمتاعاً للرجل ولكن أكثر الناس لا يعلمون. وتزداد عددية الأسباب بابتعاد الرجال من هذا الميدان والاعتقاد بأنه اهتمام أنثوي فقط، وهذا جهل بالغ ومجانبة للصواب، فالرجل هو صاحب القوام في بيته، ولا يحرك ساكن إلا بأمره، وعلى الأقل مشورته، فلا غبار على الرجل أن يمنع زوجته من خفض البنات فرعونياً، وإن اضطره ذلك لحضور الختان فعل. ومن الأسباب الدافعة لخلود هذه العادة زيادة على ما تقدم هو ضغط الأنداد، إذ أن البنت إذا لم تخفض فرعونياً عيرت بذلك من قبل صويحباتها بأنها قلفاء، وأنها

تبول مثل الرجل، وهكذا فتبكي البنت وتطلب أن تلحق بصويحاتها فيفعل لها، والعقل غائب عن الأم، والأب، والأخ، والأخت، والبنت، فأين ذهب؟ كل هذا للجهل يرجع.

ومن الناس من يفرعون بناتهم اعتماداً على التقاليد الموروثة وإن وجهوا وأنذروا وأرشدوا قالوا بنشوة الجهل إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون، ولكن قل لهم أولو كان آباؤكم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون.

وفي الختام هذا المبحث أقول أن بحر الأسباب زاخر، وما ذكرته غيض من فيض وبه أكتفي - والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

## الفصل الثاني وفيه مبحثان:

المبحث الأول : أضرار الخفاض الفرعوني الصحية.

المبحث الثاني : الخفاض الفرعوني سهم على العقل

والاقتصاد والمجتمع.



## المبحث الأول

### أضرار الخفاض الفرعوني الصحية

إن الخفاض الفرعوني خطر كاسح للصحة ومعمل هدام لأجسام النساء، فهو زرع خبيث، لا يخرج ولا يثمر إلا نكداً وخبثاً، وتنقسم مضاعفاته إلى قسمين:

١ / مباشرة وهي التي تحدث بعد عملية الخفاض.

٢ / مستقبلية وهي التي تحدث للفتاة في المستقبل كنتاج طبيعي لعملية الخفاض الفرعوني، هذا ولقد رأيت عامة كتب الطب التي كنت قد وقفت عليها بهذه المناسبة تكاد تتفق على هذه المضاعفات، لذلك أشرت النقل من كتاب حقائق للحياة لسهولة فهمه على القاري.

قال فريق إنتاجه - أعني الكتاب.

### المضاعفات المباشرة:

١ / النزيف:

نتيجة لقطع الأوردة والشرايين التي تغذي تلك المنطقة وفي بعض الأحيان يكون النزيف شديد يستدعي نقل الدم عاجلاً.

٢ / حبس البول:

هو من المضاعفات الكثيرة الحدوث، إما نتيجة لخوف الطفلة من التبول مكان الجرح، أو نتيجة لضيق المخرج.

٣ / الصدمة:

تكون الصدمة ناتجة عن فقدان كمية كبيرة من الدم، بسبب النزيف أو تكون بسبب الألم الذي يصاحب العملية.

٤ / الالتهابات:

غالباً تكون الالتهابات حادة نتيجة لاستعمال الآلات الملوثة، وغير المعقمة، وأخطرها الإصابة بالتيتانوس الذي قد يؤدي إلى الوفاة.

٥ / قطع الأعضاء المجاورة:

هذه تحدث نتيجة لعدم معرفة الذي يجري العملية بالأجزاء المجاورة لتلك الأعضاء، أو نتيجة لحركة الطفلة ومقاومتها أثناء عملية الخفاض إذا كان شديداً نتيجة لإجراء العملية.

## المضاعفات المستقبلية:

### ١ / الأورام والخراج:

يظهر نوع من الورم بعد إجراء الخفاض، ويكون عبارة عن كيس دهني يختلف حجمه بمرور الزمن، ويزداد في الحجم بتراكم الإفرازات الداخلية، وربما التهاب الكيس، أو أدى إلى حدوث خراج، ويحتاج هذا الكيس لإزالته لعملية جراحية.

### ٢ / الألم أثناء الدورة الشهرية:

هذا الألم نتيجة للضيق الشديد في فتحة المجرى، فالدم لا يخرج بسهولة، وغالباً ما تختفي هذه الشكوى بعد الزواج والولادة.

### ٣ / صعوبات الاتصال الجنسي:

نجد أن كثيراً من الفتيات يتعبن ليلة الزفاف (بل ليالي) وذلك بسبب المعاناة والآلام التي يتعرضن لها في تلك الليلة، وذلك يرجع إلى عملية الخفاض، ولما يتركه من آثار في تضيق الفتحة الطبيعية وعليه نجد الزوجين يحتاجان لمدة طويلة حتى يستطيعان أن يمارسا العملية الجنسية بصورة طبيعية، وفي كثير من الحالات يحتاج الزوجان إلى

---

١ . هذه الزيادة للباحث

استشارة الطبيب والداية، وربما احتاجت الزوجة عملية توسيع للفتحة المهبلية.

#### ٤ / الالتهابات المزمنة:

نعني التهابات المجاري البولية والجهاز التناسلي المزمنة، وذلك نتيجة لتراكم الإفرازات، ومن نتائج هذه الالتهابات المزمنة العقم، وذلك لانسداد قناة فالوب.

#### ٥ / المضاعفات والمشاكل أثناء الولادة:

ينتج من عملية الخفاض ناسور الولادة وذلك لأن من طبيعة الشفرين التمدد للمساعدة في خروج الطفل، ولكن عملية الخفاض الفرعوني قضت على هذا الجزء الهام وأصبح متلفاً لا يستطيع القيام بمهنته الطبيعية.

ونجد المرأة المخفوضة تحتاج لمساعدة الداية أو الطبيب لأجراء فتح مكان الطهور، وذلك لتمكن الطفل من الخروج وإلا حدث تمزق ونزيف، وإعادة فتح جرح الطهور ربما أدى إلى نزيف، وهذا الجرح يحتاج إلى خياطة مرة أخرى (عدل) وهذا الجرح معرض للالتهاب، وهو من الأسباب الرئيسية لحمى النفاس في السودان، ومن المضاعفات

النادرة الحدوث للمولود تشويه أو جرح في الجزء المتقدم من الطفل عند الولادة، وذلك من جراء فتح مكان الخفاض.

ومن المضاعفات أيضاً الناسور البولي ونعني به استمرار نزول البول بدون تحكم وذلك لوجود فتحة بين المثانة والمهبل، وهذه الفتحة تحدث في حالة الوضوع ولا يستطيع الجنين الخروج لضيق فتحة المهبل ويضغط الجنين على المهبل وعند توقفه يحدث تآكل وموت للخلايا في تلك المنطقة، ويحدث فتح بين المهبل والمثانة ولذلك ينزل منه البول بدون تحكم فتأمل.

---

١. كتاب حقائق للحياة. ص ٣٤ . ٣٥ بتصرف يسير

## المبحث الثاني

الخفاض الفرعوني سهم على العقل والاقتصاد والمجتمع

إن الخفاض الفرعوني كعادته يصيب المرأة في مقاتل شتى، ومن تلك المقاتل العقل، وأي إصابة اكبر من هذه والله المستعان. فتأمل معي كيف تفعل الصدمة النفسية بالطفلة، إذ أنها تعرف خطر الخفاض وحره من صوحيباتها، فيصيبها الخوف والهلع . ثم تأتيها الطامة واقعاً فيزداد الخوف وضربات القلب، أليس هذا مما يؤثر على العقل؟ فتأمل! - ثم تلك الصدمة التي تكون من جراء النزيف وفقدان الدم والمضاعفات، ثم الاضطرابات العقلية التي تنجم عن المضاعفات الجسمانية، احتباس دم الحيض في المهبل، الكيس الجلدي، ناسور المثانة، ثم الخوف الشديد من الجماع أيام الزواج الأولى، ثم إذا حملت المرأة وجاءها المخاض فهو أشد عليها من وقع السيوف وطعن الرماح، كيف لا، وهو جرح وخياط، وليس اليوم فقط، بل يكرر مرات ومرات كلما ما حملت ودارت السنوات أليس هذا مذهباً للعقل فضلاً عن تأثره.

الهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم.

وليت شعري أن تقف الصدمة النفسية على المرأة ولكن الرجل يجد من هذا في بدايات الزوجية، إذ يتعسر عليه الجماع أياماً تسبب له قلقاً بالغاً، قد يضطره إلى إصابة المرأة بسوء، كما حكى لي أحد أفراد الهلال الأحمر أن رجلاً قام بعملية التسهيل وحده بالموس، الأمر الذي اضطره للمستشفى وعند المساءلة أجاب بأن سمعته فوق كل شيء. والخفاض الفرعوني كما هو سهم على العقل فهو سهم خطير على الاقتصاد يقتله قتل عاد. فتأمل مثلاً كمية البنج وكمية العصب، ثم انظر إلى التكاليف الناتجة عن تعريض الأطفال للخطر. هذا نزيه. وهذه صدمة. الأمر الذي يؤدي إلى المكث طويلاً على سرير المستشفى، وأي خسارة أكبر من هذه؟ ثم يزداد الأمر تفاقمًا إذا احتاجت الطفلة إلى عملية. وأما عنها. أعني الطفلة. عندما تصبح أمًا تلد فما أكثر التكاليف التي يشعر بها الزوج والأهل قبل الدولة. بنج. خياط. تغذية مميزة. وبعد كل هذا تحتاج المرأة إلى تفريغ أكثر من شخص من عملهم والانكباب على الخدمة والمراقبة. أن هذه الاهتمامات التي تبذل لإطفاء نار مخلفات الخفاض الفرعوني التي لو لم تكن. لكنا. فتأمل هذا فنه حقيق بمثله أن يعني.

وقبل تمام المبحث هذا بقي علينا أن نقول كما وعدنا أن الخفاض الفرعوني تصيب حماه الاجتماعيات، فبخر الفرج وعفته

الناتجة من ضيق مخرج العادة والتواء طريق البول والألام في الجماع  
تورث الحياة ثغرة واضحة بين الأزواج، فتظهر الخلافات بينهما وينشأ  
عليها الوالدان وعليها يفظمون.

وينشأ ناشئ الفتيان فينا                      على ما كان عوده أبوه

وما أحر العذاب إن كان من جمر المآوي.



الفصل الثالث: وفيه ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: حكم الخفاض الفرعوني في الشرع.

المبحث الثاني: البديل الأمثل ختان السنة.

المبحث الثالث: مناقشة حديثية لبعض أحاديث الختان.

## المبحث الأول :

### حكم الخفاض الفرعوني في الشرع الإسلامي

إن الإسلام بقنادهيله المشعة ما حل بأرض إلا وألحف أهلها بلحاف الأمن والسلامة ، ومن خرج عن حدوده وأسواره فهو ظالم معتد يستحق العقاب ومر العذاب ، ولا يخفي على عاقل منصف أن الخفاض الفرعوني عملية تتنافى وعدل الإسلام ، وحكم فعل هذه العادة غني عن التبيين ، ولكن نبينه حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد البيان ، وسوف أذكر في حكمه من فيض الأدلة ما تيسر ، والليبيب تكفيه الإشارة ، فإلى تفاصيل البيان :

(عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل إلا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر

مظلّمته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل  
عليه)<sup>١</sup>

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قال: ( أتدرون ما المفلس. قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا  
متاع فقال: أن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام  
وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا  
وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيّت  
حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياها فطرحت عليه ثم طرح  
في النار)<sup>٢</sup>

فهذان الحديثان يحرمان الظلم والضرب والشتم وكل ظلم بدلالة  
واضحة، فتفكر جيداً أي ظلم أكبر من الاعتداء على صغيرة لا  
تعرف مصلحتها فتقطع أجزائها، وتخاط وتسال دماؤها، وتحرم  
لذات الدنيا، يؤخذ منها ما أعطاه الله، وهي من فرط صغرها  
وجهلها تفرح بهذا وتلعب وترقص وهي لا تدري أنها لو عاشت سوف  
ترقص دوماً مذبوحة من الألم. ولا يقال في مثلها على نفسها جنت  
براقش، ولكنها سوف تأتي يوم القيامة تريد حقها ممن جنى عليها،

١. رواه البخاري ( رياض الصالحين - النووي . ص ١٠٤ . ط مكتبة المعارف الرياض .

٢. رواه مسلم (نفس المرجع السابق ، ص ١٠٦)

واعتدى على حرمتها، وقطع لحمها بغير وجه شرعي، وسوف تشكوا إلى الله ممن حرمها طيب الحياة، وأغلق عليها حجرات الجرح والخياط والهموم، بل الصغيرة عندما تكبرتتندم في هذه الدنيا وتتحسر، وتقول لماذا جني عليّ؟ وما ذنبي؟ ويوم يأتيها المخاض تقول يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً.

فلا أدري عن من فعلوا مثل ذلك أغاب عنهم العلم فجهلوا؟ أم علموا فخالفوا؟ عموماً إن كانوا يعلمون فتلك مصيبة، وإلا فالمصيبة أعظم، أم ترى أنهم غابت عنهم نفحات العطف والإيمان، وتأمل اعتداء على هرة أدخلت امرأة النار، فكيف هذه الصغيرة والله يقول (ولقد كرمتنا بني آدم) <sup>١</sup> وأنت أيها الجاني ماذا تفعل إن تسبب ما فعلت بها في موتها يوماً من الأيام؟ لقد قتلت إذا نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً إداً، وفعلت أمراً عظيماً تكاد السموات يتفطرن منه وتتشق الأرض وتخر الجبال هدأً. فأين العقلاء؟ وأين المدرسون؟ وأين المفتون؟ وأين الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر؟ وأين وزارات الدفاع وجيوش الحماية؟ بل أين لسان الحق؟ وأين العيون الدامعة؟ نحن في الجاهلية القديمة؟ أم نحن في عصور العلم والتحليق؟ ثم دعني أقول:

---

١. سورة الإسراء الآية (٧٠)

أفريقيا كانت مجاهل ظلمة فكأن من خلقوا بها لم يخلقوا

بل ما زالت أفريقيا حفرة تلم قممات قدرة من العادات والتقاليد .  
فستذكرون ما أقول لكم وأفوض امريء إلى الله . وستدمون يومها  
أيها المعتدون ولكن يومئذ لا ينفع الندم، ولا ينفع نفساً إيمانها لم  
تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً. يومها لا تشفع الآهات  
ولا تنفع الباكين سيول الدمع والعبرات، ولكن قل حسبي الله. وتأمل  
قوله صلى الله عليه وسلم: (إن كسر عظم المؤمن ميتاً مثل كسره  
حياً)<sup>١</sup> فالنبي صلى الله عليه وسلم جعل في هذا الحديث حرمة الحي  
أصلاً يقاس عليه حرمة الميت، فكيف يكون حال من قطع لحم  
الصفار واعتدى على حرمتهم؟ أترى هل يكون جزاؤه شكراً وتقديراً.  
أم يكون جزاؤه جحيماً وسعيراً . فأفبقوا يا أرباب الأمر قبل أن يأتي  
أحدكم العذاب، وأنا إذ أقول ما أقول أعلم يقيناً أنني قد سبقت إلى  
مثل هذا ولكني أرى شعاركم منقوش عليه:

قد أسمع إذ ناديت حياً      ولكن لا حياة لمن تنادي

---

١. البخاري في التاريخ ٤٥/١ . ١٥٠/١ وقال الألباني في أحكام الجنائز ص ٢٩٥ بعض طرقه  
صحيح على شرط مسلم

ولو أن ناراً نفخت أضاءت      ولكنك تتفخ في رماد

ولكن هذا يوجع القلوب ويورثها الحزن والأنين، وهو شبيهه بقول القائلين ، سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين، ثم أنكم بجرمكم هذا أصبتم حداً آخر من حدود الله لطالما حذر الله منه، ألا وهو تغيير خلقه وتشويه تقويمه وإليك في هذا دليان.

(عن عائشة أن جارية من الأنصار تزوجت وأنها مرضت فتمعط شعرها فأرادوا أن يصلوها فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال لعن الله الواصلة والمستوصلة<sup>١</sup> ) فماذا تنتظرون بعد لعن من وصلت شعرها، أليس هذا دليلاً واضحاً يحرم الخفاض الفرعوني من باب أولى؟ واسمع إلى حديث آخر.

عن ابن مسعود مرفوعاً ( لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتمصصات والمتفجلات للحسن المغيرات خلق الله<sup>٢</sup> ) وهذا الحديث أوضح من سابقه في الدلالة على حرمة الخفاض الفرعوني، وأي تغيير لخلق الله إلا ما به أمر الله ورسوله، من حف شارب، وحلق عانة، ونتف إبط، وغيره. وبعد هذا فإن الخفاض الفرعوني لهو اكبر تغيير يطرأ على خليقة المرأة، وهو محرم بلا شك ولا ريب، ومخالف للعدل

٢. البخاري ومسلم . تمام المنة للشيخ الألباني . ص ٨١ . ط دار الراجية . المكتبة الإسلامية.

٣. البخاري ومسلم . تمام المنة للشيخ الألباني . ص ٨١ . ط دار الراجية . المكتبة الإسلامية.

الذي به قامت السموات والأرض، وبه نزلت الأديان والقران، وبه يكون السداد والتوفيق والتمكين. وما اشر تغيير خلق الله، فمن أصاب من ذلك شيئاً فليغتسل بتوبة عاجلة إلى فاطر الأرض والسموات وليعجل بها قبل الفوات، وليسلم وجهه إلى الله. ومن أحسن ديناً ممن اسلم وجهه إلى الله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً. وزيادة على ما تقدم فان الخفاض الفرعوني يعسر على المرأة الطهارة من البول، لان الجدار الذي بني أمام مخرج البول يغير مخرجه ويتلبد البول بين أكمام الخفاض، وأيضا فان الخفاض الفرعوني يضيق الفتحة المهبلية، الأمر الذي يجعل خروج دم العادة في عسرة مما يؤخر الطهر، كل هذا سببه الخفاض الفرعوني، والطهارة واجبة، والخفاض يعسرها فهل من مذكر وهل من منزجر؟

وهذا الحكم الذي ذكرناه تعمدنا فيه الاختصار، وإلا فهو أكثر من أن تحصره هذه السطور، ولكن افهم هذا فحري بمثله أن يفهم.

## المبحث الثاني

## البديل الأمثل (ختان السنّة)

فيما مضى من طيات بحثنا هذا تعرضنا للخفاض الفرعوني فنسفنناه  
نسفاً من أصوله، وقدمنا إليه بسيوفنا فجعلناه هباءً منثوراً ، ثم ماذا بعد  
هذا ؟ أنترك المرأة هملاً بلا ختان أم ماذا يكون ؟ رداً على هذا نقول :  
ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم طائراً يطير بجناحيه إلا وذكر  
فيه علماً ، وما ترك شيئاً يقرب إلى الجنة إلا وبه أمر ، وما ترك شيئاً  
يقرب إلى النار إلا وعنه نهى وزجر ، ولا نقول هذا من بنات أفكارنا ،  
ولكن أدلة قولنا هذا من السنة لا تحصر إلا بشق الأنفس، وعلى هذا  
فالذي ينبغي أن يعلم أن للمرأة ختان كما للرجل ختان، هكذا أمر الله  
، وعلى هذا درج السلف، وبيان هذا مبسوط في كتب العلماء، ونحن  
سنناقش هذا الأمر باستفاضة مشيرين إلى أصوله ومراجعته، فإلي حيثيات  
المناقشة.

التعريف بالختان :



قال الشوكاني رحمه الله : (الختان بكسر المعجمة وتخفيف المثناة مصدر ختن أي قطع و الختن بفتح ثم سكون قطع بعض مخصوص عن عضو مخصوص والإختتان اسم لفعل الخاتن والموضع الختان <sup>١</sup> .

وختان النساء هو قطع الغلفة التي تغطي البظر .

قال ابن القيم رحمه الله : (وأما خفض المرأة هو قطع جلدة عند الفرج فوق مدخل الذكر ومخرج البول على أصل كالنواة ويؤخذ منه الجلدة المستعلية دون أصلها <sup>٢</sup> . وتعليقاً على هذا يقال إن الختان هو قطع الغلفة مع إبقاء أصلها وهو البظر حتى يقوم بدوره من انتصاب وهكذا ، وتعميماً للفائدة نقول ما قاله رحمه الله - أعني ابن القيم - في ذات الكتاب عن ابن الصباغ : (وأما المرأة فلها عذرتان إحداها بكارتها والأخرى هي التي يجب قطعها كعرف الديك في أعلى الفرج بين الشفرتين فإذا قطعت يبقى أصلها كالنواة) <sup>٣</sup> .

وبعد معرفة ما هو الختان الذي تختن به المرأة بقي علينا تأسيس مشروعية الختان بأقوال العلماء ونبدأ بقول ابن قدامة رحمه الله حيث قال في المغنى : (ويشعر الختان في حق النساء أيضاً قال أبو عبد الله : حديث النبي

<sup>١</sup> نبل الأوطار للشوكاني ١/١//ص ١١١-١١٢ ط دار الكتب بيروت

<sup>٢</sup> تحفة المورود لابن القيم ص ٢١٨ ط دار عالم الكتب

<sup>٣</sup> نفس المرجع ص ٢١٧-٢١٨

صلى الله عليه وسلم - إذا التقى الختانان وجب الغسل - البخاري فيه بيان أن النساء كن يختن وحديث عمر أن ختانه ختنت وقال : أبقى منه شيئاً إذا خففت - وروى الخلال بإسناده عن شداد ابن أوس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء - وعن جابر ابن زيد مثل ذلك موقوف عليه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال للخافضة : ( أشمي ولا تنهكي فإنه أحظى للزوج وأسري للوجه )<sup>1</sup> ، فتبين من كلام هذا الإمام أن النساء يشرع لهن ختان خلافاً لما يعتقد بعض من لا علم عنده .

وحشداً لجيوش الأدلة على مشروعية الختان ننقل قول جهبذ آخر، ابن تيمية رحمه الله حين سئل عن المرأة هل تختن أم لا؟ فأجاب : (الحمد لله تختن وختانها أن تقطع أعلى الجلدة التي كعرف الديك) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للخافضة وهي الختانة : (أشمي ولا تنهكي فإنه أبهى للوجه وأحظى لها عند الزوج) يعني لا تبالغى عند القطع وذلك أن المقصود بختان الرجل تطهيره من النجاسة المحتقنة في القلفة ، والمقصود من ختان المرأة تعديل شهوتها فإنها إن كانت قلفاء كانت مغتلمة شديدة الشهوة . ولهذا يقال في المشاتمة يا ابن القلفاء ، فإن القلفاء تتطلع إلي الرجال أكثر ، ولهذا يوجد من الفواحش في نساء الإفرنج والتترما لا يوجد في نساء المسلمين ،

---

<sup>1</sup> المغنى بن قدامى ١/١١٦/١١٧ ط هجر

وإذا حصلت المبالغة في الختان ضعفت الشهوة فلا يكمل مقصود الرجل فإذا قطع من غير مبالغة حصل المقصود والله أعلم<sup>١</sup>.

وإذا تأملت ما قيل عرفت أن ختان النساء كان معروفاً عند القدامى . ومن عجيب الأمر ترى بعض الأطباء يتجرؤون ويقولون أنه ليس في السنة ختان ويضعفون حديث أم عطية معتمدين على ضعف طرده متفرقة ، فعجبي من لباسهم ثوب المحدثين والفقهاء ويردون به على أعلام الهدى ، ويبنون على ذلك أحكاماً شرعية ما أنزل الله بها من سلطان وغاية ما فيهم أنهم كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ، وأنهم دخلوا فيما لا يستطيعون عليه صبراً ، وكيف يصبروا على ما لم يحيطوا به خبراً. وأعجب من ذلك أن يقول هذا بعض الفقهاء ، ولكن لن ندع الأمر هملاً ، فسنتناقش بعض أحاديث الختان مناقشة حيثية في مبحثنا القادم ، وقبل ذلك سوف أودع بعض الآثار التي تدل على أن ختن النساء كان معروفاً عند السلف :

١ / فعن الحسن قال : (دعي عثمان بن العاص إلى طعامه وقال : هل تدري ما هذا ؟ هذا ختان جارية ! فقال : هذا شيء ما كنا نراه علي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أن يأكل)<sup>٢</sup>. فهنا أنكر الوليمة ولم ينكر الختان .

---

<sup>١</sup> مجموع فتاوى ابن تيمية ٢/١١٤ / دار عالم الكتب

<sup>٢</sup> الطبراني الكبير ٣/٢٧٧ وقال الألباني إن كان سمعه من عثمان فهو سند حسن (السلسلة

الصحيحة ٢/٣٥٨)

٢/ عن أم مهاجر قالت : (سبيتُ وجواري من الرُّوم فعرض علينا عثمان الإسلام فلم يسلم منا غيري وأُخري، فقال أخفضوهما وطهروهما، فكنت أخدم عثمان) <sup>١</sup>.

٣/ عن أم علقمة (أن بنات أخ عائشة حُتْنَ وقيل لعائشة ألا ندعو لهن من يلهيهن ؟ قالت : بلى فأرسلت إلى عدي فاتاهن ، فمرت عائشة في البيت فرأته يتغنى ويحرك رأسه طرباً وكان ذا شعر كثير فقالت : أف شيطان ! أخرجوه... أخرجوه) <sup>٢</sup>.

فبان بما ذُكر أن المرأة لا بد أن تختن خلافاً لمن ترك الخفاض الفرعوني على أنفسهم هواجس فمنعوه وقد أصابوا، ولكنهم بالغوا حتى منعوا ختان السنة، ولكن كان ينبغي التوسط ، فبين إفراط وتضييظ ورتبة ، وكلا هذين إن زاد قتل . والذي ينبغي أن يقال لهؤلاء أننا لا نعلم في شرعيته وعدمها خلافاً ، وإنما الخلاف في وجوبه وعدم وجوبه . قال ابن القيم رحمه الله : (لا خلاف في استحبابه للأنتى وأختلف في وجوبه ) ، وعن أحمد في ذلك روايتان أحدهما يجب على الرجال والنساء ، والثانية يخص وجوبه للرجال) <sup>٣</sup>. وهذا الختان الذي ذكرنا "يمارس أحياناً في الولايات المتحدة الأمريكية لمعالجة

<sup>١</sup> البخاري الأدب المفرد ١٢٤٥-١٢٤٦ (السلسلة الصحيحة ٣٥٨/٢)

<sup>٢</sup> البخاري الأدب المفرد ١٢٤٧ قال الألباني إسناده محتمل للتحسين السلسلة الصحيحة

٣٥٨/٢

<sup>٣</sup> تحفة المورود ابن القيم ص ٢١٩ ط دار علم الكتب

عدم حدوث هزة الجماع عند المرأة في حالة زيادة قلفة البظر أو ضيقها ولم تذكر له أية آثار ضارة على الصحة<sup>1</sup> . وعلى الأقل يتبين مما مضى أن في السنة ختان يشرع للنساء خلافاً لمن خالف هذا وليأتوا برهانهم إن كانوا صادقين، لاسيما وأنا نذك أعناق حجتهم قريباً في مبحثنا القادم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

### المبحث الثالث

#### مناقشة حديثية لبعض أحاديث الختان

نسبة لقول كثير من الناس أنه لا يشرع ختان للمرأة على زعمهم بضعف حديث أم عطية . وكنت أريد أن أتاول هذا الحديث بالبحث والتخريج وقبل الشروع في هذا المشروع عثرت على دراسة حديثية للحديث قام بها علامة العصر الشيخ الألباني - رحمه الله - فأثرت إيرادها برمتها ولكن قبل ذلك لأبد من التنبيه إلى قاعدة حديثية مهمة لا يستغنى عنها باحث في الحديث ، وهي أن الحديث الضعيف إذا كثرت طرقه وشواهدة فإنه يتقوى بها . إذا لم تكن الطرق شديدة الضعف .

---

<sup>1</sup> خفاض المرأة فيصل مكى ص ١٩ ط المطبعة العسكرية

وإليك الدراسة الحديثية التي قام بها الألباني : ((الحديث رقم ٧٢٢ في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها . " إذا خفضت فأشمي ولا تنهكي فإنه أسرى للوجه وأحظى للزوج " رواه الدولابي "١٢٢/٢" والخطيب في التاريخ ٥/٥ ص ٣٧٥ . عن محمد بن سالم مولى قدامة بن مطعون قال : حدثنا زائدة بن أبي الرقاد أبو معاذ عن ثابت عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأم عطية فذكره . قلت : وهذا إسناد ضعيف ، رجاله ثقات غير زائدة بن أبي الرقاد فإنه منكر الحديث كما قال الحافظ في التقريب .

أما قول الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٢٧/٥

" رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن "

فإن كان من غير هذا الوجه فمحتمل ، وإن كان منه فلا وما أراه إلا منه فقد رأيت ابن عدي قد أخرجه في الكامل ٢/١٥٠ وقال : هذا يرويه عن ثابت زائدة بن أبي الرقاد ولا أعلم يرويه غيره ، وزائدة له أحاديث حسان وفي بعض أحاديثه ما ينكر قلت : وقد روى الخطيب عن القواريري أنه أنكر هذا الحديث قلت : للحديث طريق أخرى عن أنس أخرجه أبو نعيم في أخبار أصبهان ٢٤٥/١ عن إسماعيل بن أبي أمية ثنا أبو هلال الراسي : سمعت الحسن ثنا أنس قال : (( كانت ختانة بالمدينة يقال لها أم أيمن فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم فذكره فقلت ورجاله موثوقون غير إسماعيل هذا والظاهر أنه الذي في (الميزان) و(اللسان).

(إسماعيل بن أمية يقال ابن بني أمية حدث عن أبي الأشهب العطاري تركة الدار قطني). وله شاهد من حديث علي فقال : ( كانت خفاضة من المدينة فأرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره . أخرجه الخطيب ٢٩١/١٢ من طريق عوف بن محمد أبي غسان حدثنا أبو ثعلب عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري حدثنا مسعر عن عروة بن مرة عن أبي البحتري عنه .

ذكره في ترجمة عوف هذا وقال عن أبي مندة روى عنه عمرو بن علي وبندار ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً . وأبو ثعلب هذا لم أجد له ترجمة وبقية رجاله معروفون ثقات من رجال التهذيب لكن أبا البحتري لم يسمع من علي شيئاً وأسمه سعد بن أبي فيروز وله شاهد آخر، عن الضحكاك بن قيس قال : (كانت أم عطية خافضة في المدينة فقال النبي صلى الله عليه وسلم فذكره ، أخرجه بن عساكر في تاريخ دمشق ١/٢٠٦/٨ عن أبي أمية الطروسي نا منصور بن صغير نا عبيد الله بن عمرو وعن عبد الملك بن عمير عنه قال : (ذكر أبو الطيب أن الضحكاك بن قيس هذا آخر غير الفهري ) قلت وهو الذي جزم به غير واحد ، وحكاه في التهذيب عن ابن معين : )) وسأله عن حديث حدث به عبد الله بن جعفر - وهو الرقي عن عبيد الله بن عمر- هو الرقي . قال حدثني رجل من أهل الكوفة عن عبد الملك بن عمير عن الضحكاك بن قيس قال : قلت : فذكره فقال الضحكاك بن قيس : ليس

بالفهرري)) قلت : ورواية ابن جعفر هذه ترك على أنه سقط من إسناد ابن عساكر الرجل الكوفي ولعل ذلك من منصور بن صقير ، فإنه ضعيف ومن طريقة أخرى ابن مندة كما في التهذيب وقد جاءت رواية فيها تسمية الرجل الكوفي أخرجها أبو داود (٥٢٧١) من طريقة مروان حدثنا محمد بن حسان الكوفي عن عبد الملك بن عمير عن أم عطية الأنصارية : (( أن امرأة كانت تختن في المدينة فقال النبي صلى الله عليه وسلم فذكره بنحوه وقال : (رواية عن عبد الله بن عبد الملك بمعناه وإسناده قال أبو داود : ليس هو بالقوي وقد روى مرسلًا ومحمد بن حسان مجهول وهذا الحديث ضعيف ، قلت وسبب الضعف الجهالة والاضطراب في إسناده كما ترى وقد قال الحافظ عقب رواية بن صقير عن ابن مندة : (وقد أدخل عبد الله بن جعفر الرقي وهو أوثق من المنصور بن عبد الله وعبد الملك الرجل الكوفي الذي لم يسمه ، فيظهر من رواية ابن معاوية أنه محمد بن حسان الكوفي الذي تفرد به ، وهو مجهول ويحصل من هذا أنه اختلف على عبد الملك بن عمير هل رواه عن أم عطية أم لا ؟ وهل رواه الضحاک عن النبي صلى الله عليه وسلم منه أو أرسله ؟ أو أخذه عن أم عطية أو أرسل عنها ؟ كل ذلك محتمل )) .

وأقول لكن مجرى الحديث من طرق متعددة ، ومخارج متباينة لا يبعد أن يعطي ذلك للحديث قوة يرتقي بها إلى درجة الحسن ، لاسيما وقد حسّن الطريقة الأولى الهيثمي كما سبقت والله أعلم. ثم وجدت الكوفي متابعا



أخرجه الحاكم ٥٢٥/٣ من طريق هلال بن العلاء الرقي ثنا عبيد الله بن عروة عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الملك بن عمير عن الضحاك بن قيس قال : (( كانت بالمدينة امرأة تخفض ....)) الحديث ، وسكت عليه الحاكم والذهبي ورجاله ثقات غير العلاء بن هلال الرقي والد هلال ، وقال الحافظ فيه لين وزيد بن أبي أنيسة حراني ، فلم ينفرد به محمد بن حسان الكوفي . والله أعلم .

والضحاك بن قيس صحابي ثبت سماعه في غير ما حديث واحد ، وحديثهما برقم ١١٨٩ ووجدت له شاهداً آخر يرويه مندل بن علي عن ابن جريج عن إسماعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر قال : (( دخل على النبي صلى الله عليه وسلم نسوة من الأنصار فقال : يا نساء الأنصار أخضبن غمساً ، واخفضن ، ولا تنهكن فإنه أحظى عند أزواجكن ، وإياكن وكفر المنعمين )) قال مندل : يعني الزوج أخرجه البزار ١٧٥ وقال (( مندل ضعيف )) وكذا قال الهيثمي في المجمع ١٧١/٥ - ١٧٢ وزاد وثق ، وبقيته رجاله ثقات )) قلت وبالجملة فالحديث بهذه الطرق والشواهد صحيح والله أعلم<sup>١</sup>.

---

<sup>١</sup> السلسلة الصحيحة ٣٥٣/٢ - ٣٥٧ الألباني ط المكتب الإسلامي

## الخاتمة

رفقاً...رفقاً كلمة نفتح بها خاتمة هذا البحث وأوصي بالرفق بالنساء فإنهن يسيرات و أوجّه عناية الآباء بأن يتقوا الله في رعيتهن...وقبلهم أوجّه عناية المسؤولين أن يتقوا الله ويراقبوا الناس ... وأن يصدروا العقوبات الرادعة علي من يجري مثل هذه العادة الضارة ... كما أوجّه عناية العلماء والباحثين أن يحاربوا بأقلامهم و ألسنتهم هذه العادة .

وقد توصلت الى نتائج مهمة أخصها فيما يلي:

١/ تحريم الخفاض الفرعوني.

٢/ الخفاض الفرعوني ونظائره منتشر في السودان وغيره من دول الجوار.

٣/ عادة الخفاض الفرعوني ليست فرعونية إنما إفريقية.

٤/ ختان السنة ثابت مشروع.

٥/ احاديث الختان ثابتة.

وأوصي بالاتي:

١/ على الباحثين بذل الجهد لمحاربة الختان الغير مشروع.

٢/ على الدول فرض الرقابة على المخالفات في الختان.

٣/ على الدولة تدريس القابلات على الختان الصحيح.

٤/ على الجامعات ومراكز البحث إقامة الندوات والدورات النوعية لمحاربة

الختان المخالف للمشروع.

والله أسأله التوفيق والسداد لكل من أراد الخير

وأن يغرس الخير في الأمة .

## المراجع والمصادر

- ١- القرآن الكريم
- ٢- صحيح الإمام مسلم بشرح النووي
- ٣- النهاية - ابن الأثير ط دار إحياء التراث العربي - بيروت
- ٤- المغنى - ابن قدامي ط هجر
- ٥- نيل الأوطار ط دار الكتب بيروت
- ٦- رياض الصالحين - النووي - ط مكتبة المعارف الرياض
- ٧- التاريخ - البخاري
- ٨- أحكام الجنائز - الألباني
- ٩- تمام المنة - الألباني - ط دار الراية - المكتبة الإسلامية
- ١٠- تحفة المودود في أحكام المولود - ابن القيم ط دار عالم الكتب
- ١١- السلسلة الصحيحة - الألباني المكتبة الإسلامي
- ١٢- بلوغ المرام - ابن حجر مكتبة الرياض الحديثة
- ١٣- كتاب الكافي - ابن عبد البر - ط مكتبة الرياض الحديثة

- ١٤- المقنع - ابن قدامه - ط مكتبة الرياض الحديثة
- ١٥- رسالة ابن أبي زيد القيرواني بشرح صالح عبد السميع - ط المشهد الحسيني
- ١٦- زاد المعاد - ابن القيم ط مؤسسة الرسالة
- ١٧- خطبة الحاجة - الألباني محمد بن ناصر الدين - ط المكتب الإسلامي
- ١٨- خفاض المرأة - د/فيصل مكي ط المطبعة العسكرية
- ١٩- حقائق الحياة - وهو مرشد تدريبي يصدر من وزارة الصحة السودانية الاتحادية.
- ٢٠- أشرطة الفتاوى الإماراتية الألباني
- ٢١- نشرة برنامج الإدارة القومية للأمومة والطفولة
- ٢٢- أعراف الأهل.

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

**جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم**

بحث بعنوان :

نواقص الايمان

إعداد : د.

أحمد محمد الزبير حسن<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> الأستاذ المساعد بكلية القرآن الكريم - رئيس قسم الدراسات الإسلامية- تخصص عقيدة

## الملخص

تهدف هذه الدراسة لمعرفة نواقص الإيمان بأسلوب سهل ، وميسر لمعالجة التعقيدات التي اتسمت بها الكتب العقديّة.

قد عرضت الموضوعات الأساسية في النواقص معتمداً على القرآن الكريم ، والسنة النبوية ومستعينةً بأقوال العلماء متى كان ذلك لازماً ، و اتبعت المنهج الإستقرائي التحليلي الذي يناسب مثل هذا النوع من الدراسات ، وقد اعتنت بجمع الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ذات الصلة بموضوع الدراسة ، و قامت بضبطها ضبطاً صحيحاً باعتبارها أساس البحث وروحه.

خرجت الدراسة بنتائج مهمة تسهم في أصول الإيمان ، وتوضيح نواقص الإيمان ، وتسهم في إرساء منهج لتطوير البحث العقدي لاسيما بعد اشتداد الحاجة إلى المعارف ، والدراسة الشرعية ، كما خلصت الدراسة إلى توصيات علمية قيمة.

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد  
أشرف الأنبياء ، والمرسلين وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان  
إلى يوم الدين . أما بعد :

فإن أصل الفساد مخالفة الحق ، وتتكب طريقه ، والصلاح فى  
اتباع الحق ، والتزام طريقه ولذا كان أشرف ما يتعلمه الإنسان ،  
ويعلمه لغيره من أمور الإيمان ، ونواقصه وأحوط ما يحتاج ، ويتسلح  
به معرفة معالم الكفر ، ومقتضياته ، وتوضيحاً لهذه المنزلة السامية  
وخدمةً لهذا الموضوع فقد وقع إختيارى على موضوع : (نواقص  
الإيمان) أحببت أن أسهم فى فهمها وتأصيلها .

أولاً : أسباب اختيار الموضوع ، و أهميته :

١. إن نواقص الإيمان من أعظم الذنوب ، وإن كانت لا تخرج  
عن الملة.

٢. نظراً لخطورة هذه النواقص فإنه يتعين علينا العلم بها ، و  
معرفة أنواعها.

٣. مع ظهور هذه النواقص ووجوب الحذر منها إلا أن الناظر  
إلى واقع بلاد المسلمين عموماً يرى أن هذه النواقص قد عمّت  
، وطمّت الكثير من تلك الديار فيشاهد ويسمع ويقراً مظاهر



متنوعة ، وأنماطاً مختلفة لما يناقص الإيمان كما صارت هذه النواقص أمراً مألوفاً.

٤. مما يؤكد أهمية دراسة هذا الموضوع أن موقف الكثير من المسلمين أمام تلك النواقص لا يخلو من غلو ، أو جفاء فهناك من غلا ، وتشدد أمام تلك النواقص فأدخل ما ليس منها ، وفي المقابل نجد أقواماً قد تساهلوا في أمر هذه النواقص فجعلوها مجرد مألوفات ، وهدى الله أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه فقرروا هذه المسألة بعلم ، وعدل ، وتوسطوا بين أهل الغلو ، والإرجاء .

ثانياً : إن المنهج الذي اتبعته في هذه الدراسة المنهج الإستقرائي التحليلي ، الذي يعتمد على جمع النصوص ، وتحليلها ثم الوصول إلى النتائج ، وقمت في البحث بالخطوات التالية :

- أعزواآيات القرآنية إلى سورها ، وأشير إلى أرقام الآيات.
- أخرج الأحاديث النبوية من مظانها الأصلية .
- قمت بترجمة لبعض الأعلام الوارد ذكرهم في البحث .
- وضعت في نهاية البحث خاتمة ، وتضم أهم النتائج ،
- والتوصيات .
- قمت بوضع قائمة المصادر ، والمراجع .

ثالثاً : هيكل البحث : تتكون خطة البحث من مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة مباحث ، و خاتمة وفهرس المصادر ، والمراجع.

التمهيد : ويشتمل على الآتي :

أولاً : التعريف بالنواقص ، والفرق بين النواقص ، والنواقض .

ثانياً : التعريف بالإيمان .

المبحث الأول : الشرك الأصغر .

المطلب الأول : التعريف بالشرك الأصغر .

المطلب الثاني : أمثلة من الشرك الأصغر:

- الرياء .
- الحلف بغير الله تعالى.
- الندية بين الله تعالى ، وبين أحد من خلقه ب(الواو).
- الاستسقاء بالأنواء.

المبحث الثاني : الكفر الأصغر :

المطلب الأول : التعريف بالكفر الأصغر.

المطلب الثاني : نماذج من الكفر الأصغر :

- قتال المسلم .

- كفر النعمة .
- الطعن فى الأنساب ، والنياحة.
- انتساب الإنسان لغير أبيه ، و إباق العبد.

المبحث الثالث : النفاق الأصغر :

المطلب الأول : تعريف النفاق الأصغر.

المطلب الثانى : أهم خصال النفاق الأصغر.

- الكذب.
- أن لا يفى إذا وعد.
- الفجور فى الخصومة.
- الخيانة.
- الإعراض عن الجهاد.
- بغض الأنصار .
- بغض الخليفة الراشد على بن أبى طالب.

الخاتمة ، وتشتمل على الآتي :

- أولاً : أهم النتائج.
- ثانياً : أهم التوصيات.
- قائمة المصادر والمراجع.

## التمهيد

أولاً : التعريف بالنواقص ، والفرق بينها وبين النواقض :  
(نقص والنقص الخسران في الحق والنقصان يكون مصدراً ، ويكون قدر الشيء الذاهب من المنقوص ، نقص الشيء ينقص نقصاً نقصاناً ، ونقيصةً ، ونقصة هو يتعدى ، ولا يتعدى وأنقصه لغةً وانتقصه وتتقصه أخذ منه قليلاً قليلاً على حد مايجئ عليه هذا الضرب من الأبنية بالأغلب والنقصُ ضعف العقل ونقص الشيء نقاصةً فهو نقيص )<sup>١</sup> .

الفرق بين نواقص الإيمان ، ونواقضه : فنواقص الإيمان : هي الأمور التي تنافي كمال الإيمان ، ولا تتقضه بالكلية ، فإذا وجدت عند المسلم نقص إيمانه ، ولم يخرج من دين الإسلام ، بل هي المعاصي التي لا تصل الى درجة الشرك الأكبر ، أو الكفر الأكبر ، أو النفاق الأكبر ، وفي مقدمتها الشرك الأصغر ، والكفر الأصغر والنفاق الأصغر .

أما نواقض الإيمان : فهي الأمور التي إذا وجدت عند العبد خرج عن دين الله بالكلية وأصبح بسببها كافراً ، وهي : (اعتقادات ، أو أقوال ، أو أفعال تزيل الإيمان ، وتقطعه)<sup>٢</sup> وهي كثيرة تجتمع في

---

<sup>١</sup> لسان العرب ، لابن منظور ، مج ٧ ، دار صادر بيروت ، ص

<sup>٢</sup> المغنى ، لابن قدامة ، مج ٨ ، مكتبة الرياض الحديثة ، ص ١٢٣ .

الشرك الأكبر ، والكفر الأكبر ، والنفاق الأكبر .

ثانياً : التعريف بالإيمان (هو من باب آمن ، والأمان ، والأمانة بمعنى ، وقد أمنت فأنا آمن ، وأمنت غيري ، الأمن ، والأمان ضد الخوف ، والأمانة ضد الخيانة ، والإيمان ضد الكفر والإيمان بمعنى التصديق ضده التكذيب يقال آمن به قوم كذا ، وكذب به قوم كذا ، وقوله تعالى ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ ﴿١٧﴾ يوسف ، الآية : ١٧ أي بمصدقٍ واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق<sup>١</sup> .

وفى الشرع : (هو الاعتقاد بالقلب ، والإقرار باللسان)<sup>٢</sup> .  
قال الإمام الآجري<sup>٣</sup> - رحمه الله - : (الإيمان تصديقٌ بالقلب ، وإقرارٌ باللسان ، وعمل بالجوارح)<sup>٤</sup> .

قال ابن عبد البر<sup>٥</sup> - رحمه الله - فى التمهيد : ( لقد تلقى

<sup>١</sup> لسان العرب ، لابن منظور ، مج ١٣ ، ص ٢١

<sup>٢</sup> التعريفات ، للجرجاني ، ط ١ ، ٢٠٠٥م ، بيروت لبنان ، ص ٣٢ .

<sup>٣</sup> هو أبوبكر محمد بن الحسين البغدادي ، الإمام المحدث ، له مؤلفات منها كتاب الشريعة توفى بمكة سنة ٣٦٠ هـ أنظر : تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، مج ٢ ، دار الكتب العلمية بيروت ، ص ٢٤٣ .

<sup>٤</sup> الشريعة ، لأبي بكر الآجری ، تحقيق : محمد حامد الفقى ، ط ١ ، مطبعة السنة المحمدية القاهرة ، ص ١١٩

<sup>٥</sup> هو أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي المالكي حافظ مؤرخ أديب ولد عام ٣٦٨ هـ

أهل السنة هذا التعريف بالقبول ، والتسليم اتباعاً للنصوص القرآنية ،  
والأحاديث النبوية الصحيحة الدالة على أن الإيمان تصديق بالقلب ،  
وإقرار باللسان ، وعمل بالجوارح)<sup>١</sup> . فمن الأدلة قوله تعالى : ﴿ وَكَمَا  
يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ الحجرات ، الآية : ١٤ . وقوله تعالى ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا  
بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ البقرة ، الآية : ١٣٦ . وقوله صلى الله عليه وسلم :  
«الإيمان بضع ، وستون شعبة أعلاها لا إله إلا الله ، وأدناها  
إمطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان »<sup>٢</sup> والإيمان  
يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، وهو مذهب أهل السنة  
والجماعة<sup>٣</sup> ، وذلك استناداً لقوله تعالى ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ  
قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾  
آل عمران الآية : ١٧٣ وقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ

---

بقرطبة له مصنفات منها جامع العلم وفضلة توفي سنة ٤٦٣ هـ أنظر : سير أعلام النبلاء

، للذهبي ، مج ١٨ ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ مؤسسة الرسالة بيروت ، ص ١٥٣

<sup>١</sup> التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، لابن عبد البر ، مج ٩ ، طبعة وزارة الأوقاف  
بدولة المغرب ، ص ٢٤٨

<sup>٢</sup> صحيح البخارى ، للإمام البخارى ، مج ١ ، كتاب الإيمان ، باب أمور الإيمان ، تحقيق  
: محب الدين الخطيب ، دار المعرفة بيروت ، ص ٥١

<sup>٣</sup> هم الذين على هدى الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه علماء وعملاً واعتقاداً وأدباً  
وسلوكةً وهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . انظر  
: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، مج ٢ ، إشراف :  
دكتور مانع بن حماد ط ٢٠٠٣ ٥ دار الندوة العالمية الرياض ، ص ٩٧٧

وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴿٢٠﴾ الأنفال ، الآية : ٢ وقوله  
صلى الله عليه وسلم « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم  
يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »<sup>١</sup>.

**المبحث الأول : الشرك الأصغر**

**المطلب الأول : تعريف الشرك الأصغر**

---

<sup>١</sup> صحيح مسلم ، للإمام مسلم ، مج ١ ، كتاب الإيمان ، باب كون النهى عن المنكر من

الإيمان ، ص ٦٩

الشرك لغة هو : ( الشَّرْكَ ، والشَّرِكَةُ سواء مخالطة الشريكين يقال اشتركتنا بمعنى تشاركنا وقد اشترك الرجلان ، وتشاركوا وشارك أحدهما الآخر ، وأشرك بالله جعل له شريكاً فى ملكه تعالى الله عن ذلك ، والإسم الشرك قال تعالى حكايةً عن عبده لقمان أنه قال لإبنه ﴿ يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ لقمان ، الآية : ١٣ ، والشرك أن يجعل لله شريكاً فى ربوبيته تعالى الله عن الشركاء والأنداد )<sup>١</sup>.

وفى الإصطلاح : ( هو كل ما كان نوع شرك لكنه لم يصل إلى درجة الشرك الأكبر)<sup>٢</sup>

ويمكن أن يقال هوكل قول ، أو عمل بالقلب ، أو عمل الجوارح جعل العبد فيه نداً لله تعالى ولم تصل هذه الندية لإخراج صاحبها. والشرك الأصغر كبيرة من كبائر الذنوب بعد نواقض التوحيد<sup>٣</sup>.  
الشرك الأصغر إذا صاحب العمل الصالح بطل ثوابه لما روي النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه عزوجل : «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته ، وشركه»<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> لسان العرب ، لابن منظور ، مج ١٠ ، ص ٤٤٨

<sup>٢</sup> تحقيق كلمة الإخلاص ، لابن رجب ، مطبعة القاهرة ، ص ٢٦

<sup>٣</sup> أنظر : كتاب التخويف من النار ، لابن رجب ، دار الكتب العلمية ، ص ٢٥٠

<sup>٤</sup> مختصر صحيح مسلم ، للحافظ المنذرى ، كتاب الزهد والرفائق ، باب من أشرك فى عمله



المطلب الثانى : أمثلة من الشرك الأصغر :  
أولاً : الرياء :

الرياء فى اللغة : (مشتق من الرؤية ، وهى النظر يقال رأيته مراة ورياء إذا أريته على خلاف ما أنا عليه ، والرياء هو ترك الإخلاص فى العمل بملاحظة غير الله فيه)¹.

وفى الاصطلاح : ( أن يظهر الإنسان العمل الصالح للآخرين أو يحسنه عندهم أو يظهر عندهم بمظهر مندوب إليه ليمدحوه ويعظم فى نفسه)² .

قال القاضي عياض³ -رحمه الله- : (ترك العمل لأجل الناس رياء ، والعمل لأجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك الله منهما)⁴ وللرياء صورٌ عديدة منها :

---

غير الله ، ص ٤٤٦

¹ التعريفات ، للجرجاني ، ص ٨٢

² قواعد الأحكام ، للعز بن عبد السلام ، دار الكتب العلمية بيروت ، ص ١٦٠

³ هو أبو الفضل عياض بن موسى إليحصى الأندلسى ، ولد سنة ٤٧٦هـ ، له مؤلفات كثيرة أشهرها ، كتاب الشفاء ، توفى بمراكش سنة ٥٤٤هـ أنظر : الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب ، لإبن فرحون المالكي ، مج ٢ ، دار التراث القاهرة ، ص

٤٦

⁴ الكبائر ، للذهبي ، تحقيق : عبد الرحمن كافورى ، ط ٣ ، ١٤٠٥هـ دار السلام

القاهرة ، ص ١١

• الرياء بالعمل كبر الوالدين ليقال بار ، وكإكرام الضيوف ليقال كريم وكمراءة المصلى بطول الركوع ، والسجود.

• كمراءة بالقول كتحريك الشفتين بالذكر أمام الناس رياءً ، ومن الرياء بالقول أن يحسن صوته بالقراءة ليقال فلان قاريء ، وهذا من السمعة المحرمة لقوله صلى الله عليه وسلم « من يرئى يرئى الله به ومن سمع سمع الله به »<sup>١</sup>

• كمراءة بالهيئة ، والزي كتقصير الثياب والظهور بمظهر الزهاد من أجل أن يمدح بذلك وكإبقاء أثر السجود على الجبهة رياءً.

قد وردت أدلة كثيرة تدل على تحريم الرياء ، وعظم عقوبة فاعله ، وأنه يبطل العمل الذى يصاحبه لقوله صلى الله عليه وسلم : « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا : وما الشرك الأصغر قال : الرياء يقول الله عزوجل : لهم يوم القيامة إذا جوزى الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم ترأؤون فى الدنيا هل تجدون عندهم جزاء »<sup>٢</sup> ،

---

<sup>١</sup> صحيح البخارى ، للإمام البخارى ، مج ٣ ، كتاب الرقاق ، باب الرياء والسمعة ، ص ٢٤٩

<sup>٢</sup> المسند ، للإمام أحمد ، مج ٥ ، دار صادر بيروت ص ، ٤٢٨

وفى حديث أبي هريرة<sup>١</sup> أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
«أول من تسعر بهم النار يوم القيامة ثلاثة رجل قاتل فى  
الجهاد حتى قتل ليقال جرى ، ورجل تعلم العلم وعلمه ليقال  
عالم ، ورجل تصدق ليقال جواد»<sup>٢</sup>

ولهذا ينبغى للمسلم البعد عن الرياء ، والحذر من الوقوع  
فيه لقوله ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾  
الفرقان ، الآية : ٢٣ يعنى الأعمال التي عملوها لغير وجه الله  
أبطلنا ثوابها ، وقال تعالى : ﴿ فَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ  
عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ الكهف ، الآية : ١١٠ . لا يجوز  
للمسلم أن يرمى مسلماً آخر بالرياء فإن الرياء من أعمال  
القلوب ، ولا يعلمه إلا علام الغيوب ، واتهام المسلمين بالرياء  
من أعمال المنافقين قَالَ تَعَالَى : ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ  
الْمُطَوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ  
إِلَّا جَهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ التوبة ، الآية

: ٧٩ .

<sup>١</sup> عبد الرحمن بن صخر الدوسى إمام ، سيد الحفاظ ، قدم يوم خيبر ، عُين أميراً على البحرين  
فى خلافة عمر مات سنة ٥٧ هـ أنظر : الإصابة فى تمييز الصحابة ، لابن حجر  
العسقلانى ، مج ٦ ، تحقيق : على محمد الجاوى ، دار نهضة مصر ، ص ٤٥٢  
<sup>٢</sup> صحيح مسلم ، للإمام مسلم ، مج ٢ ، كتاب الأمانة ، باب من قاتل للرياء والسمعة ،

قال البخارى<sup>١</sup> - رحمه الله - فى كتاب التفسير فى سبب نزول هذه الآية عن أبى مسعود الأنصارى رضى الله عنه قال : ( لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل ف جاء أبو عقيل بنصف صاع ، وجاء إنسان بأكثر منه فقال المنافقون إن الله لغني عن صدقة هذا وما فعل هذا الآخر إلا رياءً )<sup>٢</sup> ، والأصل فى المسلم السلامة ، وأنه إنما أراد وجه الله وأن المسلم يندب له فى بعض المواضع أن يظهر عمله للناس إذا أمن على نفسه من الرياء كما إذا أراد أن يقتدي به فى الخير فليس كل من حرص على إظهار عمله للناس يعتبر مرئياً<sup>٣</sup> .

ثانياً : الحلف بغير الله تعالى :

والحلف فى اللغة هو : (الحلف والحلف القسم لغتان حلف أي أقسم يحلف حلفاً ، وحلفاً ومحلوفاً ، وهو أحد ما جاء من المصادر على مفعول مثل المجلود والمعقول والمعسور والميسور

<sup>١</sup> هو أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى أمير المؤمنين فى الحديث حافظ ، محدث ، مؤرخ له مؤلفات كثيرة منها الجامع الصحيح ، والتاريخ الكبير ولد عام ١٩٤ هـ وتوفى عام ٢٥٦ أنظر : تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلانى ، مج ٣ ، ط ١ ، دائرة المعارف الإسلامية ص ٢٧٥

<sup>٢</sup> صحيح البخارى ، للإمام البخارى ، مج ٢ ، كتاب تفسير القرآن ، باب ﴿ الَّذِينَ ﴾

يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ ... ﴾ ، ص ٤٣٥

<sup>٣</sup> أنظر : إحياء علوم الدين ، للغزالي مج ٣ ، ط ١ ، دار الكتب العربية القاهرة ، ص

والواحدة حلفة) <sup>١</sup> ، ويسمى باليمين والقسم.

وفى الاصطلاح : (توكيد الشيء بذكر اسم ، أو صفة لله تعالى مُصدراً بحرف من حروف القسم ، وقد أجمع أهل العلم على أن اليمين المشروعة هي قول الرجل والله ، أو بالله ، أو تالله) <sup>٢</sup> ، والحنف عبادة من أجلّ العبادات التي لا يجوز صرفها لغير الله تعالى فيحرم الحلف بغيره تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم : « ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » <sup>٣</sup> ، فمن حلف بغير الله سواء أكان نبياً ، أم ملكاً ، أم الكعبة أم غيرها فقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب .قال الإمام الذهبي <sup>٤</sup> - رحمه الله - : ( ومن ذلك الحلف بغير الله عز وجل كالنبي ، والكعبة ، والملائكة ، والسماء ، والماء والامانة ، وهي من أشد ما هنا ، والروح ، والرأس ، وحياة السلطان ، ونعمة السلطان ، وترية فلان) <sup>٥</sup>

---

<sup>١</sup> لسان العرب ، لابن منظور ، مج ٩ ، ص ٥٣

<sup>٢</sup> التمهيد ، لابن عبد البر ، مج ١٤ ، ص ٣٦٩

<sup>٣</sup> صحيح البخارى ، للإمام البخارى ، مج ٣ ، كتاب الأدب ، باب من لم يرى إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً ، ص ١٥٩

<sup>٤</sup> هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي إمام حافظ مؤرخ ولد سن ٦٧٣ هـ بدمشق صاحب كتاب الكبائر توفى بدمشق سنة ٧٤٨ انظر : طبقات الشافعية الكبرى ،

للسبكي ، مج ٩ ، تحقيق : عبد الفتاح الحلو القاهرة ، ص ١٠٠

<sup>٥</sup> الكبائر ، للذهبي ، المكتبة الثقافية ، ص ١٠٢

قال الهيثمي<sup>١</sup> - رحمه الله- : ( الحكم أي الحلف بغير الله  
 بالكبيرة غير بعيد لما فى الحديث السابق من الوعيد الشديد )<sup>٢</sup> .  
 قال ابن عبد البر - رحمه الله- : ( أجمع العلماء أن اليمين بغير  
 الله مكروهة منهي عنها لا يحوز الحلف بها لأحد )<sup>٣</sup> ، ولأن الحلف  
 فيه تعظيم للمحطوف به ، فمن حلف بغير الله كائناً من كان فقد  
 جعله شريكاً لله عزوجل فى هذا التعظيم الذي لا يليق إلا به سبحانه  
 وتعالى . قال الحافظ ابن حجر<sup>٤</sup> - رحمه الله- : (قال العلماء السر  
 فى النهي عن الحلف بغير الله أن الحلف بالشيء يقتضى تعظيمه  
 والعظمة فى الحقيقة إنما هى لله وحده)<sup>٥</sup> .

<sup>١</sup> هو أحمد بن محمد بن على بن حجر الهيثمي ، ولد عام ٩٠٩ هـ ، درس فى الأزهر ، عُني  
 بالحديث ، له مؤلفات من أشهرها الإعلام بقواطع الإسلام توفى سنة ٩٧٤ هـ . أنظر :  
 الاعلام ، للزركلي ، مج ١ ، ط ٦ ، ١٩٨٤ م ، دار العلم للملايين ، ص  
 ٢٣٤

<sup>٢</sup> الزواجر عن إقتراف الكبائر ، للهيثمي ، مج ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص  
 ١٨٤

<sup>٣</sup> التمهيد ، لإبن عبد البر ، مج ١٤ ، ص ٣٦٦

<sup>٤</sup> هو أبو الفضل أحمد بن على بن محمد الكناني العسقلاني ، محدث إمام حافظ مؤرخ أديب  
 شاعر ، له مؤلفات عديدة منها الإصابة فى تمييز الصحابة ، وفتح الباري ، وغيرها  
 توفى عام ٨٥٢ هـ أنظر : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، للشوكاني ، مج  
 ١ ، دار المعرفة بيروت ، ص ٨٧

<sup>٥</sup> فتح الباي شرح صحيح البخارى ، لابن حجر العسقلاني ، مج ١١ ، تحقيق : محب

إن الحلف بغير الله إنما نُهي عنه لأن في الحلف تعظيم للمحلوف به ، وهو لا ينبغي إلا لله ، ولأن فيه إظهار المحلوف به على صدق الحالف ، وهذا لا يصح إلا بمن يعلم صدق المحلوف عليه ، أو كذبه ، وهو الله تعالى كما أن من يُحلف به يجب أن يكون يملك عقاب من حلف به ، والانتقام منه عند حلفه به كاذباً ، وهو الله تعالى دون سواه ، وهذا من الشرك الأصغر إن كان الحالف إنما أشرك في لفظ القسم لا غير ، أما إن كان الحالف قصد بحلفه تعظيم المحلوف الذي حلف به كتعظيم الله تعالى كما يفعله كثير من الجهال الذين يحلفون بغير الله تعالى حتى ربما بلغ تعظيمهم في قلوبهم ؛ لأنهم لا يحلفون بهم كاذبين مع أنه يحلفون بالله ، وهم كاذبون؛ لأن المحلوف به عندهم أجلّ ، وأعظم ، وأخوف من الله تعالى . قال الشوكاني<sup>١</sup> -رحمه الله- بعد ذكره لبعض الأحاديث التي فيها أن من حلف بغير الله فقد أشرك قال : (وهذه الأحاديث في دواوين الإسلام ، وفيها أن الحلف بغير الله يخرج به الحالف عن الإسلام وذلك لكون الحلف مظنة تعظيمه)<sup>٢</sup> . وقال النووي<sup>١</sup> -رحمه

---

الدين الخطيب ، دار المعرفة بيروت ، ص ٥٣١

<sup>١</sup> هو محمد بن علي الشوكاني الصنعاني زیدی ، مفسر محدث فقيه أصولي ، ولد عام ١١٧٣هـ ، له مؤلفات كثيرة منها فتح القدير ، ونيل الأوطار والبدر الطالع توفي بصنعاء عام ١٢٥٠ هـ . أنظر : البدر الطالع ، للشوكاني ، مج ٢ ، ص ٢١٤ ، ونيل

الأوطار ، مج ٢ ص ٢٩٧

<sup>٢</sup> الدر النضيد ، للشوكاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص ١٠

الله-

( : فلو اعتقد الحالف فى المحلوف به من التعظيم ما يعتقدده فى الله تعالى كفر)<sup>٢</sup>.

ثالثاً : النّدية بين الله تعالى ، وبين أحد من خلقه ب(الواو) :  
(العطف بالواو يقتضى مطلق الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه ، ولذلك فإنه يحرم العطف بها بين الله تعالى ، وبين أحد من خلقه ، أما العطف ب(ثم) فهو جائز ؛ لأن ثم تفيد الترتيب ، والتراخي)<sup>٣</sup> ،  
وفى الحديث أن يهودياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « إنكم تتدّدون ، وإنكم تشركون ، تقولون ما شاء الله وشئت ، وتقولون والكعبه فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن

---

<sup>١</sup> هو أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى النووى الدمشقي الشافعي ، ولد عام ٦٣١ هـ ، فقيه محدث حافظ لغوى ، له مؤلفات كثيرة منها رياض الصالحين ، شرح صحيح مسلم ، وغيرها توفى بنوي سنة ٦٧٧ هـ أنظر : طبقات الشافعية ، للسبكي ، مج ٨ ، ص ٣٩٥

<sup>٢</sup> روضة الطالبين ، للنووي ، مج ١١ ، ط الثانية ، ١٤٠٥ هـ المكتب الإسلامي بيروت ، ص ٦

<sup>٣</sup> شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب ، للحوجري ، تحقيق : نواف بن جزاء ، الجامعة الإسلامية سنة ٢٠٠٤ م ، ص ٥٧٦



يقولوا ورب الكعبة ، ويقولون ماشاء الله ثم شئت»<sup>١</sup> ، وأيضاً أن رجلاً قال : للنبي صلى الله عليه وسلم ما شاء الله ، وشئت فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أجعلتني لله نداً؟ بل شاء الله وحده»<sup>٢</sup> .

قال القرطبي<sup>٣</sup> رحمه الله فى تفسيره لهذه الآية ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ (١٠٦) (قيل معناها أنهم يدعون الله لينجيهم من الهلكة فإذا أنجاهم قال قائلهم لولا فلان ما نجونا ، ولولا الكلب لدخل علينا اللص ، ونحو هذا فيجعلون نعمة الله منسوبة إلى فلان ، ووقايته تعالى منسوبة إلى الكلب ، وقد يقع فى هذا كثير من عوام المسلمين )<sup>٤</sup> ، وقد استثنى بعض أهل العلم من هذا الحكم : ما إذا أضاف النعمة إلى سبب صحيح ثابت على سبيل الإخبار لا غير ، مع اطمئنان القلب إلى أن المنعم الحقيقي هو الله تعالى أن هذا السبب إنما هو من فضل الله ، وإنعامه

<sup>١</sup> المسند ، للإمام احمد ، مج ٦ ، ص ٣٧١

<sup>٢</sup> سلسلة الأحاديث الصحيحة ، للألباني ، ط ٢ ، ١٣٩٩هـ المكتب الإسلامى بيروت ، ص ١٣٦

<sup>٣</sup> هو محمد بن احمد بن أبى بكر الخزرجى الأندلسى ، مالكي المذهب فقيه مفسر ، له مؤلفات كثيرة منها الجامع لأحكام القرآن ، توفى بمصر سنة ٦٧١هـ أنظر : الديقاج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب ، لإبن فرحون ، مج ٢ ، تحقيق : محمد الاحمدى ، دار التراث القاهرة ، ص ٣٠٨

<sup>٤</sup> تفسير القرطبي ، للإمام القرطبي ، مج ٦ ، ط ٥ ، دار المعرفة بيروت ، ص ٢١٢

فقالوا بأن هذا جائز لحديث العباس بن عبد المطلب<sup>١</sup> رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : « هو في ضحضاح من نار لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»<sup>٢</sup>.

رابعاً : الاستسقاء بالأنواء : الإستسقاء فى اللغة : (من سقا يسقى والمصدر سقياً بفتح السين وتسكين القاف والاسم : السقيا والمراد إنزال الغيث ، والسين والتاء فى الاستسقاء تدل على الطلب أي طلب السقيا كالاستغفار فهو طلب المغفرة فمادة استفعل تدل على الطلب غالباً)<sup>٣</sup>

والأنواء (جمع نوء وهو النجم، وفى السنة الشمسية ثمانية وعشرون نجماً كنجم الثريا ونجم الديرات فالاستسقاء بالأنواء أن يطلب من النجم أن ينزل الغيث ، ويدخل فيه أن ينسب فيه الغيث إلى النجم كما كان أهل الجاهلية يزعمون فكان إذا نزل مطر فى

---

<sup>١</sup> هو العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم قبل الهجرة خرج مع قومه إلى بدر فأسر روي عدة أحاديث شريفاً مهابةً عاقلاً جميلاً أبيض معتدل القامة جهور الصوت ولد قبل عام الفيل بثلاث سنين مات سنة ٣٢ هـ فصلى عليه عثمان بن عفان أنظر : سير أعلام النبلاء للذهبي مج ٢ ، ص ٩٧

<sup>٢</sup> صحيح البخارى ، للإمام البخارى ، مج ٢ ، كتاب مناقب الصحابة ، باب قصة أبي طالب ، ص ٢٣٥

<sup>٣</sup> معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ، مج ٥ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الحلبي مصر ، ص ٤٧١ .

وقت نجم معين نسبوا إلى ذلك النجم فيقولون هذا مطر الوسمي ، أو هذا مطر الثريا ، ويزعمون النجم هو الذى أنزل هذا الغيث)<sup>١</sup>.

الإستسقاء بالأنواء ينقسم إلى ضربين :

الضرب الأول : (أن ينسب المطر إلى النجم معتقداً أنه هو

المنزل للغيث بدون مشيئة الله وفعله جل وعلا فهذا شرك أكبر.

الضرب الثانى : أن ينسب الغيث إلى النوء معتقداً أن الله تعالى

جعل هذا النجم سبباً في نزول هذا الغيث فهذا من الشرك

(الأصغر)<sup>٢</sup>؛ لأنه جعل ما ليس بسبب سبباً ، فالله تعالى لم يجعل

شيئاً من النجوم سبباً فى نزول الأمطار ، ولا صلة للنجوم بنزولها

بأي وجه ، وإنما أجرى الله العادة بنزول بعض الأمطار فى وقت

بعض النجوم ، وقد وردت أدلة كثيرة تدل على تحريم الاستسقاء

بالأنواء منها : عن عبد الله بن عباس<sup>٣</sup> رضي الله عنهما قال :

مُطر الناس على عهد رسول الله صلى عليه وسلم فقال النبي صلى

الله عليه وسلم : « أصبح من الناس شاكر ، ومنهم كافر قالوا :

هذه رحمة الله ، وقال بعضهم : لقد صدق نوء كذا وكذا »<sup>٤</sup> قال :

---

<sup>١</sup> صحيح مسلم بشرح النووي ، مج ٢ ، المطبعة المصرية القاهرة ، ص ٦١

<sup>٢</sup> لطائف المعارف ، لإبن رجب الحنبلي ، ص ٧٠

<sup>٣</sup> هو أبو العباس عبد الله بن عباس الهاشمي القرشي إبن عم الرسول حبر هذه الأمة صاحب مدرسة فى التفسير ناظر الخوارج مات سنة ٨٦ هـ أنظر : الإصابة فى تمييز الصحابة ،

لإبن حجر العسقلانى ، مج ٨ ، ص ٣٣١

<sup>٤</sup> صحيح مسلم ، للإمام مسلم ، مج ١ ، كتاب الإيمان ، باب بيان كفر من قال مُطرنا

فنزلت هذه الآية : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْجِعِ النُّجُومِ ﴾ الواقعة ، الآية : ٧٥ .  
قال الطبري<sup>١</sup> - رحمه الله - فى تفسيره لهذه الآية ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ

تُكذِّبُونَ ﴾ الواقعة : الآية ٨٢ : (أنكم تجعلون شكر ما أنعم الله به عليكم من الغيث أنكم تكذبون بذلك ، وذلك بنسبة إنزال الغيث إلى غير الله تعالى)<sup>٢</sup> وفى الحديث صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية فى إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال : « هل تدرون ماذا قال ربكم : قالوا : الله ورسوله أعلم قال : أصبح من عبادي مؤمنٌ بيّ وكافرٌ بيّ ، فأما من قال : مُطرنا بفضل الله ، ورحمته فذلك مؤمنٌ بيّ كافرٌ بالكواكب وأما من قال مُطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافرٌ بيّ مؤمنٌ بالكواكب»<sup>٣</sup> وهذا الحديث يشمل على الصحيح النوعين السابقين فهذا القول كفر لكن إن نسب الغيث إلى النجم من دون الله فهو كفرٌ ، وشركٌ أكبر ، وإن نسبه إليه نسبة تسبب فهذا شرك أصغر ، وقوله صلى الله عليه وسلم

---

بالنوء ، ص ٧٣

<sup>١</sup> هو أبو جعفر محمد ابن جرير بن كثير الطبري إمام حافظ مفسر مجتهد مؤرخ صاحب تصانيف كثيرة منها تفسيره المشهور مات ببغداد سنة ٣١٠ هـ أنظر : طبقات الشافعية الكبرى ،

للسبكي ، مج ٣ ، ص ١١٥

<sup>٢</sup> تفسير ابن جرير الطبري ، للطبري ، مج ٢٥ ، المطبعة الميمنية مصر ، ص ٢٩٨

<sup>٣</sup> صحيح البخارى ، للإمام البخارى ، مج ١ ، كتاب الآذان ، باب يستقبل الإمام إذا

سلم ، ص ١٨٩

« أرى في أمي من أمر الجاهلية لا يتكونهن الفخر في الأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة »<sup>١</sup> ، ولا شك أن هذا اللفظ ينبغي تركه واستبداله بالألفاظ الأخرى التي لا إيهاام فيها ، فإما أن يقول : مُطَرنا بفضل الله ورحمته ، وهذا هو الذي ورد الثناء على من قاله ، كما سبق في الحديث القدسي فهو أولى من غيره ، وإما أن يقول هذا مطرٌ أنزله الله تعالى في وقت نجم كذا ، ونحو ذلك من العبارات الصريحة التي لا لبس ، ولا إشكال فيها .

فقول : مُطَرنا بنوء كذا أقل أحواله الكراهة الشديدة ، والقول بالتحريم<sup>٢</sup> .

---

<sup>١</sup> مختصر صحيح مسلم ، للمنذرى ، كتاب الجنائز ، باب التشديد في النياحة ، مكتبة الصفا القاهرة ، ص ١٢٦

<sup>٢</sup> أنظر الأم ، للشافعي ، مج ١ ، ط ٢ دار المعرفة بيروت ، ص ٢٥٢ ، وفتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني مج ٢ ، ص ٥٢٤

## المبحث الثاني : الكفر الأصغر

### المطلب الأول : التعريف بالكفر الأصغر :

لغةً : (الكفرُ نقيض الإيمان آمناً بالله ، وكفرنا بالطاغوت كفر يكفرُ كُفراً ، وكُفُوراً وكفراناً ، ويقال لأهل دار الحرب قد كفروا أي عصوا ، وامتنعوا ، والكفرُ كفر النعمة وهو نقيض الشكر ، والكفرُ جحود النعمة ، وهو ضد الشكر)<sup>١</sup> (فأصل الكفر تغطية الشيء وسمي الفلاح كافراً لتغطيته الحَب ، وسمي الليل كافراً لتغطيته كل شيء ، وكُفِرَ بالتشديد نسبة إلى الكفر ، أو قال له كفرت بالله ، وأكفره إكفاراً : حكم بكفره)<sup>٢</sup>.

وفى الاصطلاح : (هو كل معصية ورد فى الشرع أنها كفر ، أو أن من فعلها كفر ، ولم تصل إلى درجة الكفر الأكبر المخرج من الملّة فهي كفرٌ أصغر ، أو كفرٌ دون كفر ، أو كفر النعمة)<sup>٣</sup>

---

<sup>١</sup> لسان العرب ، لابن منظور ، مج ٥ ، ص ١٤٤  
<sup>٢</sup> المفردات ، للأصفهاني ، تحقيق : محمد احمد خلف الله ، مكتبه الأنجلو القاهرة ، ص

<sup>٣</sup> إيثار الحق ، لابن الوزير دار الكتب العلمية بيروت ص ٣٨٩

## المطلب الثانى : نماذج من الكفرالأصغر :

للكفر الأصغر نماذج كثيرة أهمها :

١. قتال المسلم لأخيه المسلم لقول النبي صلى الله عليه وسلم « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »<sup>١</sup> ، وقوله صلى الله عليه وسلم « لا ترجعوا بعدي كفاراً يضربُ بعضكم رقاب بعض»<sup>٢</sup>.
٢. كفر النعمة ، والحقوق : وذلك بأن لا يعترفُ العبد بنعمة الله تعالى عليه ، ومنه أن ينكر معروفاً أسداه إليه أحد المخلوقين ، ومن أوضح الأدلة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «وأريت النار فلم أرى منظراً كالليوم قط أظع ، ورأيت أكثر أهلها النساء قالوا بم يارسول الله؟ قال : يكفرن ، قيل : يكفرن بالله؟ قال : يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ، ثم رأيت منك شيئاً ، قالت : ما رأيت منك خيراً قط »<sup>٣</sup>

٣. الطعن فى أنساب الآخرين ، و النياحة على الميت لقوله صلى الله عليه وسلم : « اثنتان فى الناس هما بهم كفر

---

<sup>١</sup> صحيح البخارى ، للإمام البخارى ، مج ١ ، كتاب الإيمان ، باب خوف المؤمن من أن

يجبط عمله وهو لا يشعر ، ص ٢٢

<sup>٢</sup> صحيح مسلم ، للإمام مسلم ، مج ١ ، كتاب الإيمان ، باب لا ترجعوا بعدي كفاراً ،

ص ٢٩

<sup>٣</sup> صحيح البخارى ، للإمام البخارى ، مج ١ ، كتاب الكسوف ، باب صلاة الكسوف

جماعة ، ص ٢٣٣

: الطعن فى النسب ، والنياحة على الميت «<sup>١</sup> ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من لطم الخدود ، وشق الجيوب ، ودعى بدعوى الجاهلية»<sup>٢</sup> ، وفى الحديث أيضاً : « أن النبي صلى الله عليه وسلم بريء من الصالقة والحالقة والشاقة»<sup>٣</sup>. قال ابن حجر العسقلاني - رحمه الله - : ( الصالقة التي ترفع صوتها بالبكاء والحالقة التي تحلق شعرها)<sup>٤</sup>.

٤. إباق العبد عن سيده ، وانتساب الإنسان لغير أبيه ، والإباق هو : الهروب ، ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أيما عبد أبق من مواليه فقد كفر حتى يرجع إليهم»<sup>٥</sup> ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « ليس من رجل أدعي لغير أبيه ، وهو يعلمه بالإكفر»<sup>٦</sup> ، وفى حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن

---

<sup>١</sup> صحيح مسلم ، للإمام مسلم ، كتاب الإيمان ، باب إطلاق إسم الكفر ، ص ٣٣  
<sup>٢</sup> صحيح البخارى ، للإمام البخارى ، مج ١ ، كتاب الجنائز ، باب ليس من شق الجيوب ، ص ٢٨٤

<sup>٣</sup> صحيح البخارى ، للإمام البخارى ، مج ١ ، كتاب الجنائز ، باب ما بنهى من الحلق عند المصيبة ، ص ٢٨٥

<sup>٤</sup> فتح الباري شرح صحيح البخارى ، لابن حجر العسقلاني ، مج ٢ ، ص ١٦٤  
<sup>٥</sup> صحيح مسلم ، للإمام مسلم ، مج ١ ، كتاب الإيمان ، باب إطلاق إسم الكفر على الطعن فى النسب ، ص ٢٩

<sup>٦</sup> صحيح البخارى ، للإمام البخارى ، مج ٢ ، كتاب المناقب ، باب مناقب قريش ، ص



النبي صلى الله عليه وسلم قال « : لا ترغبوا عن آبائكم فمن  
رغب عن أبيه فهو كفر »<sup>١</sup>.

---

<sup>١</sup> صحيح البخارى ، للإمام البخارى ، مج ٣ ، كتاب الفرائض ، باب من ادعى إلى غير  
أبيه ، ص ٣٠٢

## المبحث الثالث : النفاق الأصغر

### المطلب الأول تعريف النفاق الأصغر :

لغةً : (سمي المنافق منافقاً للنفاق ، وهو السرب في الأرض وقيل إنما سُمي منافقاً ؛ لأنه نافق كاليربوع ، وهو دخوله ، والمنافق بالكسر فعل المنافق ، والنفاق الدخول في الإسلام من وجه ، والخروج عنه من آخر)<sup>١</sup>.

اصطلاحاً هو : (ان يظهر الإنسان أمراً مشروعاً ، ويبطن أمراً محرماً يخالف ما أظهره)<sup>٢</sup>. قال ابن رجب الحنبلي - رحمه الله - : (النفاق الأصغر هو نفاق العمل ، وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة ويبطن ما يخالف ذلك)<sup>٣</sup> ، وحاصل الأمر أن النفاق الأصغر كله يرجع إلى إختلاف السريرة ، والعلانية ، وإختلاف القلب ، واللسان ، وإختلاف الدخول والخروج.

قال ابن بطّة<sup>٤</sup> - رحمه الله - : ( خشوع النفاق أن ترى الجسد خاشعاً ، والقلب ليس بخاشع )<sup>٥</sup> ، وهذا النفاق الأصغر لا يخرج من

<sup>١</sup> لسان العرب ، لإبن منظور ، مج ١٠ ، ص ٢٧٦

<sup>٢</sup> شرح السنة ، للبغوي ، المكتب الإسلامي بيروت ، ص ٧٦

<sup>٣</sup> جامع العلوم ، لإبن رجب ، مج ١ ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ص ٤٣١

<sup>٤</sup> هو عبيد الله بن محمد العكبري من فقهاء الحنابلة توفى سنة ٣٨٧ هـ أنظر : طبقات الحنابلة لأبي الحسين محمد بن أبي يعلى ، مج ٢ تحقيق : محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة

المحمدية القاهرة ، ص ١٤٤

<sup>٥</sup> الإبانة ، لإبن بطّة ، تحقيق : رضا نعيان ، ط ١٤٠٩ هـ دار الراهية الرياض ، ص

ملة الإسلام إلا أنه محرم ، وكبيرة من كبائر الذنوب. قال الإمام النووي- رحمه الله- عند كلامه على حديث أربع من كن فيه <sup>١</sup> قال : ( هذا الحديث مما عدّه جماعة من العلماء مشكلاً من حيث أن هذه الخصال توجد في المسلم المصدق الذي ليس فيه شك ، وقد أجمع العلماء على أن من كان مصداقاً بقلبه ، ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ، ولا هو منافقٌ يخلد في النار ، فإن أخوة يوسف عليه السلام جمعوا هذه الخصال ، وهذه الخصال خصال نفاق وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ، ومتخلق بأخلاقهم فإن النفاق هو إظهار ما يبطن خلفه ، وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال ، ويكون نفاقه في حق من حدثه ، ووعدده ، وائتمنه وخاصمه ، وعاهده من الناس ، لا أنه منافق في الإسلام فيظهره ، وهو يبطن الكفر ، ولم يرد صلى الله عليه وسلم بهذا أنه منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك الأسفل من النار ) <sup>٢</sup>.

## المطلب الثاني : خصال النفاق الأصغر :

٣٣٩

<sup>١</sup> أنظر : صحيح مسلم ، للإمام مسلم ، مج ١ ، كتاب الإيمان ، باب لا يدخل الجنة إلا

المؤمنون ، ص ٢١٨

<sup>٢</sup> صحيح مسلم بشرح النووي ، مج ٢ ، ص ٤٦-٤٧

## للنفاق الأصغر خصال كثيرة أهمها :

١. أن يكذب فى كلامه متعمداً لقوله صلى الله عليه وسلم :  
«أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه  
خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا  
أوْثمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا  
خاصم فجر»<sup>١</sup> . قال القاضي عياض- رحمه الله- : (أو  
يكون أراد النفاق اللغوي الذي هو خلاف المضمرة ، وإذا  
تأملت هذه الأوصاف وجدت فيها معنى ذلك ؛ لأن الكاذب  
يظهر إليك أنه صدق ، ويبطن خلافه ، والخصم يظهر انه  
أنصف ، ويضمرة الفجور ، والواعد يُظهر أنه سيفعل)<sup>٢</sup>  
ولقوله صلى الله عليه وسلم : « كبرت خيانة أن تحدث أخاك  
حديثاً ، وهو مصدق لك وأنت به كاذب »<sup>٣</sup> .

٢. عدم الوفاء بالعهود : أن يعاهد غيره بعهد ، وفى نيته أن لا  
يفي به ، قال ابن رجب الحنبلي- رحمه الله- : ( ويدخل  
فى العهود التى يجب الوفاء بها ، ويحرم الغدر فيها جميع  
عقود المسلمين فيما بينهم إذا تراضوا عليها من المبايعات ،

---

<sup>١</sup> صحيح البخارى ، للإمام البخارى ، مج ١ ، كتاب الإيمان ، باب علامات النفاق ،  
ص ١٩

<sup>٢</sup> الشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم ، للقاضي عياض ، مج ١ ، تحقيق  
: على محمد الجاوى ، دار الكتاب العربى بيروت ص ٣١٣

<sup>٣</sup> الأدب المفرد ، للبخارى ، مكتبة الحلبي القاهرة ، ص ٣٩٣

والمناكحات ، وغيرها من العهود اللازمة التي يجب الوفاء بها ، وكذلك ما يجب الوفاء به لله تعالى مما يعاهد العبد ربه ، عليه من نذرٍ ، ونحوه) <sup>١</sup> ، وقال في عمدة القاريء : (خلف الوعد لا يقدر إلا إذا عزم عليه مقارناً بوعدده ، أما إذا كان عازماً ثم عُرض له مانع ، أو بدأ له رأي فهذا لم توجد فيه صفة النفاق) <sup>٢</sup>.

٣. الفجور في الخصومة بأن يعدل عن الحق إلى الباطل متعمداً ، قال القاضي عياض - رحمه الله - : ( الفجور : الميل عن القصد ، ويكون أيضاً الكذب ) <sup>٣</sup>.

٤. الخيانة : وذلك بأن يأخذ من الآخرين ، وفي نيته وقت أخذها أن يجدها ، ثم لا يؤديها ، لحديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «آية المنافق ثلاث : إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أوّتمن خان» <sup>٤</sup>.

---

<sup>١</sup> جامع العلوم ، لابن رجب ، مج ٢ ، ص ٤٨٨

<sup>٢</sup> عمدة القارئ شرح صحيح البخارى ، للعيني ، مج ١ ، ط ١ ، ١٣٩٢ هـ مكتبة الحلبي القاهرة ، ص ٢٢١

<sup>٣</sup> الشفا ، للقاضي عياض ، مج ١١ ، ص ٣١٥

<sup>٤</sup> صحيح البخارى ، للإمام البخارى ، مج ١ ، كتاب الإيمان ، باب علامات المنافق ،

٥. الإعراض عن الجهاد : لقوله صلى الله عليه وسلم : «من مات ، ولم يغز ، ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق»<sup>١</sup>.

٦. بغض الأنصار : لحديث أنس بن مالك<sup>٢</sup> رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «آية المنافق بغض الأنصار ، وآية المؤمن حب الأنصار»<sup>٣</sup> ، ولقوله صلى الله عليه وسلم فى شأن الأنصار : «لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق»<sup>٤</sup> ، وقال ابن رجب - رحمه الله - : ( محبة أولياء الله عموماً من الإيمان وهى أعلى مراتبه ، وبغضهم محرم ، فهو من خصال النفاق ؛ لأنه مما لا يتظاهر به غالباً ، ومن تظاهر به فقد تظاهر بنفاقه ، فهو شرٌّ ممن كتمه وأخفاه)<sup>٥</sup>.

---

<sup>١</sup> صحيح مسلم ، للإمام مسلم ، مج ٢ ، كتاب الإمارة ، باب ذم من مات ولم يغزو ، ص ٢٩٣

<sup>٢</sup> هو أنس بن مالك بن عبد الأشهل ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، روي أحاديث جمّة ، توفى سنة ٣ ٩هـ ، أنظر : الإصابة فى تمييز الصحابة ، لإبن حجر العسقلاني ، مج ٢ ، ص ٢٢٤

<sup>٣</sup> صحيح البخارى ، للإمام البخارى مج ١ ، كتاب الإيمان ، باب علامة الإيمان حب الأنصار ، ص ١٥

<sup>٤</sup> صحيح البخارى ، للإمام البخارى ، مج ٢ ، كتاب مناقب الأنصار ، باب حُب الأنصار ، ص ٢٣٢

<sup>٥</sup> فتح البارى شرح صحيح البخارى ، لإبن حجر العسقلاني ، مج ١ ، ص ٥٩

٧. بغض الإمام على بن أبي طالب رضي الله عنه لحديث على بن أبي طالب رضي الله عنه قال : « والذى فلق الحبة ، وبرأ النسمة أنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم إليّ : أن لا يحبني إلا مؤمن ، ولا يبغضني إلا منافق »<sup>١</sup>.

---

<sup>١</sup> صحيح مسلم ، للإمام مسلم ، مج ١ ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على حُب الأنصار وعلى من الإيمان ، ص ٣٠

## الخاتمة

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ، ويكافيء مزيده لا أحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبداً لله ورسوله ، وخيرته من خلقه صلى الله عليه ، وسلم أما بعد :

الحمد لله الذى وقفني لإنجاز هذا البحث ، والذى من خلاله استطعتُ تسليط الضوء على نواقص الإيمان ، واستقيتُ منها نتائج عديدة :

أولاً أهم النتائج :

١. التأكيد على أهمية دراسة الإيمان ، ونواقصه ، والإعتناء بمعنى الإيمان.

٢. إن دراسة نواقص الإيمان ، لاتنفك عن دراسة نواقص الإيمان ، ولذا فإن اللبس والخطأ فى فهم نواقص الإيمان يورث بطبيعة الحال لبساً ، وخطأً فى دراسة النواقص

٣. خوف الصحابة رضي الله عنهم الشديد من هذه النواقص .

ثانياً : أهم التوصيات :

١. أوصي بتعميق الدراسات ، وتركيزها حول مسألة هذه النواقص .

٢. الإهتمام بدراسة النفاق الأصغر ، وما يتعلق به .



٣. أوصي بجمع هذه النواقص فى كتاب تصحبه الجدة ،  
والموضوعية حتى يسهل على طالب العلم معرفة هذه  
النواقص ، والحذر منها.

## فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم .
٢. الإبانة ، لابن بطة ، تحقيق : رضا نعان ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ ، دار الراية الرياض.
٣. إحياء علوم الدين ، للغزالي ، الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ ، دار الكتب العربية القاهرة
٤. الأدب المفرد ، للبخارى ، مكتبة الحلبي ، القاهرة .
٥. الإصابة فى تمييز الصحابة ، لإبن حجر العسقلانى تحقيق : على محمد البجاوى دار نهضة ، مصر .
٦. الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، الطبعة السادسة ١٩٨٤م دار العلم للملايين بيروت
٧. أعلام الموقعين عن رب العالمين ، لإبن القيم ، تعليق : طه سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة .
٨. الأم ، للإمام الشافعي ، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ دار المعرفة ، بيروت.
٩. إثبات الحق على الخلق ، لإبن الوزير ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
١٠. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، للشوكاني ، دار المعرفة ، بيروت.

١١. تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٢. تحقيق كلمة الإخلاص ، لابن رجب ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٣. التخويف من النار ، لابن رجب ، دار طيبة ، الرياض .

١٤. التعريفات ، للجرجاني ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ دار الكتب العلمية بيروت .

١٥. تفسير الطبري ، للطبري ، المطبعة الميمنية ، مصر .

١٦. تفسير القرطبي ، للقرطبي ، الطبعة الأولى ١٣٥٧ هـ دار الكتب المصرية القاهرة .

١٧. التمهيد لما في الموطأ من المعاني ، والأسانيد ، لابن عبد البر ، طبعة وزارة الأوقاف بدولة المغرب .

١٨. جامع العلوم والحكم ، لابن رجب ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ مؤسسة الرسالة ، بيروت .

١٩. الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد ، للشوكاني ، دار الكتب العلمية بيروت .

٢٠. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، لإبن حجر العسقلاني ، تحقيق : محمد سيد جاد الحق ، دار الكتب الحديثة ، مصر .

٢١. الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب ، لإبن فرحون المالكي ، تحقيق : محمد الأحمد ، دار التراث القاهرة .
٢٢. الدين الخالص ، لمحمد صديق حسن ، مطبعة المدني ، القاهرة .
٢٣. روضة الطالبين وعمدة المفتين ، للنووى ، عناية : زهير الشاويش ، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ المكتب الإسلامى ، بيروت.
٢٤. الزواجر عن إقترف الكبائر ، للهيثمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٢٥. سلسلة الأحاديث الصحيحة ، للألباني ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ المكتب الإسلامى بيروت .
٢٦. سنن أبي داود ، تحقيق : عزت الدعاس ، الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ ، : محمد السيد حمص.
٢٧. سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ، مؤسسة الرسالة بيروت.
٢٨. شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، لإبن العماد الحنبلى ، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ دار الفكر بيروت .
٢٩. شرح السنة ، للبغوي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ المكتب الإسلامى ، بيروت.

٣٠. شرح العقيدة الطحاوية ، لابن العز ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٣١. الشريعة ، لأبي بكر الآجري ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، الطبعة الأولى ١٣٦٩ هـ مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة .

٣٢. الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضي عياض ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٣٣. صحيح البخارى ، للإمام البخارى ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت .

٣٤. صحيح مسلم ، للإمام مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الإفتاء الرياض

٣٥. صحيح مسلم بشرح النووى ، المطبعة المصرية ، القاهرة .

٣٦. طبقات الحنابلة ، لأبي يعلى ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية القاهرة .

٣٧. عمدة القاريء شرح صحيح البخاري ، للعيني ، الطبعة الأولى ١

رعاية المسنين وحماية حقوقهم

في ضوء مقاصد الشريعة

إعداد

الدكتور / مبارك المصري النظيف محمد

الأستاذ بقسم الفقه وأصوله - كلية الشريعة

جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم

ملخص البحث:

تناول هذا البحث الموسوم بـ «رعاية المسنين وحماية حقوقهم في ضوء مقاصد الشريعة» بيان مكانة كبار السن في الإسلام ودور الأسرة المسلمة في رعايتهم، وذلك من خلال منظومة من القيم الإسلامية ومجموعة من الحقوق الكفيلة ببلوغ مقاصدهم وإسعادهم، إضافة إلى جملة من نصوص الكتاب والسنة التي تحمل في طياتها مقاصد سامية وغايات نبيلة للشارع من رعايته للمسنين.

كما يهدف إلى تعزيز الوعي الفردي والجماعي بحقوق المسنين واحتياجاتهم، وذلك بغرس فكرة وجوب رعاية المسنين وتقوية الوازع الإنساني والديني نحوهم، والإسهام بفاعلية في ترسيخ أطر التكافل والتعاون والرحمة والمودة على واقع الحياة، إضافة إلى إبراز دور مقاصد الشريعة في رعاية المسنين.

تم تقسيم هذه الدراسة إلى ثلاثة مباحث؛ أولها: تناول مفهوم المسنين، وثانيها: تحدث عن رعاية المسنين وحماية حقوقهم، وثالثها: ركز على المقاصد الشرعية من رعاية الأسرة والمسنين.

## المقدمة:

الحمد لله ولي المتقين وموفق المصلحين وناصر المؤمنين،  
والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وإمام المرسلين؛ المبعوث رحمة  
للعالمين وحجة على العباد أجمعين سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين،  
وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم  
الدين.

أما بعد:

فلا ريب في أن الإسلام دين الإنسانية، إذ كرم بني آدم في  
جميع مراحل سنه صغيراً وكبيراً، وأبدى اهتماماً لا نظير له برعاية  
المجتمع الذي يضم الأسرة، كما اعتنى بالأسرة التي تضم المسنين.  
والمسنون كمصطلح يُطلق على من وصلوا أواخر المراحل  
العمرية وبلغوا سن الستين، وهم شريحة ذات أهمية كبيرة في تركيبة  
المجتمع المسلم وغيره، لذا فالإسلام اعتنى بها وأعلى من شأنها  
ومكانتها.

ويقيني أن مكانة كبار السن في الإسلام تبرز بجلاء في إرساء  
مجموعة من القيم الإسلامية الخلاقة التي تُترجم معاني وجماليات  
الحياة وتبث روح الإنسانية في المجتمع، كالإحسان والتراحم  
والسماحة والوفاء والاحترام وصلة الرحم والتعاون والتكافل وإشاعة  
المحبة والوئام والتفاهم بين كبار السن ورعايتهم التامة بكافة  
أنواعها، من رعاية دينية وصحية ونفسية واجتماعية واقتصادية  
وتثقيفية وغيرها.



كما أن الإسلام قرر جملة من الحقوق الكفيلة ببلوغ مقاصدهم وإسعادهم، كحق الحياة الكريمة، وحق تمام الكفاية، وحق التوقير والاحترام، وحق الرفق والإكرام، وحق الرعاية والاهتمام، وحق التقديم في وجوه الإكرام عامة، كالإمامة والدخول والمجلس والكلام والشراب والطعام، وحق التخفيف عنهم في الأحكام والفتاوى الشرعية، كالأمور التعبدية وغيرها.

ومخطيء من ظن أن القدرة والإنجاز مرتبطة بعامل السن دائماً؛ أعني أن الإنسان إذا بلغ مرحلة الشيخوخة يُظنّ فيه العجز والتوقف عن العمل. فالإسلام يطلب العمل والعطاء إلى آخر لحظة من لحظات العمر، كما في الحديث: (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا)<sup>(١)</sup>. نعم إن التدفق الإنتاجي والحيوية كلها في مرحلة الشباب، وهذا ما دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى حثنا باغتنام خمس قبل خمس: باغتنام الشباب والصحة والغنى والفرغ والحياة قبل الهرم والمرض والفقر والشغل والموت. ولكن لا يعني ذلك أن يتوقف المسن عن العمل والحركة تماماً، فالسلف الصالح في صدر الإسلام لم يكن يمنعه من الخروج إلى الجهاد بلوغه مرحلة الشيخوخة، فكبر السن لا يعني دائماً العجز وعدم القدرة، كما لا يعني التوقف عن العطاء، بل للمسّن فاعلية ودور رائد في تقديم النصائح والاستشارات والرؤى السديدة من خلال

---

(١) حديث أنس بن مالك، رواه البخاري في الأدب المفرد (١/١٦٩) ح(٤٧٩)، ابن حنبل في مسنده (٣/١٩١) ح(١٣٠٠٤).

معاصرته لأحداث الحياة وتجاربه الطويلة، وهذا من شأنه أن يدفع عجلة الإنجاز بعد تجويد الأداء، فضلاً عن جوانب أخرى كثيرة. وفي خضم ما تعيشه الأمة الإسلامية اليوم من منظومة الاستهداف الأسري والتحديات الماثلة لتمزيق النسيج الاجتماعي وتفاقم قضايا المسنين، كان لابد من البحث عن مخرجات واضحة تدفع بها إلى مكانتها القيادية وأدوارها الريادية في النهضة بالإنسانية، وأصل هذه المخرجات هو كتاب الله تعالى، كما في حديث علي كرم الله وجهه: (ألا إنها ستكون فتنة، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله)<sup>(١)</sup>.

ومن هنا جاء هذا البحث لإعادة الاعتبار لهذه القضية المهمة، والإسهام فيها من جانب رئيس ومهم هو الجانب الشرعي التأصيلي المقاصدي، والذي يُعنى بتنزيل مقاصد الشريعة ومكارمها من رعاية كبار السن في واقع الحياة الاجتماعي، لتقوية الأواصر وتعميق الصلات الأسرية وبث روح التراحم في جنبات الحياة. والذي بعنوان: "رعاية المسنين وحماية حقوقهم في ضوء مقاصد الشريعة".

### أهمية موضوع البحث:

تظهر أهميته في النقاط الآتية:

- تنامي أعداد المسنين يومياً مع تزايد مشكلاتهم، في ظل المتغيرات التي تشهدها الحياة المعاصرة في شتى المجالات.

---

(١) رواه الترمذي في سننه (٥/١٧٣) ح (٢٩٠٦)، وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول.

- شدة اهتمام الشريعة وحرصها على رعاية المسنين وأداء حقوقهم.
- العودة بالأسرة والمجتمع المسلم إلى الدور الريادي من خلال التذكير بمسؤوليتهما نحو المسنين.
- مقتضيات الواقع التي تتطلب إجراء المزيد من الدراسات حول هذا الموضوع.
- تمكين المسنين من ممارسة الحياة المفعمة بمعاني المحبة والتقدير والتراحم والوفاء في رحاب الإسلام.

### أسئلة البحث:

تتحصر أسئلة البحث في:

- ١/ للمسنيين رعاية ومكانة عظيمة في شريعة الإسلام، فما مظاهرها وملامحها؟
- ٢/ ما التأصيل الإسلامي لبعض جوانب قضية المسنين؟
- ٣/ ما هي حقوق المسنين في الشريعة الإسلامية؟
- ٤/ ما مقاصد الشريعة من رعاية المسنين؟

### أهداف البحث:

- ◆ تعزيز الوعي الفردي والجماعي بحقوق المسنين واحتياجاتهم وضرورة رعايتهم.
- ◆ إبراز نظرية الإسلام في هذا المضمار، وبيان سبقه وفائق رعايته.
- ◆ غرس فكرة وجوب رعاية المسنين وتقوية الوازع الإنساني والديني نحوهم.
- ◆ الإسهام بفاعلية في ترسيخ أطر التكافل والتعاون والرحمة والمودة على واقع الحياة.

◆ حماية الحقوق الشرعية للمسنين من خلال حشد النصوص والشواهد وتطبيقاتها.

◆ إظهار دور مقاصد الشريعة في رعاية المسنين.

### مشكلة البحث:

- الازدواجية المفتعلة في النظرة العامة للمسنين بين الفكر الإسلامي والغربي في ظل العولمة.
- حقوق كبار السن في الإسلام بين التغيب والتسيب.
- قضية تنزيل مقاصد الشريعة في الواقع الاجتماعي.
- آليات التغيير والتوجيه الأسري والفردى نحو العناية والاهتمام بالمسنين.

### منهج البحث:

اقتضت هذه الدراسة اتباع المنهج الاستقرائي لتتبع النصوص الشرعية من الآيات والأحاديث المتعلقة برعاية المسنين وبيان أحكامهم، والمنهج التحليلي لشرح وتوضيح معاني النصوص ومدلولاتها، والمنهج الاستنباطي للكشف عن مقاصد الشريعة من رعاية المسنين وحماية حقوقهم.

### خطة البحث:

قد انتظمت في ثلاثة مباحث رئيسة بين مقدمة وخاتمة على

النحو التالي:

المقدمة: وقد اشتملت على أهمية الموضوع وأسئلته وأهدافه ومشكلته ومنهجه وخطته.

**المبحث الأول: مفهوم المسنين.**

المطلب الأول: مفهوم المسنين في اللغة.

المطلب الثاني: مفهوم المسنين في الاصطلاح.

**المبحث الثاني: رعاية المسنين وبيان حقوقهم في الشريعة الإسلامية.**

المطلب الأول: رعاية المسنين في الشريعة الإسلامية.

المطلب الثاني: حقوق المسنين في الشريعة الإسلامية.

**المبحث الثالث: مقاصد الشريعة الإسلامية من رعاية المسنين.**

المطلب الأول: مفهوم مقاصد الشريعة.

المطلب الثاني: مقاصد الشريعة من رعاية وتكوين الأسرة عامة.

المطلب الثالث: مقاصد الشريعة من رعاية المسنين.

**الخاتمة:** وتضم أهم نتائج البحث وتوصياته.

والله وحده المسؤول ليهب العصمة من الزلل، وآخر

دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

**المبحث الأول: مفهوم المسنين في اللغة والاصطلاح.**

المسنون كمصطلح يطلق على من بلغوا أواخر المراحل العمرية،

والمسن هو ذلك الإنسان الذي كبر وتقدم به السن وعاش أيام الشباب

وما قبلها، ثم صار وقد أكل عليه الدهر وشرب، حتى بلغ سن الستين

وتجاوزها، لقوله صلى الله عليه وسلم: (أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك)<sup>(١)</sup>. وفيما يلي نستعرض مفهوم "المسنين" لغة واصطلاحاً في المطلبين أدناه:

### المطلب الأول: مفهوم المسنين في اللغة.

وقف أهل اللغة العربية عند كلمة "المسنين" حيث ذكروا

تعريفها ومشتقاتها ومرادفاتها، وفيما يلي نورد خلاصة ما ذكره:

المسنون: جمع مسن، والمسّن: اسم فاعل مأخوذ من السن وهو العمر، والفعل منه "أسن"، وهو من تقدم في العمر وبلغ من الكبر عتياً وكُبر في السن، تقول: أسنَّ الرجل: أي كُبر، وكُبرت سنُّه. يُسِنُّ إسناناً؛ فهو مُسِنٌّ. وهذا أسنُّ من هذا: أي أكبر منه سناً، وأنعام مسنة: أي هرمة كبيرة في السن، وبقرة مسنة: أي أتمت السنتين ودخلت في الثالثة<sup>(٢)</sup>.

ومع أن كلمة "المسن" لم يرد ذكرها في القرآن والسنة، إلا أن

لها عدة مسميات مرادفة فيهما؛ كذي الشيبة والشيخ والعجوز والكهل والهَرَم والمعمّر.

---

(١) حديث أبي هريرة، رواه البيهقي في سننه الكبرى (٣/٣٧٠) ح(٦٣١٤)، ابن حبان في صحيحه (٧/٢٤٧) ح(٢٩٨٠)، ابن ماجه في سننه (٢/١٤١٦) ح(٤٢٣٦)، الطبراني في معجمه الأوسط (١/٨٥) ح(٥٨٧٢)، الحاكم في مستدرکه (٢/٤٦٤) ح(٣٥٩٨)، وقال حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) انظر مادة "سن" في: لسان العرب (١٣/١٧)، المصباح المنير ص٢٩٨، المعجم الوسيط ص٩٨٣.

فأما ذو الشيبة: فهو من شاب في الإسلام وعمّر وكبر سنه،  
والشاهد قوله تعالى: (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً)<sup>(١)</sup>، وقول  
رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن من إجلال الله إكرام

ذي الشيبة المسلم)<sup>(٢)</sup>.

وأما الشيخ: فهو من شاخ شيخوخة، واستبان فيه السنُّ وظهر  
عليه الشيب، وجمعه مشائخ وشيوخ وأشياخ وشيخان، وبعضهم يطلقها  
على من جاوز الخمسين من عمره<sup>(٣)</sup>، والشاهد قوله تعالى: (ثُمَّ  
لِتَكُونُوا شَيْوخًا)<sup>(٤)</sup>، وغيرها من الآيات والأحاديث.

وأما العجوز: فيطلق على المرأة القاعد المسنة، والجمع عجزة  
وعجائز، والشاهد قوله تعالى: (قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا  
بِعَلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ)<sup>(٥)</sup>.

وأما الكهل: ففي قوله: (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ  
الصَّالِحِينَ)<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة الروم، الآية ٥٤.

(٢) حديث أبي موسى الأشعري، رواه البخاري في الأدب المفرد (١/١٣٠) ح (٣٥٧)، أبو  
داود في سننه (٤/٢٦٢) ح (٤٨٤٣)، البيهقي في سننه الكبرى (٨/١٦٣) ح (١٦٤٣٥)،  
وحسنه الألباني في صحيح الجامع ح (٢١٩٩).

(٣) انظر مادة "شاخ" في: القاموس المحيط ص ٣٣٥.

(٤) سورة غافر، الآية ٦٧.

(٥) سورة هود، الآية ٧٢.

(٦) سورة آل عمران، الآية ٤٦.

وأما الهرم: فهو من ازداد في كبر سنه وبلغ أقصى الكبر<sup>(١)</sup>، لقوله عليه الصلاة والسلام: (بادروا بالأعمال سبعاً، فهل تنتظرون إلا فقراً منسياً أو غنى مطغياً أو مرضاً مفسداً أو هرماً مُفئداً أو موتاً مجهزاً أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر)<sup>(٢)</sup>.

وأما المعمر: فهو من نقصت قوته وضعف عقله حتى انتهى به إلى الخرف وعاد إلى مرحلة الطفولة من شدة الضعف، والشاهد قوله تعالى: (وَمَنْ نَعْمَرُهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْلَمُونَ)<sup>(٣)</sup>. وقوله تعالى: (وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ)<sup>(٤)</sup>.

إذن المسن لغة يطلق ويراد به من بلغ الكبر في السن من الرجال والنساء كذي الشيبة والشيخ والعجوز والكهل والهرم والمعمر.

## المطلب الثاني: مفهوم المسنين في الاصطلاح.

- 
- (١) انظر مادة "هرم" في: لسان العرب (١٣/٢١٩)، المعجم الوسيط ص ٩٨٣ .
- (٢) حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رواه الترمذي في سننه (٤/٥٥٣) ح(٢٣٠٦)، وقال حديث حسن غريب.
- (٣) سورة يس، الآية ٦٨.
- (٤) سورة فاطر، الآية ١١.



المعنى اللغوي للمسنين له صلة وثيقة بالمعنى الاصطلاحي، ولذا لا يخرج تعريف أهل الاصطلاح بعيداً عنه، وبإيجاز نذكر تعريف المسنين عند علماء الاجتماع ثم تعريفه عند الأطباء ثم الفقهاء.

### تعريف أهل الاجتماع للمسن:

المسنّ هو: كل فرد أصبح عاجزاً عن رعاية نفسه وخدمتها إثر تقدمه في العمر، وليس بسبب إعاقة أو شبهها<sup>(١)</sup>.

وقيل هو: من دخل طور الكبر الذي هو حقيقة بيولوجية تُميّز التطور الختامي في دورة حياة البشر<sup>(٢)</sup>.

وقيل هو: كل من جاوز مرحلة التقاعد وتحول إلى متقاعد يعتمد على مساعدات الغير أو التأمينات لإدارة شؤون حياته<sup>(٣)</sup>.

وقيل هو: كل من تجاوز سن الخامسة والستين واقتصر طاقته على تسيير أنشطته الحياتية ويسعى للتطلع إلى عون المؤسسات الاجتماعية<sup>(٤)</sup>.

### تعريف الأطباء للمسن:

عرف علماء الطب المسن بأنه هو: كل من تجاوز سن الشباب

---

(١) رعاية المسنين في الإسلام، عبد الله السدحان، ص ١٦.

(٢) مشكلات التقدم في السن، كمال أغا، في: "التقدم في السن دراسة اجتماعية نفسية"، ص ١٥٧.

(٣) الرعاية الاجتماعية الأسس، النشأة، المجالات، د. عبد الخالق عفيفي، ص ٣٥٢.

(٤) الخدمة الاجتماعية مع الفئات الخاصة "الشيخوخة والمسنين"، د. عبد الفتاح

عثمان، د. علي الدين السيد، ص ٥٤.

وتظهر عليه حالة من التدهور الصحي والإدراكي مع ضعف عام لوظائف الأعضاء الحيوية للجسم<sup>(١)</sup>.

### تعريف الفقهاء للمسن:

يعتبر مصطلح "المسن" من المصطلحات الواضحة غير العصبية على التحديد الدقيق لدى علماء الفقه الإسلامي، ولذلك لم يهتموا بتعريفه الاصطلاحي بقدر ما عرفوه من جانب الأثر، بعد تعويلهم على التعريف اللغوي، ونستطيع من خلال ما ذكره تعريفه بما يلي:  
المسن هو: الشيخ الكبير الذي لا يطبق الصوم في زمن من الأزمان، أو بوجه من الوجوه<sup>(٢)</sup>.

وقيل هو: الذي يعجز عن الأداء ولا يُرجى له عودة القوة، ويكون مآله الموت بسبب الهرم<sup>(٣)</sup>.

فالمسن في عرف الفقهاء من كبر في السن حتى نفذت طاقته وقلت قوته بحيث لا يستطيع القيام بأداء بعض التكاليف الشرعية، مثل الصوم والحج والجهاد وغيرها من العبادات البدنية التي تتطلب قوة وجهداً.

---

(١) المرجع السابق، ص ٥٣.

(٢) انظر: شرح فتح القدير، ابن الهمام (٢/٢٧٦)، البحر الرائق (٢/٣٠٨)، مواهب الجليل

(٢/٤١٤)، نهاية المحتاج (٣/١٩٣)، كشف القناع (٢/٣٠٩).

(٣) المرجع السابقة.

وبناء على ما سبق من تعريفات، فإن المسن هو من بلغ مرحلة من العمر جعلته عاجزاً لا يستطيع العمل ولا القيام بواجبات نفسه فضلاً عن حقوق غيره. ولذا فقد صنّف البعض مراحل المسن وفق تقدمه في السن على الترتيب التقريبي الآتي:

**أولاً: الكهل:** وهو المسن الذي يتراوح عمره ما بين (٦٠ - ٧٤ سنة).

**ثانياً: الشيخ:** وهو المسن التي يتراوح سنه ما بين (٧٥ - ٨٤ سنة).

**ثالثاً: الهرم:** وهو ما يتراوح سنه ما بين (٨٥ - ١٠٠ سنة).

**رابعاً: المعمر:** وهو من بلغ سن المائة وتجاوزها<sup>(١)</sup>.

والملاحظ أن بعض الدول حددت المسن ببلوغه سن الستين، وبعضها سن الخامسة والستين، وهذا معيار تقديري غير دقيق لعدم توقفه على خصائص النمو في هذا الطور، ولذا فإن بعض من بلغ هذه السن أو تجاوزها قد يكون قوياً نشيطاً ولا تظهر عليه بوادر الشيخوخة أو الكبر، فالأمر يختلف من إنسان إلى آخر ومن بيئة إلى أخرى، في ظل عوامل وظروف كثيرة تحكم هذه المسألة<sup>(٢)</sup>.

### المبحث الثاني: رعاية المسنين وبيان حقوقهم في الشريعة الإسلامية.

يشكل المسنون شريحة ذات أهمية كبيرة في تركيبة المجتمع المسلم وغيره، والقاريء لإحصاءاتهم حديثاً يشعر بحجم التزايد

---

(١) الحماية الاجتماعية لكبار السن، د. عبد العزيز الغريب، د. ناصر العود، ص ٢٤، وأرقام وحقائق عن المسنين في العالم، د. طلعت حمزة، ص ١١، رعاية المسنين في الإسلام، السدحان، ص ١١٩.

(٢) أوضاع المسنين ومشكلاتهم في المجتمع العربي الخليجي، د. محمد هويدي، ص ٤، الندوة الخليجية حول قضايا المسنين.

والتنامي في أعدادهم، وهذا وإن كان أمراً يشغل بال الكثير من المهتمين بهذه القضية في ظل الانفتاح ورياحه التي هبت علينا من الغرب والتي حملت معها الكثير من الغرائب الإيجابية والسلبية، والتغيرات الكثيرة في القيم المجتمعية، إلا أنه في نظر الإسلام شيء طبيعي مرغوب فيه ومرسوم منهجه ومرتب له ظرفه ومحشود له مجموعة من نصوص القرآن والسنة، ولكن مجتمعاتنا اليوم تنظر إلى الطليعة والجيل الناشيء قادة المستقبل بنظرة العطاء والوفاء والحلم المنشود، وعندما يبلغون سن المسؤولية ويقبضون راية التضحية والتدفق الإنتاجي ويفنون زهرة العمر وريعان الشباب وشرخ الصبا، ثم يهبهم الشباب إلى المشيب، تتغير نظرة المجتمع نحوهم، بحيث لا يجدون غنمهم بعد غرمهم بل يفقدون مكانتهم في قلب المجتمع، وأحياناً كرامتهم وعدم رعايتهم وإيفائهم حقوقهم وحل مشكلاتهم وما إلى ذلك، ومن ثم فالإسلام كدين للإنسانية جمعاء جاء يحمل بين ثناياه معاني الوفاء والسماحة والرأفة والتراحم والاعتناء بالمسنين عناية فائقة لا نظير لها، حيث قرر لهم حقوقهم ورفع مكانتهم وصان كرامتهم، وفيما يلي نبين مظاهر رعاية المسنين وبيان حقوقهم في الشريعة الإسلامية في المطلبين التاليين:

### المطلب الأول: رعاية المسنين في الشريعة الإسلامية.

لقد تبوأ الإنسان - أي إنسان - مكانة سامقة بين سائر المخلوقات منحها إياه الإسلام، تبدو في أن الله خلقه في أحسن تقويم وأسجد له ملائكته أجمعين وسخر الكون خادماً له ومعين وجعله الخليفة في الأرض لإقامة الدين.. إلى غيرها من مجالات التقييم

والتكريم التي شهد لها القرآن العظيم بقوله: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)<sup>(١)</sup>، وهذا التفضيل إن دل فإنما يدل بوضوح على مدى الاهتمام والعناية ببني آدم الصغير والكبير والشاب والشيخ ذكراً كان أو أنثى.

ومن أظهر ما يؤكد ذلك، التعظيم من شأن الأسرة المسلمة التي هي المغرس الطبيعي والملاذ الآمن للإنسان، فيها ينشأ ويتربص ويكتسب ثقافته ويستوحي أخلاقه منها، وهي المسؤول الأول عن رعايته إذا كبر سنه، والحامية له من مهددات الحياة، والجامعة له مع سائر أعضائها في المقاصد المشتركة، والحافظة لنوعه من الانقراض، ولهذا الشأن أولها دين الإسلام اهتماماً فائقاً منقطع النظير لتقوم بمهامها في بناء المجتمع والأمة.

فالأسرة هي نواة المجتمع، وهي نقطة الانطلاق التي لها تأثير بليغ في كل مرحلة من مراحل حياة الإنسان، وهي المعول عليها لضمان تماسكه واستقراره وتحقيق مقاصده الدنيوية والأخروية. بل أن الأسرة المسلمة هي المؤسسة الاجتماعية التربوية الثقافية التي تنشأ بموجب عقد زواج شرعي بين رجل وامرأة من أجل أن تساهم في بناء وتغذية المجتمع بالأولاد الصالحين. فنجد أن الإسلام اهتم ببنائها وبقائها وارتقائها عبر منظومة من القيم الثابتة والتي على رأسها المودة والرحمة، إذ يقول سبحانه: ( وَمِنْ

(١) سورة الإسراء، الآية ٧٠.

آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ<sup>(١)</sup>.

ومن مظاهر اهتمام الإسلام بالأسرة أنه سنّ في مصادره حقوقاً وواجبات لكل فرد من أفرادها، كالحقوق الزوجية، كما في قوله سبحانه: ( وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ<sup>(٢)</sup> ). وحقوق الأبناء، كما في قوله تعالى: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ<sup>(٣)</sup> ). وحقوق الوالدين، كما في قوله سبحانه: ( وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا<sup>(٤)</sup> ) وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا<sup>(٥)</sup> ).

وإذا كانت الشريعة تولت عبر اهتمامها بالأسرة المسلمة رعاية حقوق الزوجية والطفولة والمراهقين والوالدين، فكذلك تبنت رعاية المسنين وبينت حقوقهم؛ لأنهم مصدر التاريخ والثقافة التي نتعلم، وإذا كان التعامل بالإحسان مطلباً شرعياً مع كل شيء، فإنه أشد طلباً ووجوباً مع الوالدين المسنين؛ لأنهما السبب في وجود الإنسان بعد خالقه سبحانه، يقول تعالى: ( وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ

(١) سورة الروم، الآية ٢١.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٢٨.

(٣) سورة التحريم، الآية ٦.

(٤) سورة الإسراء، الآية من ٢٣ - ٢٤.

وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ<sup>(١)</sup>، ويقول سبحانه: (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)<sup>(٢)</sup>، فهذا الإحسان يشمل جميع أنواع الرعاية الحسية والمعنوية.

فالوالدان المسنان محل رعاية من النبي صلى الله عليه وسلم الذي ينادي في سمع الزمان بصوت النبوة في خشوع وجلال مهيب، إذ يقول: (رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف، قيل: من يا رسول الله؟ قال: من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة)<sup>(٣)</sup>. وفيه الحث على بر الوالدين وعظم ثوابه، ومعناه: أن برهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة أو النفقة أو غير ذلك سبب لدخول الجنة، فمن قصر في ذلك فاته دخول الجنة وأرغم الله أنفه<sup>(٤)</sup>.

وليعلم الولد أنه مهما قدم فلن يبلغ جزاء الوالدين، ففي الحديث: (لا يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه)<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الأحقاف، الآية ١٥.

(٢) سورة الرحمن، الآية ٦٠.

(٣) حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رواه مسلم في صحيحه (٤/١٩٧٨) ح (٢٥٥١).

(٤) شرح النووي على مسلم، باب الوالدين على التطوع، (١٦/١٠٨).

(٥) حديث أبي هريرة، رواه البخاري في الأدب المفرد (١/١٨) ح (١٠)، مسلم في صحيحه

(٢/١١٤٨) ح (١٥١٠)، أبو داود في سننه (٤/٣٣٥) ح (٥١٣٧)، ابن حنبل في مسنده

(٢/٢٣٠) ح (٧١٤٣)، البيهقي في سننه الكبرى (١٠/٢٨٩) ح (٢١٢٠٣).

ويبين رسول الله عليه الصلاة والسلام أن مبرة الوالدين لم تنته بمجرد موتهما، بل مستمرة إلى ما بعد الموت، حيث قال: (إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي)<sup>(١)</sup>، وقال عليه الصلاة والسلام: (من البر أن تصل صديق أبيك)<sup>(٢)</sup>.

ولابد أن يدرك الأبناء جيداً أن برهم لوالديهم بر لأنفسهم في المقام الأول، فقد جاء في الحديث الشريف: (بروا آباءكم تبركم أبناءكم...)<sup>(٣)</sup>، ويؤكد هذا المعنى قوله سبحانه: (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ)<sup>(٤)</sup>.

ويحرم للولد ذكراً كان أو أنثى التخلي عن رعاية والديه أو أحدهما بإهمالهما أو إيداعهما إلى دور التأهيل والرعاية الاجتماعية، متعللاً في ذلك بأوهى الأسباب كعجزه عن رعايتهما لكبرهما أو لعدم استطاعة زوجه رعايتهما، أو رفضها لذلك، أو لكون دخله لا يكفي إلا لنفقة أولاده، أو لكون الدولة توفر لهما رعاية أفضل

---

(١) حديث ابن عمر، رواه البخاري في الأدب المفرد (١/٢٩) ح(٤١)، أحمد في مسنده، (٢/٩٧) ح(٥٧٢١)، ابن حبان في صحيحه، (٢/١٧٤) ح(٤٣٠)، الترمذي في سننه، (٤/٣١٣) ح(١٩٠٣)، وقال: صحيح الإسناد.

(٢) حديث أنس بن مالك، رواه الطبراني في معجمه الأوسط (٧/٢١٣) ح(٧٣٠٣)، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٠٣): صحيح بمجموع طرقه.

(٣) حديث جابر بن عبد الله، رواه الحاكم في مستدرکه (٤/١٧١) ح(٧٢٥٩)، وقال: حديث صحيح الإسناد.

(٤) سورة الجاثية، الآية ١٥.



مما يستطيعه هو؛ لأن ولاية الدولة ولاية عامة وولاية الولد ولاية خاصة، وهذه الولاية أوجب وألزم من الولاية العامة<sup>(١)</sup>.

والمسلم يعتبر رعاية كبار السن عموماً من أجل العبادات والأعمال الإنسانية الشريفة التي يُتقرب بها إلى الله تعالى، وخاصة عندما يتأمل قول حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم: (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا...) <sup>(٢)</sup>.

فعليه أن يدعو الله لوالديه المسنين وكافة المسلمين بطول العمر في دوام الطاعة، كما يدعو لهم بالصحة والعافية والتوفيق والسداد وحسن الخواتيم.

ولشدة الاهتمام برعاية المسنين أكدت الشريعة على وجوب صلة الرحم والتواصل بين أولي الأرحام، يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ) <sup>(٣)</sup>، أي اتقوا الله أن تعصوه، واتقوا الأرحام أن تقطعوها <sup>(٤)</sup>.

---

(١) المسنون حقوقهم وواجباتهم في الإسلام مع بيان الحماية النظامية لهم بالمملكة العربية السعودية، د. عبد المنعم فؤاد أحمد، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ص ١٢٨ - ١٢٩، الرياض، العدد ٣٥، لسنة ١٤٢٤ هـ.

(٢) حديث ابن عباس، رواه الترمذي في سننه (٤/٣٢٣) ح (١٩٢١)، وقال حديث حسن غريب، ورواه بلفظ: (يرحم الصغير ويوقر الكبير): الطبراني في معجمه الكبير (١١/٧٣) ح (١١٠٨٣)، ابن حبان في صحيحه (٢/٢٠٥) ح (٤٥٨)، ابن حنبل في مسنده (١/٢٥٧) ح (٢٣٢٩).

(٣) سورة النساء، الآية ١.

(٤) تفسير القرطبي (٥/١).

قال صاحب الظلال: (فهي تعبير عجيب يلقي ظلالة الشعورية في النفس، ثم لا يكاد الإنسان يجد ما يشرح به تلك الظلال). اتقوا الأرحام: أرهفوا مشاعركم للإحساس بوشائجها، والإحساس بحقها، وتوقى هضمها وظلمها، والتحرج من خدشها ومسها.. توقوا أن تؤذوها، وأن تجرحوها، وأن تغضبوها.. أرهفوا حساسيتكم بها، وتوقيركم لها، وحنينكم إلى نداها وظلها<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث القدسي يقول تعالى: (أَنَا اللَّهُ وَأَنَا الرَّحْمَنُ خَلَقْتُ الرَّحْمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِنْ اسْمِي فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَتْهُ وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَّئُهُ)<sup>(٢)</sup>، وقوله عليه الصلاة والسلام: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه)<sup>(٣)</sup>.

### المطلب الثاني: حقوق المسنين في الشريعة الإسلامية.

كثيرة هي المظاهر التي تعبر وتؤكد رعاية وعناية الإسلام بشريحة المسنين، ولعل من أبرزها سنّ الحقوق الأساسية الكفيلة بإسعادهم وتوفير الأمن والحماية لهم، كحق الحياة الكريمة وحق تمام الكفاية وحق التوقير والاحترام وحق الرفق والإكرام وحق الرعاية والاهتمام، وفيما يلي نعطي ملمحاً خاصاً لكل حق:

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب (١/٥٧٢).

(٢) حديث عبد الرحمن بن عوف، رواه البخاري في الأدب المفرد (١/٣٣) ح (٥٣)، ابن حنبل في مسنده (١/١٩٤) ح (١٦٨٦)، الترمذي في سننه (٤/٣١٦) ح (١٩٠٧)، أبو داود في سننه (٢/١٣٣) ح (١٦٩٤)، ابن حبان في صحيحه (٢/١٨٨) ح (٤٤٣).

(٣) حديث أبي هريرة، رواه البخاري في صحيحه (٥/٢٢٧٣) ح (٥٧٨٧).

## أولاً: حق الحياة الكريمة:

حق الحياة حق مكفول لكل إنسان، بل يتعداه إلى الحيوان الذي لم يصدر منه أذى، ولذا يقول النبي عليه الصلاة والسلام: (وفي كل ذات كبد رطبة أجر)<sup>(١)</sup>، فلا يجوز لأحد أياً كان أن يسلب هذا الحق ويمنعه صاحبه دون وجه حق ولو كان حيواناً، ولقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بحال المرأة التي عذبت قطة وسلبتها حق الحياة بقوله: (دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلا هي أطعمتها ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت)<sup>(٢)</sup>، وهذا في شأن هرة فما بالك بمن يفسد على مؤمن حق الحياة، والله تعالى يقول: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا)<sup>(٣)</sup>.

فكما أن الإسلام كفل هذا الحق للبشرية جمعاء بل ولغيرها، فإن كبار السن شركاء معهم فيه، فمن حق المسن أن يعيش كريماً في مجتمعه وسعيداً بحاله ومتمتعاً بأيام حياته كلها، دون تعرض إلى حقه في الحياة، سواء أكان هذا المتعرض هو نفسه أو غيره، ولذا لا

---

(١) حديث أبي هريرة، رواه مالك في الموطأ (٢/٩٣٠) ح (٩٣٠)، البخاري في الأدب المفرد (١/١٣٨) ح (٣٧٨) بلفظ: (في كل كبد رطبة أجر).

(٢) حديث أبي هريرة ورد بعدة روايات؛ رواه مسلم في صحيحه (٤/٢١١٠) ح (٢٦١٩)، ابن حبان في صحيحه (١٢/٤٣٩) ح (٥٦٢١)، البيهقي في سننه الكبرى (٨/١٤) ح (١٥٥٩٥)، ابن حنبل في مسنده (٢/٢٨٦) ح (٧٨٣٤)، ابن ماجه في سننه (٢/١٤٢٢) ح (٤٢٥٦).

(٣) سورة النساء، الآية ٩٣.

يجوز له أن يتسبب في قتل نفسه بطريق مباشر كالانتحار ونحوه أو غير مباشر كتعاطي الخمر والمخدرات والتدخين ونحوها.

ويقيني أن الشريعة الإسلامية لها مقصد عظيم ترمي إليه من خلال تهيئة الظروف واتخاذ الوسائل لتنامي أعداد المعمّرين وكبار السن، ألا وهو المحافظة على حق الحياة، لا سيما إن كانت هذه الحياة لله تعالى، وأمضيت في الطاعة وألوان العبادة، حتى شعر صاحبها بطعم الإيمان واستيقن بوعدهم الله وموعوده، وصار مطمئناً إلى المصير في الدنيا والآخرة، والأمل فيما عند الله سبحانه: (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً)<sup>(١)</sup>. وإفناء المسن عمره فيما يرضي الله استخدام أمثل لحق الحياة الكريمة، وأقوى وأوثق ما يرتبط به المسنّ عبادة الدعاء، التي درج عليها صفوة الخلق، كما قال تعالى في حق عبده زكريا عليه السلام: (إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبًّا شَقِيًّا)<sup>(٢)</sup>، وقال جل وعلا حاكياً بلسان خليله إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ)<sup>(٣)</sup>، ثم قال تعالى عنه: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ)<sup>(٤)</sup>.

---

(١) سورة الكهف، الآية ٤٦.

(٢) سورة مريم، الآية ٣-٤.

(٣) سورة الصافات، الآية ١٠٠.

(٤) سورة إبراهيم، الآية ٣٩.

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أنه قال: قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من مجلس حتى يدعوا بهؤلاء الدعوات لأصحابه: (اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تُهون به علينا مصيبات الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا...) (١).

وقوله عليه الصلاة والسلام: (لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر) (٢). والزيادة في العمر هي البركة فيه، وقيل: الذكر الحسن بعد الموت، وقيل: السعة في الرزق والحماية من الآفات، والراجح أنها على حقيقتها بمعنى طول العمر (٣).

وفي سبيل المحافظة على حق الحياة حشدت السنة المطهرة طائفة من النصوص لتؤكد ما تصبو إليه، نذكر منها:  
١/ حديث: (ليس أحد أفضل عند الله من مؤمن يُعمر في الإسلام لتسبيحه وتكبيره وتهليله) (٤).

---

(١) حديث ابن عمر رضي الله عنهما، رواه الترمذي في سننه (٥/٥٢٨) ح (٣٥٠٢)، وقال هذا حديث حسن غريب.

(٢) حديث سلمان الفارسي، رواه الطبراني في معجمه الكبير (٦/٢٥١) ح (٦١٢٨)، الترمذي في سننه (٤/٤٤٨) ح (٢١٣٩)، وقال هذا حديث حسن غريب.

(٣) رعاية المسنين في الإسلام، عبد الله بن ناصر السدحان، ص ٢٨.

(٤) حديث عبد الله بن شداد، رواه ابن حنبل في مسنده (١/١٦٣) ح (١٤٠١)، عبد الرزاق في مصنفه (٧/٩٠) ح (٣٤٤٢٣)، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٥٤): إسناده

حسن.

- ٢ / حديث: (من شاب شبيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة)<sup>(١)</sup>.
- ٣ / حديث: (إن من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الإنابة)<sup>(٢)</sup>.
- ٤ / حديث: (ألا أخبركم بخياركم، قالوا بلى يا رسول الله، قال: خياركم أطولكم أعماراً، وأحسنكم أعمالاً)<sup>(٣)</sup>.
- ٥ / حديث: (سئل أي الناس خير؟ قال: من طال عمره وحسن عمله، قيل: فأبي الناس شر؟ قال: من طال عمره وساء عمله)<sup>(٤)</sup>.
- ٦ / حديث: (لا يتمنى أحدكم الموت ولا يدعُ به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً)<sup>(٥)</sup>.

(١) حديث عمرو بن عبسة ومعاذ بن جبل، رواه الطبراني في معجمه الكبير (٢٠/١٥٢) ح (٣١٥)، البيهقي في سننه الكبرى (٩/١٦٢) ح (١٨٢٩٢)، النسائي في سننه الكبرى (٣/١٩) ح (٤٣٥٠).

(٢) حديث جابر بن عبد الله، رواه عبد الرزاق في مصنفه (٧/٩٠) ح (٣٤٤٢١)، الحاكم في مستدركه (٤/٢٦٨) ح (٧٦٠٢)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) حديث أبي هريرة، رواه ابن حنبل في مسنده (٢/٤٠٣) ح (٩٢٢٤)، ابن حبان في صحيحه (٢/٢٣٥) ح (٤٨٤)، البيهقي في سننه الكبرى (٣/٣٧١) ح (٦٣٢٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٦٣).

(٤) حديث أبي بكرة، رواه ابن حنبل في مسنده (٥/٤٧) ح (٢٠٤٩٩)، البيهقي في سننه الكبرى (٣/٣٧١) ح (٦٣١٧)، الترمذي في سننه (٤/٥٦٦) ح (٢٣٣٠)، قال: هذا حديث حسن صحيح.

(٥) حديث أبي هريرة، رواه مسلم في صحيحه (٤/٢٠٦٥) ح (٢٦٨٢)، ابن حنبل في مسنده (٢/٣١٦) ح (٨١٧٤)، ابن حبان في صحيحه (٧/٢٨٦) ح (٣٠١٥)، البيهقي في سننه الكبرى (٣/٣٧٧) ح (٦٣٥٦).

٧ / حديث: (لا تنتفوا الشيب فإنه نور يوم القيامة، ومن شاب شيبة في الإسلام كتب له بها حسنة وحط عنه بها خطيئة ورفع له بها درجة)<sup>(١)</sup>.  
٨ / حديث: (إن الله يستحي من ذي الشيبة إذا كان مُسَدِّداً لَزُوماً للسنة أن يسأله فلا يعطيه)<sup>(٢)</sup>.

وهذه الأحاديث كلها بعباراتها الصريحة ومعانيها الواضحة - من دون تعليق- تؤكد على المحافظة على حق الحياة للمسنين واستثمار أعمارهم فيما يرضى الله رب العالمين  
**الأمور المنهي عنها للحفاظ على حق الحياة:**

تناولت الشريعة الإسلامية أموراً حذرت منها المسلم لأجل المحافظة على حياته، من هذه الأمور:

١ / الإسراف: وهو مذموم لقوله تعالى: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)<sup>(٣)</sup>، ولحديث: (ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا بد فاعلاً: فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه)<sup>(٤)</sup>. والإسراف من أهم ما

---

(١) حديث أبي هريرة وعمرو بن شعيب، رواه ابن حبان في صحيحه (٧/٢٥٣) ح(٢٩٨٥)، البيهقي في سننه الكبرى (٧/٣١١) ح(١٤٦٠٥)، ابن حنبل في مسنده (٢/٢١٠) ح(٦٩٦٢)، مصنف ابن أبي شيبة (٥/٢٦٧) ح(٢٥٩٥٥).

(٢) حديث أنس بن مالك، رواه الطبراني في معجمه الأوسط (٥/٢٧٠) ح(٥٢٨٦)، ابن النجار، انظر: كنز العمال ح(٤٢٦٤٤).

(٣) سورة الأعراف، الآية ٣١.

(٤) حديث المقدم بن معدي كرب، ورد بألفاظ مختلفة، رواه ابن حبان في صحيحه (٢/٤٥٠) ح(٦٧٤)، النسائي في سننه الكبرى (٤/١٧٨) ح(٦٧٧٠)، الطبراني في معجمه

يؤدي إلى تدهور صحة الإنسان، وإصابته بالعديد من الأمراض التي تذبذب زهرة شبابه، وتعجلّ به إلى الشيخوخة المبكرة.

٢ / الغضب: فالانفعال والتوتر والضغط النفسي والاكْتئاب الشديد من أهم العوامل المؤدية إلى ظهور أعراض الشيخوخة، وهذا ما أثبتته الدراسات العلمية الحديثة، في حين أن الإسلام قرر ذلك قبل أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان. يقول عليه الصلاة والسلام: (ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)<sup>(١)</sup>، وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقال: (أوصني، قال: لا تغضب، فردد مراراً قال: لا تغضب)<sup>(٢)</sup>.

٣ / الخمر: والخمر مفتاح كل شر - والعياذ بالله - لحديث: (اجتنبوا الخمر؛ فإنها مفتاح كل شر)<sup>(٣)</sup>، ومثلها تعاطي المخدرات والتدخين.

ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من له علاقة بالخمر، ففي الحديث: (أتاني جبريل فقال: يا محمد؛ إن الله عز وجل

---

الكبير (٢٠/٢٧٣) ح(٦٤٤)، ابن ماجه في سننه (٢/١١١١) ح(٣٣٤٩)، الترمذي في سننه (٤/٥٩١) ح(٢٣٨٠)، وقال هذا حديث حسن صحيح.

(١) حديث أبي هريرة، رواه البخاري في صحيحه (٥/٢٢٦٧) ح(٥٧٦٣)، مسلم في صحيحه (٤/٢٠١٤) ح(٢٦٠٩)، مالك في الموطأ (٢/٩٠٦) ح(١٦١٣)، ابن حنبل في مسنده (٢/٥١٧) ح(١٠٧١٣)، النسائي في سننه الكبرى (١/١٠٥) ح(١٠٢٢٦).

(٢) حديث أبي هريرة، رواه البخاري في صحيحه (٥/٢٢٦٧) ح(٥٧٦٥).

(٣) حديث ابن عباس رضي الله عنهما، رواه الحاكم في مستدرکه (٤/١٦٢) ح(٧٢٣١)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.



لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه  
وبائعها ومبتاعها وساقياها ومستقيها<sup>(١)</sup>.

فشارب الخمر ملعون على لسان رسول الله صلى الله عليه  
وسلم، ومدمن شربها كعابد وثن لا يدخل الجنة، بل يدخل النار  
ويُسقى من طينة الخبال، عرق أهل النار، وهو مفسد لجسمه وصحته.  
يقول ابن القيم: (ومدمن الخمر كعابد وثن، وكم أهاجت من  
حرب، وأفقرت من غنى، وأذلت من عزيز، ووضعت من شريف،  
وسلبت من نعمة، وجلبت من نقمة، ونسخت مودَّة، ونسجت  
عداوة...) <sup>(٢)</sup>.

فعلى الإنسان عموماً والمسئ على وجه الخصوص أن يستغل أيام  
حياته وساعات شبابه في الخير والعبادة، ففي الحديث: (اغتم خمساً  
قبل خمس: حياتك قبل موتك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل  
فقرك، وشبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك) <sup>(٣)</sup>. وتأمل معي  
هذا النظم:

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثواني

---

(١) حديث ابن عباس، رواه أحمد في مسنده (١/٣١٦) ح (٢٨٩٩)، الحاكم في مستدرکه  
(٢/٣٧) ح (٢٢٣٤)، وقال: صحيح الإسناد.

(٢) حادي الأرواح إلي بلاد الأفراح، ص ٢٣٧-٢٣٨.

(٣) حديث ابن عباس، رواه الحاكم في مستدرکه (٤/٣٤١) ح (٧٨٤٦)، وقال: حديث  
صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثاني<sup>(١)</sup>.

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته أتطلب الربح مما فيه خسران؟  
أقبل على النفس واستكمل فضائله فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان<sup>(٢)</sup>.

ولا بد لبني آدم أن يدرك أن هذا الجسم وديعة عنده، فإن حفظه في صغره استمتع به في كبره، وفي الحديث: (احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك)<sup>(٣)</sup>. وهذا الحديث يدل على أن من حفظ الله في صباه وقوته، حفظه الله في حال كبره وضعف قوته، ومتعته بسمعه وبصره وحوله وقوته وعقله<sup>(٤)</sup>.

### ثانياً: حق تمام الكفاية:

وذلك باهتمام أفراد الأسرة بكل ما يحتاجه المسنون من صور التكافل والتعاون والتأمين، مثل توفير الطعام والشراب والملبس والمأوى والعلاج، وهذا يقع في المقام الأول على عاتق الموسرين من أفراد الأسرة كأبناء المسن وأقاربه، لحديث: (بر أمك وأباك وأختك وأخاك

---

(١) هذان البيتان لأمير الشعراء أحمد شوقي.

(٢) هذان البيتان من شعر أبي الفتح البستي، انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٥/٣٥١) وما بعدها.

(٣) حديث عبد الله بن عباس، رواه ابن حنبل في مسنده (١/٢٩٣) ح (٢٦٦٩)، الطبراني في معجمه الكبير (١٢/٢٣٨) ح (١٢٩٨٨)، الترمذي في سننه (٤/٦٦٨) ح (٦٦٨) ح (٢٥١٦)، وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب (١/٤٦٦).

ثم أدناك أدناك<sup>(١)</sup>. ثم إن لم تحقق هذه المطالب، فإن الأمر يمتد إلى أوسع نطاق ليشمل الأمة شعباً ودولة، لقوله صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)<sup>(٢)</sup>. وهذه الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاقد في غير إثم ولا مكروه، وفيه جواز التشبيه وضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الإفهام، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: (تداعى لها سائر الجسد) أي: دعا بعضه بعضاً إلى المشاركة في ذلك، ومنه قوله: تداعت الحيطان أي: تساقطت، أو قربت من التساقط<sup>(٣)</sup>.

### ثالثاً: حق التوقير والتقديم والاحترام:

مراعاة لمكانة الكبير وسنّه، ودوره الرائد في بناء المجتمع والحياة، وتمثله القدوة لمن بعده في مجالات الحياة المختلفة، كان لابد وأن يحث الرسول صلى الله عليه وسلم أمته على توقيره وتقديمه واحترامه حثاً مؤكداً، لحكمة يصبو إليها، وهي أن التوقير خليف باستدامة المحبة والثقة والوحدة والوئام والتآلف والنصرة، والتحقيق بأي صورة لا يثمر إلا البغضاء والشحناء والحقد والجفاء، ومن الأحاديث الواردة في الحث على توقير واحترام الكبير قوله صلى الله

(١) حديث أبي رمثة، رواه الحاكم في مستدرکه (٤/١٦٧) ح (٧٢٤٥).

(٢) حديث النعمان بن بشير، رواه مسلم في صحيحه (٤/٢٠٠٠) ح (٢٥٨٦)، ابن حنبل

في مسنده (٤/٢٧٠) ح (١٨٤٠٤)، البيهقي في سننه الكبرى (٣/٣٥٣) ح (٦٢٢٣).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم (١٦/١٣٩).

عليه وسلم: (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا)<sup>(١)</sup> وفي رواية: (ويعرف شرف كبيرنا)<sup>(٢)</sup>.

ومعنى ذلك أن من جهل حق الكبير في التوقير ولم يقيم باحترامه ووضعه في مكانته التي منحها إياه الإسلام ولم يقدر له قدره، فإنه على غير ما عليه نبي الهدى وليس من أمة المصطفى حقاً وإن ادعى الانتساب إليها؛ لأن أظهر ما يميز هذه الأمة هو أنها تبجل الكبير وتعظم شأنه من دون احتقار أو سخرية.

وكذلك من حق الكبير التقدير وعدم التأخير في جملة من الأمور، لحديث: (أمرني جبريل أن أقدم الأكابر)<sup>(٣)</sup>. وحديث: (ابدؤوا بالأكابر، فإن البركة مع أكابركم)<sup>(٤)</sup>، وذلك كتقديمه في الإمامة، امتثالاً لقوله عليه الصلاة والسلام: (... فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم)<sup>(٥)</sup>.

---

(١) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، رواه البخاري في الأدب المفرد (١/١٣١) ح(٣٥٨)، الطبراني في معجمه الكبير (١١/٤٥٠) ح(١٢٢٧٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥/٢٣٠) ح(٥٤٤٥).

(٢) رواية الترمذي في سننه (٤/٣٢٢) ح(١٩٢٠).

(٣) حديث ابن عمر، أخرجه أبو بكر الشافعي في فوائده (٩/٩٧/١)، بلفظه. وابن حنبل في مسنده ح(٦١٩١)، والبيهقي في سننه ح(١٧٣)، والطبراني في معجمه الأوسط (٣/٢٩٩) ح(٣٢١٨)، بلفظ: «أمرني جبريل أن أكبر». وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/٧٤) ح(١٥٥٥).

(٤) حديث ابن عباس رضي الله عنهما، انظره في: كنز العمال ح(٢٥٤٢٦).

(٥) مالك بن الحويرث، رواه البخاري في صحيحه (١/٢٢٦) ح(٦٠٢)، الدارقطني في سننه (١/٢٧٣) ح(١)، البيهقي في سننه الكبرى (٢/٣٤٥) ح(٣٦٧٢).

وكابتدائه ومبادرته بالتحية والسلام، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (يسلم الصغير على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير)<sup>(١)</sup>.

والكبير أحق بالمبادأة في الحديث والكلام، فعن رافع بن خديج وسهل بن أبي حنمة: (أن عبد الله بن سهل ومُحَيِّصَةَ بن مسعود أتيا خيبرَ ففترقا في النخل، فقتل عبد الله بن سهل فجاء عبد الرحمن بن سهلٍ وَحُوَيْصَةُ وَمُحَيِّصَةُ ابنا مسعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فتكلّموا في أمر صاحبهم، فبدأ عبد الرحمن وكان أصغر القوم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كَبُرَ الكُبرُ في السن)<sup>(٢)</sup>، أي فليتكلم أكبركم سناً.

والكبير أحق بالتقديم في وجوه الإكرام والتشريف عامة، فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يُبدأ بتقديم الشرب ونحوه لكبار السن، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سقى قال: (ابدءوا بالكبير أو بالأكابر)<sup>(٣)</sup>.

---

(١) حديث أبي هريرة، رواه البخاري في صحيحه (٥/٢٣٠٢) ح (٥٨٨٠)، أبو داود في سننه (٤/٣٥١) ح (٥١٩٨)، الترمذي في سننه (٥/٦٢) ح (٢٧٠٤)، وقال حديث حسن صحيح.

(٢) رواه النسائي في سننه الكبرى (٤/٢٠٨) ح (٦٩١٥)، البيهقي في سننه الكبرى (٨/١١٨) ح (١٦٢١٠)، الطبراني في معجمه الكبير (٤/٢٨٢) ح (٤٤٢٨).

(٣) رواه الطبراني في معجمه الأوسط (٤/١٢٩) ح (٣٧٨٦)، أبو يعلى في مسنده (٤/٣١٥) ح (٢٤٢٥).

وكذلك تقديمه في السواك؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستنّ وعنده رجلان فأوجي إليه؛ أن كبر: أعط السواك الأكبر)<sup>(١)</sup>.

قال المناوي رحمه الله في معرض شرح حديث: «أمرني جبريلُ أن أكبر»: ( وفيه أن السنّ من الأوصاف التي يُقدم بها، فيستدل به في أبواب كثيرة من الفقه، سيما في مورد النص وهو الإرفاق بالسواك، ثم يطرد في جميع وجوه الإكرام، كركوب وأكلٍ وشربٍ وانتعالٍ وطيبٍ، ومحلّه ما إذا لم يعارض فضيلة السنّ أرحح منها، وإلاّ قدّم الأرحح كإمامة الصلاة والإمامة العظمى وولاية النكاح وإعطاء الأيمن في الشرب، ولا منافاة بين ذلك والحديث؛ لأنه لم يدل على أن السنّ يُقدم به على كلّ شيء، بل إنه شيء يحصل به التقديم)<sup>(٢)</sup>.

وبهذه الروح الخلاقة، تسود قيم الخير والفضيلة والسلام في الأوساط الاجتماعية، وتتلاشى كل مظاهر الأثرة واللؤم والأنانية والتحقير والجشع.

ومع أن المسن قد صقلته تجارب الحياة والخبرة والدراية والحكمة، وإن كان ذا مال وجاه، إلا أنه في هذه المرحلة يعاني الكثير من صور الضعف في الصحة والنشاط والأداء، إذ يقول

---

(١) رواه أبو داود في سننه (١/١٣) ح (٥٠)، وحسنه ابن حجر في فتح الباري (١/٣٥٧).  
(٢) ( فيض القدير (٢/١٩٣). )<sup>٢</sup>

سبحانه: (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً)<sup>(١)</sup>، ولهذا الضعف والعجز كانت عناية الشريعة بالمسنين واضحة مؤكدة بنصوص القرآن والسنة.

### رابعاً: حق الرفق والإكرام:

المسلم مطالب بإكرام المسن بغض النظر عن دينه أو جنسه أو لسانه أو لونه؛ لأن إكرامه من تعظيم الله وإجلاله، وتوقيره كمخلوق من توقير الخالق، وهذا المبدأ تشهد له بالتأكيد جملة أحاديث كريمة، منها:

١ / حديث: ( إن من إجلال الله إكرامَ ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجا في عنه، وإكرامَ ذي السلطان المقسط)<sup>(٢)</sup>.  
فجعل تعظيم الشيخ الكبير في الإسلام من كمال تعظيم الله وتبجيله، وأشار إلى علامة يُكرم بها وهي ظهور الشيب عليه، فكان حقاً على كل من رأى هذه العلامة في مسلم إن يكرمه ويجله، لحرمة عند الله تعالى.

وتأمل معي كيف جمع بين الثلاثة ذي الشيبة وحامل القرآن والحاكم العادل، وفي مقدمتهما المسن، كأنه يقول لك وقرّ المسن كما توقّر السلطان والرئيس والحاكم، وعظّم المسن كما تعظم حامل القرآن الحاذق<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الروم، الآية ٥٤.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رعاية الرسول صلى الله عليه وسلم للضعفاء، رحمته للمسنين، محمد مسعد ياقوت،

موقع نبي الرحمة، على الشبكة العنكبوتية، [www.nabialrahma.com](http://www.nabialrahma.com).

وبنا عليه، فإذا حدثت كبيراً في السن ناده بألف خطاب،  
احتراماً لسنة وقدره ومكانته<sup>(١)</sup>.

٢ / حديث: (ثلاثة لا يستخف بحقهم إلا منافق: ذو الشيبة في الإسلام  
و ذو العلم وإمام مقسط)<sup>(٢)</sup>.  
٣ / حديث: (ما أكرم شاب شيخاً لسنة، إلا قبض الله له من يكرمه  
عند سنه)<sup>(٣)</sup>.

وهذه وصاية نبي الرحمة لشباب المجتمع بتبجيل وإكرام  
شيوخه، وشباب اليوم هم شيوخ المستقبل، وتظل الوصية المحمدية  
باقية متواصلة مع كافة الأجيال، وفي الحديث بشارة بأن في الأمة من  
يكرم شيوخها ويحفظ وصية رسول الله عليه الصلاة والسلام.  
فينبغي للشباب أن يهتم بشريحة المسنين وبكل ما يحتاجونه،  
وذلك جزاء وفاقاً لما بذلوه من جهود في شبابهم لخدمة مجتمعاتهم  
واستقرارها، وهذا من باب الاعتراف بالفصل لأهله ورد الجميل لذويه:

ازرع جميلاً ولو في غير موضعه ❖❖❖ فلن يضيع جميل أينما زرع  
إن الجميل وإن طال الزمان به ❖❖❖ فليس يحصده إلا الذي زرع

---

(١) حقوق كبار السن في الإسلام، الشيخ عبد الرزاق البدر، ص ٣٢.

(٢) حديث أبي أمامة، رواه الطبراني في معجمه الكبير (٨/٢٠٢) ح (٧٨١٩).

(٣) حديث أنس بن مالك، رواه الطبراني في معجمه الأوسط (٦/٩٤) ح (٥٩٠٣)، الترمذي  
في سننه (٤/٣٧٣) ح (٢٠٢٢)، وقال حديث غريب.



## خامساً: حق الرعاية والاهتمام:

ندبت الشريعة منسوبيها إلى الاهتمام والرعاية بشأن كبار السن بكل أنواعها، كالرعاية الدينية والصحية والنفسية، والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وغيرها من صور الرعاية والاهتمام في عصرنا الحاضر.

ومن ملامح الرعاية الرائعة في القرآن الكريم ما حكاه الله تعالى عن ابنتي شيخ مدين عليه السلام: (قَالَتَا لَأَنْسُقِيَ حَتَّى يُصَدَّرَ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ)<sup>(١)</sup>، أي: مسن، لا يقدر على مزاولته أمر الرعي والسقي<sup>(٢)</sup>. وقيل: لا يستطيع لكبره أن يسقي، فاضطررنا إلى ما ترى<sup>(٣)</sup>. وقيل: قد أضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به<sup>(٤)</sup>، فكانتا تقومان بواجب الرعاية وشؤون والدهما الشيخ الكبير، حتى سوغ لهما الخروج من البيت وهن من ذوات الخدور.

ومن مظاهر الرعاية في السنة المطهرة، ذلكم الرجل الذي استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجهاد، فقال له رسول الله: (أَحْيِ وَالِدَاكَ؟) فقال: نعم، قال: ففيهما فجاهد<sup>(٥)</sup>، وفي رواية

(١) سورة القصص، الآية ٢٣.

(٢) التفسير الواضح، حجازي (٢/٨٢٣).

(٣) التفسير المنير، الزحيلي (٣/٩٣).

(٤) الكشف، الزمخشري (٣/٤٠٠).

(٥) حديث عبد الله بن عمرو، رواه ابن حنبل في مسنده (٢/١٨٨) ح (٦٧٦٥)، أبو داود في سننه (٣/١٧) ح (٢٥٢٩)، البيهقي في سننه الكبرى (٩/٢٥) ح (١٧٦٠٥)، الحاكم في مستدرکه (٢/١١٤) ح (٢٥٠١)، وقال حديث صحيح الإسناد.

قال: (ألك والدان؟ قال: نعم، قال: اذهب فبرهما)<sup>(١)</sup>. وهذا كله دليل لعظم فضيلة برهما، وأنه أكد من الجهاد. وأجمع العلماء على الأمر ببر الوالدين، وأن عقوقهما حرام من الكبائر<sup>(٢)</sup>.

وكذلك جاء رجل يقول له: إني جئت أبايك على الهجرة، ولقد تركت أبويّ يبيكيان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ارجع إليهما، فأضحكهما كما أبكيتهما)<sup>(٣)</sup>.

ومن أروع النماذج ما قاله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر الصديق رضي الله عنه يوم فتح مكة حين أتى بأبيه أبي قحافة، وكان شيخاً كبيراً مستأً لیسلم بين يدي رسول الله في البيت الحرام، فقال: (هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه، قال أبو بكر يا رسول الله: هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه، فأجلسه بين يديه وأكرمه، ثم مسح على صدره، ثم قال له: أسلم، فأسلم...)<sup>(٤)</sup>.

---

(١) رواية ابن حبان في صحيحه (٢/١٦٥) ح (٤٢١).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، باب بر الوالدين وأنها أحق به (١٦/١٠٣).

(٣) حديث عبد الله بن عمرو، رواه البخاري في الأدب المفرد (١/٢١) ح (١٩)، ابن حبان في صحيحه (٢/١٦٧) ح (٤٢٣)، النسائي في سننه الكبرى (٤/٤٢٥) ح (٧٧٨٦)، الحاكم في مستدركه (٤/١٧٠) ح (٧٢٥٥)، وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) حديث أسماء بنت أبي بكر، رواه ابن حنبل في مسنده (٦/٣٥٠) ح (٢٧٠٠١)، ابن حبان في صحيحه (١٦/١٨٩) ح (٧٢٠٨)، الحاكم في مستدركه (٣/٤٩) ح (٤٣٦٣)، وقال حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

وفي رواية لأنس بن مالك رضي الله عنه: (لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناها تكرمة لأبي بكر)<sup>(١)</sup>.

فما أرهف هذه الكلمة! وأروعها! وما أعظم تأثيرها!، لكأنها تنزل على القلوب كما تنزل قطرات الندى على الزهرة الظمأى!، ولا عجب، فقد خرجت من قلب رحيم يتقاطر نوراً ورحمة ويتفجر علماً وحكمة، قلب تسكن فيه رقائق أرق من النسيم وأنضر من صفحة الروض الوسيم، إنه قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

### المبحث الثالث: مقاصد الشريعة الإسلامية من رعاية المسنين.

إن الشريعة الإسلامية تزخر بالكثير من المقاصد العامة والخاصة التي تعلي من مكانة المسنين وتكفل رعايتهم وتصون حقوقهم وتراعي ظروفهم في جملة من النصوص والأحكام الشرعية، وينضوي تحت هذا المبحث ثلاثة مطالب: الأول: مفهوم مقاصد الشريعة، والثاني: مقاصد الشريعة من رعاية وتكوين الأسرة عامة، والثالث: مقاصد الشريعة من رعاية المسنين خاصة.

### المطلب الأول: مفهوم مقاصد الشريعة:

يعتبر علم المقاصد من أجل علوم الشرع وأنفعها، إذ به يتضح كمال الشريعة وعدلها ورحمتها وحكمتها، مما يجعلها راسخة العطاء ثابتة القواعد شامخة الأهداف على مر العصور بما حوته من الخير والهدى والنور والبيان.

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (١٢/٢٨٧) ح (٥٤٧٢)، الحاكم في مستدركه (٣/٢٧٤) ح (٥٠٧٠)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

يقول ابن القيم رحمه الله: "فإن الشريعة مبناها على الحكْم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أُدخلت فيها بالتأويل"<sup>(١)</sup>. ومن خلال هذه التوطئة نتكلم عن تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً:

تعتمد عبارة "مقاصد الشريعة" من التركيبات الإضافية، ولكي نعرفها لا بد من فك جزئها وتعريف كل على حده، ثم بالإمكان تعريفها كمسمى لعلم معين.

### أولاً: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً:

المقاصد لغة: جمع مقصد؛ وأصلها من الفعل الثلاثي (ق ص د)، يقصد قصداً ومقصداً، والقصد يطلق ويراد به عدة معاني لغوية، منها:

- العدل والتوسط في الأمور: كما في قوله: (وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ)<sup>(٢)</sup>، أي: توسط فيه.
- الاعتماد والأتمّ وطلب الشيء: كما جاء في الحديث: (فقصدت عثمان حتى خرج إلى الصلاة)<sup>(٣)</sup>، أي: طلبته بعينه.

(١) إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية (٣/١٤).

(٢) سورة لقمان، الآية ١٩.

• استقامة الطريق: كما في قوله: ( وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ )<sup>(٢)</sup>  
أي: الطريق المستقيم.

• القُرْب: كما في قوله سبحانه: ( لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً  
قَاصِداً لَأَتَّبَعُوكَ )<sup>(٣)</sup>، أي: قريباً هين السير<sup>(٤)</sup>.

وأما المقاصد اصطلاحاً: فمعناها هو ذات المعنى اللغوي،  
وأقرب المعاني للمعنى الاصطلاحي هو معنى الأَمّ وطلب الشيء  
والتوجه، ونحو ذلك.

### ثانياً: تعريف الشريعة لغة واصطلاحاً:

الشريعة لغة: تطلق ويراد بها أصلاً مورد الماء، فالشريعة في  
كلام العرب مَشْرَعَةٌ الماء، وهي مورد الشاربة التي يشرعها الناس  
فيشربون منها ويستقون<sup>(٥)</sup>. ومن معاني الشريعة: الدين، والملة،  
والمناهج، والطريقة، والسنة<sup>(٦)</sup>.

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي عليه السلام (٧/٦٧)  
ح(٣٦٩٦).

(٢) سورة النحل، الآية ٩.

(٣) سورة التوبة، الآية ٤٢.

(٤) انظر مادة "قصد" في: تاج العروس (٥/١٩٠)، لسان العرب (٣/٣٥٣)، أساس البلاغة  
(٢/٨٠)، المصباح المنير، الفيومي ص ٣٠٠، القاموس المحيط، الفيروز أبادي ص ٣٩٦،  
مختار الصحاح ص ٥٣٦، معجم مقاييس اللغة (٥/٩٥).

(٥) المصباح المنير (٤/٤٩٠)، لسان العرب (٨/١٧٥).

(٦) لسان العرب (٨/١٧٤)، الصحاح (٣/١٢٣٦).

والشريعة في الاصطلاح: نعني بها شريعة الإسلام؛ وهي: ما سنه الله لعباده من الأحكام عن طريق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وجعلها خاتمة لرسالاته<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: تعريف مقاصد الشريعة كمسمى لعلم معيّن:

يعتبر مصطلح مقاصد الشريعة من المصطلحات الواضحة غير العسّية على التحديد الدقيق لدى علماء المقاصد القدامى، ولذلك لم يرد لها تعريفاً ولا أثراً عندهم حتى الإمام الشاطبي رحمه الله لم يضع لها تعريفاً محدداً، وإنما أخذ يبينها بتفصيل أنواعها<sup>(٢)</sup>، ولكن جاء المتأخرون وتناولوها بعدة تعريفات، وإن اختلفت في العبارة إلا أنها متفقة تماماً في المضمون، نذكر أهمها:

- تعريف محمد الطاهر بن عاشور بأنها: "المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها"<sup>(٣)</sup>.
- تعريف علال الفاسي بأنها: "الغاية والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها"<sup>(٤)</sup>.
- تعريف محمد سعد اليوبي بأنها: "المعاني والحكم ونحوها التي راعاها الشارع في التشريع عموماً وخصوصاً من أجل تحقيق مصالح العباد"<sup>(٥)</sup>.

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، اليوبي، ص ٣١.

(٢) انظر: الشاطبي ومقاصد الشريعة، حماد العبيدي، ص ١١٩.

(٣) مقاصد الشريعة، ابن عاشور، ص ٥١.

(٤) مقاصد الشريعة ومكارمها، علال الفاسي، ص ٣.

• تعريف أحمد الريسوني بأنها: "الغايات التي وُضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد"<sup>(٢)</sup>.

• تعريف نور الدين الخادمي بأنها: "المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية، والمترتبة عليها، سواء أكانت تلك المعاني حكماً جزئية أم مصالح كلية أم سمات إجمالية، وهي تتجمع ضمن هدف واحد، هو تقرير عبودية الله ومصصلحة الإنسان في الدارين"<sup>(٣)</sup>.

• تعريف يوسف حامد العالم بأنها: "الغاية التي يرمى إليها التشريع، والأسرار التي وضعها الشارع الحكيم عند كل حكم من الأحكام"<sup>(٤)</sup>.

ومن هذه التعريفات يتبين أن المراد بمقاصد الشريعة: الغايات والحكم التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها مراعاة لمصلحة العباد.

### المطلب الثاني: مقاصد الشريعة من رعاية وتكوين الأسرة.

يشكل الإسلام الدرع الواقي للأسرة المسلمة من التفكك والانحيار؛ وذلك من خلال رعايته لها ابتداءً من تكوينها وإلى أن يصير أطرافها شيوخاً مسنين؛ لأنها مغرس الأطفال ومحضن الرجال ومصنع الأبطال، وهي أول مسؤول عن رعاية أفرادها الصغار والكبار،

---

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية، اليوبي، ص ٣٧.

(٢) نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ص ٧.

(٣) الاجتهاد المقاصدي حجيته ضوابطه مجالاته، ص ٢٥.

(٤) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، ص ٧٩.

امثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)<sup>(١)</sup>، وهذه الرعاية المثالية من ورائها مقاصد سامية وغايات نبيلة للإسلام، يمكن تحقيقها من خلال النكاح الشرعي، نذكر منها:

### ١/ تقنين الطاقة الجنسية وتنظيم الغرائز:

إن الذي شرع الإسلام هو الذي أودع في الإنسان الغرائز والشهوات، يقول تعالى: (زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ)<sup>(٢)</sup>، وهو بذلك لم يقصد أبداً استئصالها بل تأصيلها وتقنينها وتهذيبها لتكون خادمة للإسلام ومقاصده العليا، لا خادمة لنزعات الشيطان الشريرة، وفي هذا السياق يقول محمد قطب: "الطاقة الجنسية من حيث المبدأ مسألة بيولوجية لا يمكن استمرار الحياة على وجه الأرض بدونها، والإسلام حريص على تحقيق أهداف الحياة العليا، فهو لذلك يحترم كل ما يؤدي إلى تحقيق هذه الأغراض، ولكن الذي يضع له الإسلام الضوابط والقيود، هو طريقة التنفيذ العملي لتلك الأهداف، والاعتراف بها من حيث أحقيتها بالوجود، والاعتراف للناس بحق الإحساس والشعور"<sup>(٣)</sup>.

ولهذا فتهذيب الطاقة الجنسية مطلب شرعي ومقصد للإسلام لا بد من تحقيقه؛ لأن فيه سلامة المجتمع وصيانتة من الانحلال الخلقي، ولا يمكن ذلك إلا بالزواج الشرعي أو الصوم البدلي، يقول

---

(١) حديث ابن عمر رضي الله عنهما، رواه البخاري في صحيحه (١/٣٠٤) ح (٨٥٣)، ابن حنبل في مسنده (٢/٥) ح (٤٤٩٥)، ابن حبان في صحيحه (١٠/٣٤٤) ح (٤٤٩١).

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٤.

(٣) الإنسان بين المادية والإسلام، محمد قطب، ص ٢٤٨ وما بعدها.



النبي صلى الله عليه وسلم: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)<sup>(١)</sup>.

٢/ تحقيق السكن والمودة والرحمة والإحسان، وتكملة نصف الدين: فطابع الأسرة هو الاستمرار، وهدفها هو الاستقرار والسكن؛ بنوعيه الجسمي والنفسي، يقول تعالى: (لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً)<sup>(٢)</sup>، فالمودة والرحمة من أروع الهبات وأجمل المشاعر التي خلقها الله تعالى، فإذا وُجِدَت مع الشعور بحلاوتها وجلّها ونيل مرضاة واهبها وهو الله، كَمَلَت هذه النعمة بلا نقصان.

### ٣/ إيجاد النسل والذرية وتربيتهم:

لا ريب في أن نعمة الولد من أجل نعم الواهب سبحانه وتعالى على الأسرة والمجتمع والأمة، وإن كان لقاء الزوجين؛ الذكر والأنثى وتحقيق المتعة بينهما والتعاون والاحترام كلها مقاصد للشريعة من ناحية، فهي من ناحية أخرى مقاصد تابعة لمقصد أصلي هو التناسل ووجود الذرية؛ لأنه لو عُدِم النسل لم يكن في العادة بقاء<sup>(٣)</sup>. يقول أبو حامد الغزالي: "الولد هو الأصل، وله وُضِع النكاح، والمقصود إبقاء

---

(١) حديث علقمة، رواه البخاري في صحيحه (٥/١٩٥٠) ح (٤٧٧٨)، ابن حنبل في مسنده (١/٣٧٨) ح (٣٥٩٢)، النسائي في سننه (٦/٥٨) ح (٣٢١١)، البيهقي في سننه الكبرى (٧/٧٧) ح (١٣٢٢٤).

(٢) سورة الروم، الآية ٢١.

(٣) الموافقات، الشاطبي (٢/١٧).

النسل، وألا يخلو العالم من جنس الإنسان، وإنما الشهوة خلقت باعثة مستحثة وتلطفاً في السياق إلى الولد"<sup>(١)</sup>.

فالذرية الصالحة هي مطلب من مطالب أولي العزم من الرسل، يقول تعالى حاكياً على لسان الخليل إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة وأزكى التسليم: (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ)<sup>(٢)</sup>، وإن كانت الذرية الصالحة مقصداً للشريعة، فالتربية الصالحة مقصد كذلك. وهذه التربية إنما تكون بغرس مكارم الأخلاق ومحاسن الخصال والشيم في نفوس الأبناء، وإلا فلا فائدة من الإنجاب إذا كنا نربي عجولاً أو كتلاً من اللحم البشري، والواقع أنه ليس هناك وقوف على مسافة واحدة بين مطالب الروح والجسد، فأولياء الأمور جل اهتمامهم بالتربية الجسدية للناشئ، وقليل منهم من يعتني بتربية النفس وشفاء الروح، ولذلك كان الضياع من هذا الباب، والله المستعان. ومن هنا كان على الأسرة قسط كبير من واجبات التربية الخلقية والوجدانية والدينية في جميع مراحل الحياة.

#### ٤ / صيانة الأنساب من الاختلاط:

وذلك تحقيقاً للتعارف المذكور في قوله سبحانه: ( وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا )<sup>(٣)</sup> والذي من خلاله تتوزع الأدوار وتتحدد الحقوق والواجبات، فلكل من أفراد الأسرة؛ أباً كان أو أمماً، أخاً

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي (٢/٥٤).

(٢) سورة الصافات، الآية ١٠٠.

(٣) سورة الحجرات، الآية ١٣.

كان أو أختاً، ابناً كان أو بنتاً، وسائر الأسرة من أصول وفروع وحواشي؛ كل له دوره وواجبه ومسؤوليته.

وهذه الأنساب وسيلة لتحقيق صلة الرحم؛ التي نادى بها الإسلام وأعلى من شأنها، ففي الحديث الشريف: (تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثرة في المال منسأة في الأثر)<sup>(١)</sup>، كل ذلك من أجل تجسيد معاني التكافل الاجتماعي وروح التعاون<sup>(٢)</sup>.

#### ٥ / إشاعة معاني الرحمة في المجتمع:

وهذا المقصد أكدته نصوص الوحي، كقوله تعالى: ( مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ )<sup>(٣)</sup>، أي: متوادون متعاطفون، وهو جمع رحيم، والمعنى: أنهم يظهرن لمن خالف دينهم الشدة، ولمن وافقه الرحمة والرأفة<sup>(٤)</sup>، وبلغ من ترحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمناً إلا صافحه وعانقه<sup>(٥)</sup>. وفي الحديث:

---

(١) حديث أبي هريرة، رواه ابن حنبل في مسنده (٢/٣٧٤٩) ح (٨٨٥٥)، الطبراني في معجمه الكبير (١٨/٩٨) ح (١٧٦)، الحاكم في مستدرکه (٤/١٧٨) ح (٧٢٨٤)، وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) انظر: ميثاق الأسرة في الإسلام، اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل، ص ٨٠ وما بعدها.

(٣) سورة الفتح، الآية ٢٩.

(٤) تفسير المراغي (٢٦/١١٦).

(٥) الكشف، الزمخشري (٤/٣٤٦).

(الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)<sup>(١)</sup>.

والإسلام يدرك تمام الإدراك أن المسنين في هذه المرحلة يحتاجون إلى العطف والكلمة الطيبة والوجه الباسم وإدخال السرور على نفوسهم، لما لذلك من أثر طيب ودافع للشعور بالرضا والسعادة، وهي بلا شك دعوة تشرق فيها روح الأدب والوقار ونبل الخلق والإيثار. ومن هنا ينبغي أن نعلم أن رعاية الأسرة المسلمة والمحافظة على كيانها يحقق للشريعة مقاصدها الكلية؛ فاختيار الزوجين المبني على الدين ثم تكوين الأسرة وبنائها على أسس الإصلاح وإقامة أطرافها شعائر الإسلام، يحقق المحافظة على الدين.

والقيام بواجبات الأسرة ومطالبها من مأكّل ومشرب وملبس ومأوى وعلاج وغيرها من مصالح تعود على أفرادها وخاصة الضعفاء وكبار السن، يحقق المحافظة على النفس.

واتساع دائرة الأسرة وتكاثرها وتمدها بالنسب والمصاهرة يحقق المحافظة على النسل. وتزكية الفرد وتعليمه وإعداده لتحمل المسؤوليات وأعباء المعيشة وكسب الرزق الطيب يحقق المحافظة على العقل والمال، وهكذا..

### المطلب الثالث: مقاصد الشريعة من رعاية المسنين.

---

(١) حديث عبد الله بن عمرو، رواه البيهقي في سننه الكبرى (٩/٤١) ح (١٧٦٨٣)، أبو داود في سننه (٤/٢٨٦) ح (٤٩٤١)، الترمذي في سننه (٤/٣٢٤) ح (١٩٢٤)، وقال حديث حسن صحيح.

يبرز دور مقاصد الشريعة في رعاية المسنين في مقصد التيسير ورفع الحرج الذي يعتبر من المقاصد العامة المقطوع بها في الشريعة، والمقصود برفع الحرج إزالة ما يؤدي إلى المشقة؛ لأن المشقة تجلب التيسير، كما يقول الفقهاء.

وأدلة ذلك إذا استقرأنا نصوص الشارع نجدها كثيرة، كقوله تعالى: (مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ)<sup>(١)</sup>، وقوله: (لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ)<sup>(٢)</sup>، وقوله: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)<sup>(٣)</sup>، وغيرها من الآيات والأحاديث كثير.

وتتجلى مظاهر رفع الحرج في أحكام الشريعة الخاصة

بالمسنين في:

١/ تكليف المسنين حسب استطاعتهم، لقوله تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)<sup>(٤)</sup>، وقوله: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ)<sup>(٥)</sup>، أي: فاتقوا الله حق تقاته ما استطعتم، وهذا أصوب<sup>(٦)</sup>.

والاستطاعة هي استفعال من الطاعة، وتعني القدرة التامة التي يجب عندها صدور الفعل<sup>(١)</sup>. والاستطاعة سبب أو شرط في التكليف

(١) سورة المائدة، الآية ٦.

(٢) سورة التوبة، الآية ٩١.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٨٥.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

(٥) سورة التغابن، الآية ١٦.

(٦) تفسير القرطبي (٤/١٥٧).

الشرعي، كما قال الشاطبي: (ثبت في الأصول أن شرط التكليف أو سببه القدرة على المكلف به، فما لا قدرة للمكلف عليه لا يصح التكليف به شرعاً، وإن جاز عقلاً)<sup>(٣)</sup>. وقال إمام الحرمين: (يُكَلَّفُ الْمُتَمَكِّنُ وَيَقَعُ التَّكْلِيفُ بِالْمُمْكِنِ)<sup>(٣)</sup>.

ومن مقاصد الاستطاعة في التكليف التخفيف عن المكلفين وتحقيق دوام الامتثال وتقوية العلاقة الإنسانية<sup>(٤)</sup>.

٢/ شرعية الرخص والتخفيف والرحمة بالمسنين مراعاة لظروفهم الخاصة، وهذا التخفيف في الأمور التعبدية يأخذ عدة أنواع:  
الأول: تخفيف إبدال؛ كإبدال المسنّ الوضوء والغسل بالتييم عند عجزه عن مباشرة الوضوء أو الغسل. وإبدال القيام بالعود في الصلاة، لحديث: (صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب)<sup>(٥)</sup>. وإبدال الصيام بالإطعام، كما في قوله تعالى: (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ)<sup>(٦)</sup>.

---

(١) التعريفات، الجرجاني (١/٣٥).

(٢) الموافقات (١/٤١٠).

(٣) البرهان في أصول الفقه (١/١٠٥).

(٤) تأصيل الاستطاعة في ضوء مقاصد الشريعة، محمد رفيع (١/١٣٢).

(٥) حديث عمران بن حصين، رواه البخاري في صحيحه (١/٣٧٦) ح (١٠٦٦)، أبو داود

في سننه (١/٢٥٠) ح (٩٥٢)، الدارقطني في سننه (١/٣٨٠) ح (٣).

(٦) سورة البقرة، الآية ١٨٤.

الثاني: تخفيف تقديم؛ وذلك كأن يجمع المسنّ العاجز بين الصلاتين؛ بتقديم العصر مع الظهر أو العشاء مع المغرب أو تأخيرها على العكس.

الثالث: تخفيف إسقاط كإسقاط الخروج للجمعة أو الجماعة، لحديث: (من سمع المنادي فلم يمنعه من اتباعه عذر، قالوا: وما العذر؟ قال: خوف أو مرض لم تُقبل منه الصلاة التي صلى)<sup>(١)</sup>. وإسقاط الحج أو العمرة ببدنه وجواز النيابة فيهما، فعن الفضل بن العباس رضي الله عنهما: (أن امرأة من خُتَم قالت: يا رسول الله، إن أبي شيخ كبير عليه فريضة الله في الحجّ، وهو لا يستطيع أن يستوي على ظهر بغيره، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: فحجّي عنه)<sup>(٢)</sup>. وإسقاط الجهاد لما به من الضعف والعجز أو تحقق المشقة المعتبرة شرعاً من القيام بالمأمور به.

الرابع: تخفيف تأخير كتأخير الصلاة وتأخير صيام رمضان، لقوله تعالى: (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ)<sup>(٣)</sup>.

---

(١) حديث ابن عباس، رواه أبو داود في سننه (١/١٥١) ح (٥٥١)، الدارقطني في سننه (١/٤٢١) ح (٦)، الحاكم في مستدرکه (١/٣٧٣) ح (٨٩٦).

(٢) حديث الفضل بن عباس، رواه البخاري في صحيحه (٤/١٥٩٨) ح (٤١٣٨)، مسلم في صحيحه (٢/٩٧٤) ح (١٣٣٥)، ابن ماجه في سننه (٢/٩٧٠) ح (٢٩٠٧)، ابن حنبل في مسنده (١/٢١٣) ح (١٨٢٢).

(٣) سورة البقرة، الآية ١٨٤.

الخامس: تخفيف تنقيص، كإنقاص هيئة فعل الصلاة من أن تكون كاملة، فلا يكلف أن يركع أو يسجد أو يقف بصورة تلحقه معها مشقة بالغة.

السادس: تخفيف رحمة؛ وذلك كتخفيف الإمام في صلاته مراعاة لظرف الكبير وغيره، لحديث: (إذا صلى أحدكم للناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء)<sup>(١)</sup>.

ولقد عاتب رسول الله عليه الصلاة والسلام معاذ بن جبل ذات يوم، لما صلى إماماً فأطال فشق على المأمومين، عاتبه بقوله: (يا معاذ: أَفَتَأَنَّ أَنْتَ؟! - قالها ثلاثاً - فلولا صليت بسبح اسم ربك والشمس وضحاها والليل إذا يغشى، فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة)<sup>(٢)</sup>.

وكالتخفيف بعدم القتل في الجهاد، لحديث: (كان النبي إذا بعث جيشاً أو سرية، دعا صاحبهم فأمره بتقوى الله، وبمن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: اغزوا باسم الله وفي سبيل الله؛ قاتلوا من

---

(١) حديث أبي هريرة، رواه أبو داود في سننه (١/٢١١) ح (٧٩٤)، النسائي في سننه (٢/٩٤) ح (٨٢٣)، ابن حنبل في مسنده (٢/٤٨٦) ح (١٠٣١١).

(٢) حديث جابر بن عبد الله، رواه مسلم في صحيحه (١/٣٤٠) ح (٤٦٥)، البيهقي في سننه الكبرى (٣/١١٢) ح (٥٠٣٣)، الطبراني في معجمه الأوسط (٧/٢٣٣) ح (٧٣٦٣).



كفر بالله، لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ولا شيخاً كبيراً<sup>(١)</sup>.

وكما يرخص للشيخ الكبير في السن القبلة والمباشرة وهو صائم، بخلاف الشاب، ففي الحديث: (سئل عن القبلة للصائم، فأرخص فيها للشيخ وكرهها للشاب)<sup>(٢)</sup>.

ويرخص للمرأة العجوز القاعد في ترك الحجاب الشرعي المفروض على الشابة، كما قوله تعالى: (وَأَلْقَوَا أَدْمَانَ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَأَ يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)<sup>(٣)</sup>. والمعنى: إن النساء اللواتي كبرن، وانقطع الحيض عنهن، ويئسن من الولد، ولم يبق لهن رغبة في الزواج، فلا إثم عليهن ولا حرج أن يخفن في ملابسهن ويخلعن ثيابهن الظاهرة<sup>(٤)</sup>.

كما يرخص لهما عند العجز وعدم القدرة بأعمال الطهارة كالاستتجاء وحلق العانة وغيرها إباحة النظر إلى محل العورة من قبل غيرهما القائمين بأمر رعايتهما. وكل ذلك بناء على قاعدة المشقة تجلب التيسير.

---

(١) حديث سليمان بن بريدة عن أبيه، رواه الطبراني في معجمه الأوسط (٢/١١٦) ح (١٤٣١).

(٢) حديث عبد الله بن عباس، رواه مالك في الموطأ (١/٢٩٣) ح (٦٤٨)، البيهقي في سننه الكبرى (٤/٢٣٢) ح (٧٨٧٦)، ابن ماجه في سننه (١/٥٣٩) ح (١٦٨٨).

(٣) سورة النور، الآية ٦٠.

(٤) التفسير المنير، الزحيلي (١٨/٢٩٦).

## الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه السادات، وبعد:

يشكل المسنون شريحة ذات أهمية كبيرة في تركيبة المجتمع المسلم وغيره، والقارئ لإحصاءاتهم حديثاً يشعر بحجم التزايد والتنامي في أعدادهم، وهذا أمر يشغل بال الكثير من المهتمين بهذه القضية في ظل الانفتاح الثقافى والأخلاقي، ومن خلال الطواف حول مفردات هذا البحث والوقوف على أبعاده، يجدر بي أن أذكر أهم نتائجه وتوصياته.

## النتائج:

نذكر بعضاً منها في النقاط التالية:

- المسن لغة يراد به من بلغ الكبر في السن من الرجال والنساء كذي الشيبة والشيخ والعجوز والكهل والهرم والمعمر.
- المسن اصطلاحاً هو من بلغ مرحلة من العمر جعلته عاجزاً لا يستطيع العمل ولا القيام بواجبات نفسه فضلاً عن حقوق غيره، كالتكاليف الشرعية والعرفية ونحوها.

- الأسرة هي المسؤول الأول عن رعاية المسنين، فإن لم تقم بواجبها، فالمسؤولية تمتد إلى أوسع نطاق لتشمل المجتمع والدولة والأمة، وذلك لشدة اهتمام الشريعة وحرصها بقضية كبار السن.
- مقاصد المسنين هي الغايات والحكم التي وضعها الشارع عند كل حق أو حكم من أحكامها مراعاة لمصلحة المسنين.
- من حقوق المسنين في الإسلام: حق الحياة الكريمة، وحق تمام الكفاية، وحق التوقير والاحترام، وحق الرفق والإكرام، وحق الرعاية والاهتمام، وحق التقديم في وجوه الآداب والإكرام عامة، كالإمامة والكلام والشراب والطعام والمجلس والدخول، وحق التخفيف عنهم في الأحكام والفتاوى الشرعية، كالأمور التعبدية وغيرها.
- تعتبر رعاية المسنين من أجل العبادات والأعمال الإنسانية الشريفة التي يُتقرب بها إلى الله تبارك وتعالى.
- يستحق المسنون الرعاية التامة بكافة أنواعها الدينية والصحية والنفسية والعقلية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وغيرها.
- يبرز دور مقاصد الشريعة من رعاية المسنين في مقصد التيسير ورفع الحرج، وذلك من خلال التكليف حسب الاستطاعة وشرعية الرخص والتخفيف والرحمة بهم في جملة من أحكام الشرع الحنيف.

### التوصيات:

ارتأيت أن أوصي بالأمور الآتية:

◆ تأصيل المفاهيم والتوجيهات التي تحضّ على برّ الوالدين وتوقير المسنين.

◆ أهمية التثقيف والتوعية الإعلامية ودورها في رعاية المسنين وحماية حقوقهم.

◆ بث ثقافة المسنين وعظمة مكانتهم وتوقيرهم لدى النشء المسلم في المراحل التعليمية المختلفة، وتضمين مناهج كليات الطب والعلوم الصحية طب المسنين، لتأهيل متخصصين علمياً في هذا المجال.

◆ أهيب بدور الدعوة الإسلامية والدعاة في ترسيخ معاني الإسلام العظيمة وغرس الوعي بأهمية رعاية المسنين في الشريعة الإسلامية ومقاصدها.

◆ تعزيز دور الأسرة في رعاية أفرادها المسنين، وتحفيزهم أدبياً ومادياً ومعنوياً.

◆ أهيب بأثرياء المسلمين وأهل البر والإحسان على العمل في إنشاء أوقاف خاصة بالمسنين ورعايتهم.

◆ أوجه إلى أهمية دور كبار السن المتخصصين في تقديم الاستشارات والخبرات والنصائح المتعلقة بالتخصص، بغية الاستفادة منها في تطوير العمل وترقية الأداء.

◆ التوعية المستدامة بخطورة المخدرات والخمر والتدخين على صحة الناس عامة والمسنين خاصة.

◆ أهيب بالباحثين بإجراء مزيد من الدراسات التي لها صلة بقضية الشيخوخة وكبار السن وخاصة التركيز على الجوانب التأصيلية والتطبيقية والتي لها تلامس مع الواقع.

◆ أضم صوتي للذين يناشدون بإنشاء مجلس أعلى لرعاية المسنين يهتم بكافة قضاياهم وهمومهم، لأجل إعطاء أنموذج إسلامي للغرب يحتذى به في الإحسان والإنسانية.

### ثبت المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.
٢. الأدب المفرد، أبو عبد الله محمد البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ٣، ١٤٠٩/١٩٨٩م.
٣. أرقام وحقائق عن المسنين في العالم، طلعت حمزة الوزنه، وزارة العمل والشؤون الاجتماعية السعودية، ١٤٢٠/٢٠٠٠م.
٤. أساس البلاغة، أبو القاسم الزمخشري، دار صادر، بيروت.
٥. الاجتهاد المقاصدي؛ حجيته.. ضوابطه.. مجالاته، د. نور الدين بن مختار الخادمي، كتاب الأمة، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، العدد ٦٥.
٦. إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط ١، ١٤١٢هـ.
٧. الإنسان بين المادية والإسلام، محمد قطب، دار الشروق، ط ٧، ١٤٠٢هـ.
٨. البرهان في أصول الفقه، إمام الحرمين الجويني، تحقيق د. عبد العظيم الديب، طبع على نفقة أمير دولة قطر، الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

٩. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، المطبعة الخيرية، القاهرة، ط١، ١٣٠٦هـ.
١٠. تفسير المراغي، الشيخ أحمد مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
١١. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ.
١٢. التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، دار الجيل الجديد.
١٣. الجامع الصحيح، أبو عبد الله محمد البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٩٨٧/٥١٤٠٧م.
١٤. جامع العلوم والحكم، ابن رجب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ.
١٥. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد القرطبي، تحقيق سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
١٦. حقوق كبار السن في الإسلام، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
١٧. الحماية الاجتماعية لكبار السن، د. عبد العزيز علي الغريب، و د. ناصر بن صالح العود، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

١٨. الخدمة الاجتماعية مع الفئات الخاصة "الشيخوخة والمسنين"، د. عبد الفتاح عثمان، د. علي الدين السيد، مكتبة عين شمس، القاهرة، ١٩٩٧م.
١٩. رعاية الرسول صلى الله عليه وسلم للضعفاء، محمد مسعد ياقوت، موقع نبي الرحمة، على الشبكة العنكبوتية، [www.nabialrahma.com](http://www.nabialrahma.com).
٢٠. رعاية المسنين في الإسلام، عبد الله بن ناصر السدحان، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
٢١. سلسلة الأحاديث الصحيحة، ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الجديدة، سنة ١٤١٥هـ.
٢٢. سنن ابن ماجه، أبو عبد الله القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
٢٣. سنن أبي داود، سليمان السجستاني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
٢٤. سنن البيهقي الكبرى، أبو بكر أحمد البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
٢٥. سنن الترمذي، أبو عيسى محمد الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٦. سنن الدارقطني، أبو الحسن علي الدارقطني، تحقيق السيد عبد الله المدني، دار المعرفة، بيروت ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

٢٧. السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد النسائي، تحقيق د. عبد الغفار سليمان، د. سيد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
٢٨. الشاطبي ومقاصد الشريعة، حماد العبيدي، دار قتيبة، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
٢٩. شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى النووي، تحقيق الشيخ خليل شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
٣٠. الصحاح "تاج اللغة وصحاح العربية"، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق شهاب الدين عمرو، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٩م.
٣١. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، أبو حاتم محمد بن التميمي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
٣٢. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٣. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار الريان، القاهرة.
٣٤. الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي، دار الفكر، ط٣، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
٣٥. في ظلال القرآن، الشهيد سيد قطب إبراهيم، دار الشروق، القاهرة.



٣٦. القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز أبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
٣٧. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن أبي شيبه الكوفي، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.
٣٨. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.
٣٩. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٤٠. لسان العرب، محمد بن منظور، دار صادر، بيروت، ط٤، ١٩٩٤م.
٤١. المسنون حقوقهم وواجباتهم في الإسلام مع بيان الحماية النظامية لهم بالملكة العربية السعودية، د.عبد المنعم فؤاد أحمد، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، العدد ٣٥، لسنة ١٤٢٤هـ.
٤٢. مختار الصحاح، الرازي، دار صادر، بيروت، ١٤٠٩هـ.
٤٣. المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله محمد الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٤٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد الشيباني، مؤسسة قرطبية، مصر.
٤٥. مشكلات التقدم في السن في ( التقدم في السن دراسة اجتماعية نفسية، تحرير عزت إسماعيل)، كمال أغا، دار القلم، بيروت، ١٤٠٤هـ.
٤٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد المقرئ الفيومي، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٤م.
٤٧. المصنف، أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني، المكتب الإسلامي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
٤٨. المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان الطبراني، تحقيق د. طارق بن عوض الله، ود. عبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.
٤٩. المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٩٨٣/١٤٠٤م.
٥٠. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ.
٥١. مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق ودراسة محمد الطاهر الميساوي، عمان، الأردن، دار النفائس، ط٢، ٢٠٠١م.

٥٢. مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، محمد سعد بن أحمد بن مسعود اليوبي، دار الهجرة، الرياض، ط١، لسنة ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
٥٣. مقاصد الشريعة عند الإمام العز بن عبد السلام، عمر بن صالح عمر، عمان، الأردن، دار النفائس، ط١، ٢٠٠٣م.
٥٤. مقاصد الشريعة ومكارمها، علال الفاسي، دار الغرب الإسلامي، ط٥، ١٩٩٣م.
٥٥. المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، يوسف حامد العالم، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، السعودية، الرياض، ط٤، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
٥٦. الموافقات في أصول الأحكام، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠١م.
٥٧. موطأ الإمام مالك، أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.
٥٨. ميثاق الأسرة المسلمة، اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل بالمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، ط١، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
٥٩. نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، أحمد الريسوني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.



بسم الله الرحمن الرحيم

## الآجال والمدد وأثرها في فقه النكاح والطلاق

إعداد : د. محمد علي طاهر ، أستاذ مساعد جامعة

القران الكريم والعلوم الإسلامية ، فرع بورتسودان.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة  
وهداية للعالمين ، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه  
أجمعين.

تناولت في البحث أن الزواج أساس الأسرة ودعامتها ، كما  
وضحت أهمية الآجال والمدد في النكاح والطلاق ، كما تناول مدة  
تحريم الخطبة على الخطبة ، وخطورة نكاح المتعة لتحديد الزواج  
بمدة محددة ، واشتمل البحث على الآجال والمدد في تزويج الصغيرة  
وسن البلوغ

بحث حول أما فيما يتعلق بالطلاق فدار البحث حول عدة الطلاق،  
ومدة في التطليق بالإيلاء.

أما الخاتمة فقد اشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

أهمية الموضوع:

تتجلى أهمية الموضوع فيما يلي :

(١) كون البحث متعلقاً بركني فقه الأسرة و مبادئها العظام وهما  
النكاح والطلاق .

(٢) تناول البحث أهمّ المحاور في فقه النكاح والطلاق ألا وهو محور (الأجال والمدد) ، فرأيت ميسس الحاجة لبحث وجمع هذه من بطون أمهات كتب الفقه الإسلامي ، القديم منها والحديث بأسلوب مبسط ودقيق .

(٣) تأكد أهمية البحث في ظل هذه المتغيرات التي يمر بها العالم اليوم، من قلة الوازع الديني ، نتج عنه جرائم خطيرة بسبب الخطبة على الخطبة ونكاح المعتدات ، وما عم وطم من التمدد الشيعي الرافضي الخبيث في أرجاء العالم الاسلامي ، مما يستدعي التحذير وبيان نكاح المتعة ، وما كثر من فقد والغياب للازواج مما أدى إلى اكتظاظ محاكم الاحوال الشخصية بطالبي التفريق القضائي.

أسباب اختيار الموضوع :

هنالك بعض الأسباب دعت إلى اختيار هذا الموضوع منها:

- (١) الرغبة في الأجر والثواب المترتب على طلب العلم الشرعي ، فإن طرُق مثل هذه المواضيع ، والعناية ببيان أحكامها الشرعية فيه معونة على البر والتقوى ، وذلك مندوب إليه شرعاً.
- (٢) الاستزادة من العلم النافع والاستفادة من ذلك التراث العلمي الثمين الذي تركه لنا من سبقونا من علمائنا الأماجد ، ويتحقق بطرُق هذا الموضوع، نظراً لما يشتمل عليه من مسائل وأصول يستفيد الباحث من دراستها وبيانها ، لتعلقه بفقه النكاح والطلاق.

(٣) المساهمة الفاعلة في سد الحاجة في المكتبة الفقهية.

(٤) ضرورة جمع وتأليف وتحريير كثيراً من الآجال والمدد في فقه النكاح والطلاق ، فإنها - وإن بحثت - تظل متفرقة في الكتب والمراجع العلمية.

(٥) أثر موضوع البحث في المحافظة على الأعراض ، وهذا من أعظم مقاصد الشريعة الإسلامية.

(٦) حاجة كثير من الناس إلى موضوع البحث ، لا سيَّما مع كثرة ورود الاستفتاءات والاستفسارات على هيئات الفتوى والفضائيات .

أهداف الموضوع :

أولاً: دراسة المسائل الفقهية المتعلقة بالآجال والمدد دراسة تأصيلية فقهية مقارنة .

ثانياً: استخراج ودراسة المسائل الحادثة التي منشأ الخلاف .

ولا أدعي أنني قد بلغت الكمال في طرح جوانب الجدة في الموضوع ، واستكملت الأقوال والأدلة والمناقشات ، ولكن يكفي أن يكون هذا البحث لبنةً من لبنات استكمال جوانب هذا الموضوع ، ونقطة بداية لكل باحث ومفتي في مسألة من مسائله .



## الدراسات السابقة:

رغم أهمية الموضوع وحاجته الملحة للبحث والتنقيب الدقيق فإنه \_حسب علمي\_ لم يفرد في بحث مستقل يجمع شتاتة وينظم مسائله، إلا أن بعض مسائله متفرقة ومبثوثة في أمهات كتب أهل العلم أو منشورة هنا أو هناك في المجالات أو بعض المواقع الالكترونية على الشبكة العنكبوتية (الانترنت). ولعل هذا مما شجعني كثيراً في البحث .

## منهج البحث:

إن المنهج الذي رأيته محققاً لأهداف البحث ومعيناً في إعداده هو المنهج الاستقرائي، حيث تتبع المسائل الخاصة بالأجال والمدد في فقه النكاح والطلاق والأقوال فيها وأدلتها، ثم المنهج التحليلي الذي يجمع ويفرق بين الأقوال ويوجه الأدلة ومن ثم يرجع . ولتحقيق ذلك اتبعت الخطوات التالية :

١/ إذا كانت المسألة من مواضع الاتفاق أذكر حكمها بدليها ، مع توثيق الاتفاق من مظانه المعتبرة .

٢/ إذا كانت المسألة من مسائل الخلاف فأتبع ما يلي:

أ- تحرير محل الخلاف إذا كانت بعض صور المسألة محل خلاف وبعضها محل اتفاق.

ب- ذكر الأقوال في المسألة وبيان من قال بها من أهل العلم ، ويكون عرض الخلاف حسب المذاهب الفقهية .

ج- الاقتصار على المذاهب الفقهية المعتبرة.

٢ / لم أذكر كل مذهب على حدة وإنما ذكرت المذاهب المتفقة على حكم مسألة معينة في قول واحد، وأبدأ بقول الجمهور، وإن لم يكن في المسألة قول للجمهور رتبت الأقوال حسب ترتيب الأئمة الأربعة الزمني.

٤ / رجعت في كل قول إلى كتب مذهبه المعتمدة .

٥ / ذكرت دليل كل قول بعد ذكره ، من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وأذكر وجه الدلالة من الدليل.

٦ / ناقشت كل دليل بعد ذكره، إن كانت هناك مناقشة ورددت على المناقشة إن وجدت ثم ذكرت القول الراجح بالأدلة المعضدة والوجوه المقوية، حتى لا أدع القاري حائراً لا يدري ما يأخذ وما يدع.

٧ / عزوت الآيات في الهامش بحيث أذكر السورة ورقم الآية .

٨/ خرّجت الأحاديث بنسبتها إلى من أخرجها بذكر الكتاب والباب والجزء والصفحة مع ملاحظة الآتي :-  
أ/ إن كان الحديث فى الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بتخريجهما.

ب/ إن لم يكن فى الصحيحين أو أحدهما خرّجته على ضوء ما سبق من كتب السنة المشهورة .

٩/ وثقت الأقوال والنقول بعزوها إلى أصحابها ومصادرهما فى الهامش، وفقاً لما تقضى به المنهجية العلمية .

١٠/ اعتنيت بتراجم الأعيان المذكورين فى صلب الرسالة ، ما عدا رواة الأحاديث من الصحابة ، ولم أترجم للمشاهير من الأعلام لغناهم عن التعريف.

هيكل البحث:

سأتناول هذا البحث - بعون الله وتوفيقه - ويشتمل على مقدمة وتسع مباحث وخاتمة ، والمباحث كما يلي:

المبحث الأول: مفهوم الآجال والمدد وأهميتها .

المبحث الثاني: أهمية النكاح والطلاق في الفقه الإسلامي.

المبحث الثالث: المدة التي تحرم فيها الخطبة على الخطبة .

المبحث الرابع : الآجال والمدد في صيغة العقد(النكاح المؤقت  
بمدة) .

المبحث الخامس: الآجال والمدد في تزويج الصغيرة .

المبحث السادس : الآجال والمدد في سن البلوغ .

المبحث السابع : الآجال والمدد في عدة الطلاق .

المبحث الثامن: مدة انتظار العنين والمفقود .

## المبحث التاسع : الأجال والمدد في التطبيق بالإيلاء .

### المبحث الأول: مفهوم الآجال والمدد وأهميتها

#### المطلب الأول: تعريف الآجال والمدد

##### أولاً: تعريف الآجال والمدد لغةً:

الأجل لغة: محرّكة غاية الوقت في الموت وحلول الدين ومدة الشيء، جمعه آجال، والتأجيل تحديد الأجل، واستأجلته فأجلني إلى مدة، أجل الشيء لغة : مدته ووقته الذي يحل فيه ، والآجلة الآخرة، ومنه قوله تعالى ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى...﴾<sup>(١)</sup>

أما المدة لغةً: المدة بالضم الغاية من الزمان والبرهة من الدهر،

يقال مدة من الزمان<sup>(٢)</sup>.

---

(١) سورة نوح، الآية (٤).

(٢) القاموس المحيط، : الفيروز أبادي باب التاء، فصل الميم، ٦٣٦/١ ، دار إحياء التراث العربي . بيروت، ط الثانية ١٤١١هـ مختار الصحاح، : محمد بن أبي بكر الرازي، ص٦١٨. مكتب لبنان ناشرون . بيروت، ١٤١٥هـ ، تحقيق: محمود خاطر.

ومن الألفاظ ذات الصلة بالمدة والأجل، الوقت أو التوقيت،  
وتعريفه: أن يجعل للشيء وقت يختص به، وهو بيان مقدار المدة، يقال:  
وقت الشيء يوقته إذا بيّن حده<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: تعريف الأجل والمدد اصطلاحاً:

الأجل اصطلاحاً: هي المدة أو الوقت الذي تؤدي أو تجب فيه  
العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج وما يتعلق بذلك في سائر أبواب  
الفقه من نكاح وطلاق ونحو ذلك، أو بمعنى آخر الأجل الشرعي:  
هو المدة التي حددها الشرع الحكيم سبباً لحكم شرعي<sup>(٢)</sup>

### المطلب الثاني: أهمية الأجل والمدد في النكاح والطلاق

إذا تأمل الفقيه في فقه النكاح والطلاق يدرك تماماً بأن جلّ  
هذه المباحث الفقهية تتعلق بمدد وأوقات وأجل. فقد تعرض الفقهاء  
في المدة التي تحرم فيها الخطبة على الخطبة، وتناولوا حكم الإيجاب

---

(١) انظر لسان العرب، لابن منظور، مادة وقت،، دار صادر- بيروت، ط٢،  
بدون. والنهائية في غريب الحديث والأثر،: الإمام ابن الأثير  
الجزري ٢١٢/١. المكتبة العلمية. بيروت، ١٣٩٩هـ، تحقيق: طاهر أحمد  
الزاوي ومحمود الطناحي.

(٢) هذا التعريف من إنشاء الباحث وهو مستخلص من استقراء استعمالات  
الفقهاء في المراجع.

والقبول اذا كانا مؤقتين ، وهذا ما اصطلح عليه نكاح المتعة ، كما تناول أهل العلم مدة البلوغ والرضاع.

أما في كتاب الطلاق فنجد ذكر ذلك ببسط الفقهاء القول في

أقل وأكثر مدة الحيض والطهر، وأقل سن تحيض فيه المرأة وسن اليأس ، لتعلق ذلك بعادة الطلاق قال تعالى ﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ...﴾<sup>(١)</sup> وقوله تعالى: ( وَاللَّائِي يَئْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ)<sup>٢</sup>

أما التطليق للعنة والغيبة فماهي المدة المقرر انتظارها شرعا ، والتي ينبغي تأجيل العنين وانتظار الغائب عن زوجته إليها. وماهي المدة التي يقع فيها الطلاق سنيا ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ...﴾<sup>(٣)</sup>

ومن هنا أود أن أخلص إلى الأهمية القصوى لموضوع البحث، إذ أن أهميته تتبع من دخوله في جل تفاصيل أبواب فقه الأسرة على وجه العموم وبابي النكاح والطلاق على وجه الخصوص ، كما برهنت ذلك فيما تقدم.

(١) [البقرة : ٢٢٨].

(٢) [الطلاق : ٤].

(٣) سورة الطلاق، الآية (١).

## المبحث الثاني

### تعريف النكاح والطلاق وأهميتهما في الفقه الإسلامي

#### المطلب الأول: تعريف النكاح والطلاق

أولاً: تعريف النكاح

للنَّكاح معناه لغة وشرعاً واصطلاحاً ، وإليك بيان ذلك ما أمكن:

تعريف النكاح لغة:

فهو: اسم يقع على الوطاء ، وعقد التزويج. وقيل للتزويج: نكاح

؛ لأنه سبب الوطاء المباح<sup>١</sup>.

نَكَّحَ يَنْكُحُ "أي بكسر الكاف" ، وامرأة ناكح في بني فلان أي ذات

زوج منهم. والنَّكاح يكون العقد دون الوطاء يقال: نكحتُ: تزوّجت.

وأنكحتُ غيري "بضم تاء المتكلم فيهما"<sup>٢</sup>. وقد ورد في القرآن قوله

---

(<sup>١</sup>) تهذيب اللغة للأزهري (١٠٣/٤)، وعنه اللسان (٦٢٦/٢) مادة (نكح).

(<sup>٢</sup>) / مقاييس اللغة لابن فارس (٤٧٥/٥).



تعالى: { حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ } وورد ( قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ  
إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ )<sup>١</sup>.

ومنها يتضح أنّ القدر المشترك بين تلك النصوص جميعاً ثبوت  
استعمال لفظ النُّكاح في كلِّ من الوطء، وعقد التزويج وشواهد من  
اللغة أكثر من أن تحصى.

تعريف النُّكاح شرعاً:

ورود النُّكاح في الشرع ، يقصد به ، في استعمال القرآن  
والسنة وعرف الصحابة ، أما التعريف الاصطلاحي فنقصد به  
اصطلاح الفقهاء.

وأما حقيقة النُّكاح شرعاً فقليل فيها أربعة أقوال:

القول الأوّل: أنه حقيقة في عقد التزويج دون الوطء. وهذا هو الصَّحيح  
من مذهب الشافعية والحنابلة وظاهر صنيع بعض المالكية يدلُّ على  
اعتماده في المذهب<sup>٢</sup>.

---

<sup>١</sup> / سورة القصص الآية: ٢٧

<sup>٢</sup> / انظر للشافعية: شرح النووي على مسلم (١٧٢/٩)، مغني المحتاج (١٢٣/٣)، وللحنابلة: المغني  
والشرح الكبير (٣٣٣/٧)، الإنصاف (٤/٨)، المبدع (٣/٧)، كشاف القناع (٥/٥)، شرح منتهى  
الإرادات (٢ / ٣). وللمالكية: شرح الزرقاني على الموطأ (١٢٤/٣)، الفواكه الدواني (٢١ / ٢)

ومن أدلة هذا القول ما يلي:

أولاً: أن لفظ النِّكاح بمعنى التزويج أكثر وأشهر استعمالاً في القرآن  
ولسان أهل العرف. كما في قوله تعالى: {وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ  
وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ}¹.

وقوله صلى الله عليه وسلم: "أيُّ امرأة نكحت بغير إذن وليها  
فنكاحها باطل - ثلاثاً"².

والوطء إنّما يجوز بالعقد، لا بالإذن المجرد عنه. وشواهد ذلك من  
القرآن والسنة وعرف الصحابة كثيرة مشهورة³، بل قيل: إنّهُ لم يرد  
النِّكاح في القرآن إلا بمعنى التزويج، ولكن اعترض على هذا أنه  
ينتقض في موضعين من القرآن الكريم:

---

¹ / سورة النور آية رقم: ٣٢.

² / أخرجه الترمذي برقم ١٠٢٠ كتاب النكاح، باب ما جاء لا نكاح إلا بولي  
، وأبو داود برقم ١٧٨٥ كتاب النكاح، باب في الولي، وابن ماجه برقم  
١٨٧٠ كتاب النكاح، باب لا نكاح إلا بولي، وأحمد برقم ٢١٤٨. ومن  
مسند بني هاشم، بداية مسند عبد الله بن عباس.

³ / انظر توجيه هذا الاستدلال لهذا القول في: المغني والشرح الكبير (٣٣٣/٧)، شرح النووي (٩)  
(١٧٢)، فتح الباري (١٠٣/٩)، مغني المحتاج (١٢٣/٣)، نيل الأوطار (١١٥/٦)، شرح الزرقاني  
على الموطأ (١٢٤/٣).

أولهما: قوله تعالى: { حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ }<sup>١</sup> فإن معناه الوطء؛ بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لامرأة رفاعة القرظي حين أرادت الرجوع إلى زوجها الأول قبل وطء الثاني - قال: "لا، حتى تذوق عُسَيْلَتَهُ ويذوق عُسَيْلَتِكَ".<sup>٢</sup>

وثانيهما: قوله تعالى: { وَابْتُلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ }<sup>٣</sup>، فإن معناه بلوغ الحلم.

ثانياً: ولأنه يصح نفي النكاح عن الوطء، فيقال: هذا سفاح لا نكاح، وصحة النفي دليل المجاز.

ثالثاً: أن النكاح أحد اللفظين المجمع على صحة العقد بهما، فكان حقيقة فيه كاللفظ الآخر وهو لفظ التزويج.<sup>٤</sup>

---

<sup>١</sup> / سورة البقرة - آية رقم: ٢٣٠.

<sup>٢</sup> / عن عائشة رضي الله عنها: أن امرأة رفاعة القرظي جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله: إن رفاعة طلقني فبت طلاقي، وإني نكحت بعده عبد الرحمن بن الزبير القرظي وإنما معه مثل الهدية، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "علك تريدان أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتى يذوق عسيلتك وتذوق عسيلته" (رواه البخاري بهذا اللفظ في كتاب الطلاق، باب من جوز الطلاق الثلاث ٣٦١/٩)

<sup>٣</sup> / سورة النساء - آية رقم: ٦.

رابعاً: ولأنَّ الذهن ينصرف إليه عند الإطلاق ولا يتبادر إلا إليه فهو إن لم يكن حقيقة فيه أصلاً - أي في اللغة - فهو مما نقله العرف<sup>١</sup>.

القول الثاني: أنه حقيقة في الوطاء دون العقد.

وهذا مذهب الحنفية. واختاره بعض الحنابلة، وهو أحد الأوجه عند الشافعية<sup>٢</sup>.

ودليل هذا القول: أن الأصل في استعماله لغة إنما هو في الوطاء، كما قاله أهل اللغة، والأصل عدم النقل<sup>٣</sup>.

وجاءت به السنة كما في قوله صلى الله عليه وسلم في بيان ما يحلُّ للرجل من

امراته الحائض - "اصنعوا كلَّ شيء إلا النُّكاح"<sup>٤</sup>.

---

<sup>١</sup> / انظر: المغني (٣٣٣/٧-٣٣٤).

<sup>٢</sup> / المغني (٣٣٣/٧)، شرح منتهى الإرادات (٢/٣)، كشف القناع (٥/٥).

<sup>٣</sup> / انظر للحنفية: المبسوط (٤/٩٢)، الفتح والعناية (٣/١٨٥-١٨٧)، البحر الرائق (٣/٨٢).

تبيين الحقائق (٢/٩٥)، وللحنابلة: المغني (٣٣٣/٧)، الإنصاف (٤/٨)، المبدع (٣/٧-٤).

وللشافعية: شرح النووي (٩/١٧٢)، فتح الباري (٩/١٠٣) مغني المحتاج (٣/١٢٣).

<sup>٤</sup> / انظر: فتح القدير لابن الهمام (٣/١٨٥-١٨٧)، المبدع (٤/٧)، كشف

القناع (٦/٥).

وأماً ما ورد في الشرع بمعنى عقد التزويج فلقرينة صرفته عن  
معناه الحقيقي إلى معنى التزويج كخطاب الأولياء في قوله تعالى:  
{وأنكحوا الأيامى منكم}.

أو اشتراط إذنهم كما في قوله تعالى: {فأنكحوهنَّ بإذن  
أهلهنَّ} <sup>٢</sup>. وسمي عقد التزويج نكاحاً؛ لأنه سبب الوطاء المباح.

القول الثالث: أن النكاح حقيقة في كل من الوطاء والعقد. أي مشترك  
بينهما، ويتعيَّن المقصود منهما بالقرينة.

وهو قول لبعض الحنابلة قيل: إنَّه ظاهر ما نقل عن الإمام أحمد ، وهو  
أحد الأوجه عند الشافعية <sup>٣</sup>

قال الحافظ في الفتح: "وهو الذي يترجَّح في نظري وإن كان  
أكثر ما يستعمل في العقد" <sup>١</sup>.

---

<sup>١</sup> / رواه بهذا اللفظ الإمام مسلم عن أنس رضي الله عنه (٣/٢١١ شرح النووي) كتاب الحيض، باب  
جواز قراءة القرآن في حجر الحائض.

<sup>٢</sup> / سورة النساء آية رقم: ٢٥.

<sup>٣</sup> / الإنصاف (٨/٥)، شرح منتهى الإرادات (٥/٦)، كشف القناع (٥/٦)، شرح النووي (٩/  
١٧٢)، مغني المحتاج (٣/١٢٣).

<sup>٤</sup> / هو الحافظ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ، أبو الفضل

ودليل هذا القول أنه ثبت الاستعمال في اللغة والشرع بمعنى الوطاء  
والعقد، والأصل في الإطلاق الحقيقة<sup>٢</sup>.

القول الرابع: أنه حقيقة فيهما معاً - أي من الألفاظ المتواطئة.

وبهذا قال بعض الحنابلة، وما نقل عن الإمام أحمد يحتمله ويحتمل  
الاشتراك<sup>٣</sup>.

وتوجيه هذا القول: أن القول بالتواطؤ أولى من القول بالاشتراك  
والمجاز: لأنهما خلاف الأصل.

---

الشافعي، من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان بفلسطين، ولد  
وتوفي بالقاهرة، وكان مولده سنة ٧٧٣ هـ ووفاته سنة ٨٥٢، ولي قضاء  
مصر مرات ثم اعتزل، صنف في الحديث وعلومه مصنفات عظيمة مما  
يدل على إمامته وجلالته في هذا الفن، ومن أعظم مصنفاة: فتح  
الباري، وتقريب التهذيب، والإصابة، وتهذيب التهذيب وغيرها. انظر  
في ترجمته: الضوء اللامع ٩ ١ ٢٨١-٢٨٣، والبدر الطالع للشوكاني  
٢٥٩ ١ ٢، والأعلام ١٧٨ ١ ١.

<sup>١</sup> / فتح الباري (١٠٣/٩).

<sup>٢</sup> / انظر: فتح القدير لابن الهمام (١٨٥/٣-١٨٧)، والمبدع (٤/٧)، وكشاف القناع (٦/٥).

<sup>٣</sup> / الإنصاف (٥/٨)، المبدع (٤/٧)، شرح منتهى الإرادات (٢/٣)، الإفصاح لابن هبيرة  
(١١٤/٢).

هذه أهم الأقوال في حقيقة النكاح لغة وشرعاً، ولا يخفى أن مناقشة كل قول منها وترجيح ما يقوى رجحانه منها بحث يطول بيانه. ولكن يمكن القول أن ورود النكاح في الشرع - هو في جانب عقد التزويج أكثر وأشهر، وهذا وإن لم ينف حقيقة استعماله في الوطاء - ، فهو أقوى أدلة حقائق معاني الألفاظ والله أعلم.

وثمره هذا الخلاف في التعريف تظهر حين يرد النكاح في الشرع مطلقاً عن القرينة كقوله تعالى: {وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ} <sup>١</sup>، فمن جعل النكاح حقيقة شرعية في التزويج لم يثبت التحريم بوطء الزنى، ومن جعله حقيقة في الوطاء - حلالاً أم حراماً - أثبت به التحريم <sup>٢</sup>.

النكاح في اصطلاح الفقهاء.

أمّا معنى النكاح في اصطلاح الفقهاء - أي في عرفهم عند الإطلاق - فهو عقد التزويج اتفاقاً وإن اختلفوا في تعريفه تبعاً لحقيقة العقود عليه.

---

<sup>١</sup> / سورة النساء - آية رقم: ٢٢.

<sup>٢</sup> / المغني (٣٣٣/٧).

خلاصة القول في معنى النكاح: أنه في عرف الفقهاء لا  
ينصرف - عند الإطلاق - إلا إلى التزويج. وأما حقيقته في اللغة  
والشرع فقد اختلف فيها. أهو حقيقة في الوطاء مجاز في التزويج؟ أم  
عكس هذا؟ أم حقيقة في كلٍّ منهما بحسب الاشتراك؟ أو التواطؤ؟<sup>1</sup>

ثانياً: تعريف الطلاق:

تعريف الطلاق لغة :

---

<sup>1</sup> / انظر تعريف النكاح في الشرع والاصطلاح وحقيقة المعقود عليه واللفظ المنعقد به في المراجع  
التالية:

فتح القدير (١٨٦/٣)، تبين الحقائق (٩٥/٢) البحر الرائق (٨٣/٣). مغنى المحتاج (١٢٣/٣)،  
تحفة المحتاج (١٨٣/٧) نهاية المحتاج (١٧٦/٦)، شرح حدود ابن عرفة (٢٣٥/١). كشف القناع  
(٦/٥)، شرح منتهى الإرادات (٢/٣)، الإنصاف (٦/٨). وكتاب الولاية في النكاح (بتصرف) :  
عوض بن رجاء بن فريج العوفي الناشر : عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة،  
المملكة العربية السعودية الطبعة : الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م



الطلاق : مصدر طلقت المرأة وطلقت تطلق طلاقا فهي طالق .

ويدل على الترك والتخلية ، يقال طلق البلاد أي تركها ، وأطلق الأسير أي خلاه . ويستعمل في معان أخرى فيطلق على الصفو الطيب الحلال ، فيقال : هو لك طلق أي حلال ، ويطلق على البعد ، يقال : طلق فلان إذا تباعد ، ويطلق على الخروج ، يقال : أنت طلق من هذا الأمر أي خارج منه <sup>١</sup> .

وهذه المعاني المذكورة إذا أمعنا النظر فيها وجدنا بينها وبين مقصود الطلاق ترابطا واضحا ، فالمطلق تارك لزوجته وهو أيضا قد أحلها لغيره ، وقد باعدها بفراقه لها ، وقد خرج أيضا عن العقد الذي كان يربطهما ، فالطلاق قد اجتمعت فيه هذه المعاني جميعا <sup>٢</sup> .

أما تعريف الطلاق في الشرع فمعناه متفق عليه بين الفقهاء على اختلاف مذاهبهم ، وإن تفاوتت ألفاظهم ، غير أن بعضهم يضيف بعض القيود الخاصة باللفظ .

---

<sup>١</sup> / اللسان ( ٢٦٩٦١٤ ) ومعجم مقاييس اللغة ( ٤٢٠١٣ ) وما بعدها . مادة ( طلق ) .

<sup>٢</sup> / قال الحافظ ابن حجر في الفتح ( ٢٥٨١٩ ) عن الطلاق في الشرع : ( وهو موافق لبعض مدلوله اللغوي )

جاء في فتح القدير : (وفي الشرع - يعني معناه في الشرع - : رفع قيد النكاح بلفظ مخصوص).<sup>١</sup> .

وعرفه المالكية : بأنه صفة حكمية ترفع حلية متعة الزوج بزوجته موجبا تكررها مرتين للحر ومرة لذي رق<sup>٢</sup> .

وعرفه الشافعية والحنابلة : بأنه حل قيد النكاح<sup>٣</sup> .

بناء على ما تقدم يتبين لنا أن معناه في الشرع ينصرف إلى حل القيد المعنوي ، وهو في المرأة .

---

<sup>١</sup> / فتح القدير ٣ / ٢٠ .

<sup>٢</sup> / مواهب الجليل شرح مختصر الدليل ٤ / ١٨١ .

<sup>٣</sup> / انظر مغني المحتاج ٣ / ٢٧٩ والمغني لابن قدامة ١٧ / ٦٦ .

المطلب الثاني: أهمية النكاح والطلاق في الفقه الإسلامي

إن الشريعة الإسلامية تدور أحكامها حول حماية خمسة أمور، هي أمهات لكل الأحكام الفرعية، ويسمونها بالضروريات الخمس، وهي: حفظ الدين، حفظ النفس، حفظ العقل، حفظ العرض، حفظ المال.

جاء الاسلام للمحافظة على الأعراس و حفظ النسل وسد باب الفساد الموصل إليها ، ذلك بأنها من الضروريات الخمس التي جاءت الشريعة الاسلامية لحمايتها والمحافظة عليها ، فسان العرض وحمى بتحديد آجال ومدد للنكاح والطلاق.

البحث في فقه النكاح والطلاق ، بحث في فقه الأسرة كما اراد الله لها ان تكون مثالا للقيم المتوازنة ، واللبنة الأولى في المجتمع ، ولا ريب أن الزواج أساس الأسرة ودعامتها ، والقاعدة التي يقوم المجتمع السليم عليها ، وأن الشريعة الإسلامية قد عنيت بأمره ، أكثر من عناية الشرائع السابقة به .

بناء على ما سبق ليس ثم أحد إلا وهو محتاج إلى فقه النكاح والطلاق، مفتقر إلى العلم به ، في وقت تعالت فيه صيحات التغريبيين ، ودعاة التحلل والفجور ، للمروق من ضوابط الشريعة ، وأحكامها ، ليعيشوا في الأسرة المسلمة الفساد ، محاولين أن يمرروا مؤامرتهم ،

هذه ببهرج من القول وزيف من الكلام ، وصدق الله القائل : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۚ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ) <sup>١</sup>

### المبحث الثالث

#### المدة التي تحرم فيها الخطبة على الخطبة

نهى الشارع الحكيم أن يخطب الرجل على خطبة أخيه

؛ لما في ذلك من توريث العداوات ، وإثارة الإحن ، وتأجيج

الأحقاد بين الناس والدليل على ذلك ما يلي :

- ١- وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : « نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يخطب الرجل على خطبة أخيه ، حتى يترك الخاطب قبله ، أو يأذن له » <sup>٢</sup>
- ٢- وعنه أيضا ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه ، ولا يبيع على بيع أخيه إلا بإذنه » <sup>١</sup>

---

<sup>١</sup> - (البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٥)

<sup>٢</sup> - صحيح البخاري رواه البخاري في (الحج) باب مهل أهل الشام برقم (١٥٢٦) ، ومسلم في (الحج) باب مواقيت الحج والعمرة برقم (١١٨١) .

٣ - وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « لا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك »<sup>٢</sup>

جاء في بداية المجتهد: (وأما الوقت عند الأكثر فهو إذا ركن بعضهم إلى بعض لا في أول الخطبة بدليل حديث فاطمة بنت قيس) ولم يعن بذلك إذا خطب الرجل المرأة ، فلم يوافقها أمره ولم تركن إليه أن لا يخطبها أحد.

وقد استدل بعض الفقهاء على أن تحريم خطبة الرجل على خطبة أخيه مشروط بمدة حصول التراضي مع الأول وتسمية المهر ، « بحديث فاطمة بنت قيس ، حيث قالت : فلما حلت - من العدة - ذكرت له - لرسول الله - أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أما أبو جهم

---

١ - صحيح البخاري رواه الإمام أحمد في (مسند المدنيين) حديث عروة بن مضرس برقم (١٥٧٧٥)

٢ - صحيح البخاري رواه الإمام أحمد في (مسند بني هاشم) بداية مسند عبد الله بن عباس برقم (٢٠٨٣)

٣ - بداية المجتهد - الإمام ابن رشد الحفيد، (٢ / ٣) دار ابن حزم . بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

فلا يضع عصاه عن عاتقه ، وأما معاوية صلوك لا مال له ، انكحي أسامة بن زيد ، فكرهته ، ثم قال : انكحي أسامة ، فنكحته<sup>١</sup> .  
وجه الدلالة : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم ينكر خطبة بعضهم على بعض ، بل خطبها لأسامة .

أما إذا خطب الأول وأجيب طلبه ، فقد أجمع الفقهاء على تحريم الخطبة على خطبته في هذه المدة ، فإذا خطب الثاني في هذه المدة ولم يدخل وجب فسخ الخطبة ، فإن دخل بها صح زواجه ، وكان آثماً<sup>٢</sup> .

## المبحث الرابع

### الآجال والمدد في صيغة العقد (النكاح المؤقت بمدة)

المطلب الأول: تعريف نكاح المتعة وحكمه :

أولاً: تعريف نكاح المتعة :

المتعة لغة اسم مصدر متّع وتدور مادته على معنى الانتفاع

والالتذاد

---

<sup>١</sup> - شرح النووي على مسلم - ( ١٠ / ٩٨ ) الإمام للنووي، دار إحياء التراث العربي . بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ .

<sup>٢</sup> - روضة الطالبين وعمدة المفتين - الإمام النووي، ( ٧ / ٣١ ) ، المكتب الإسلامي . بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ .

تعريف نكاح المتعة لغة وشرعا وحكمه :

وردت كلمة " المتعة " ومشتقاتها في القرآن ٧١ مرة ، في سور مختلفة<sup>١</sup> ، الاستمتاع في اللغة الانتفاع ، وكل ما انتفع به فهو متاع ، يقال : استمتع الرجل بولده ، ويقال فيمن مات في زمان شبابه : لم يتمتع بشبابه ، وقال تعالى في { أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها }<sup>٢</sup> يعني تعجلتم بها. وفي الحديث الشريف قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : " الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة<sup>٣</sup> .

وأما شرعا فإن لفظ المتعة يطلق على ثلاثة أشياء : ١- متعة

الحج. ٢- متعة الطلاق. ٣- متعة النساء. وما يهمننا هو " متعة النساء " أو " نكاح المتعة "

فتعريف المتعة اصطلاحاً : وهو أن يقول لامرأة خالية من الموانع

: أتمتع بك مدة كذا.<sup>٤</sup>

---

<sup>١</sup> / انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للمرحوم فؤاد عبد الباقي " باب الميم " ص ٨٣٣-٨٣٤

٨٣٤

<sup>٢</sup> / سورة الأحقاف / ٢٠

<sup>٣</sup> / صحيح مسلم ( ٤ / ١٧٨ ) باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة.

<sup>٤</sup> / تحريم المتعة في الكتاب والسنة - ( ١ / ٤ )

تعريف آخر: أن يقول الرجل لامرأة : متعيني نفسك بكذا من الدراهم  
مدة كذا ، فتقول له : متعتك نفسي ، أو يقول لها الرجل : اتمتع بك  
أي لا بد في هذا العقد من لفظ التمتع<sup>٢</sup>

### ثانياً: حكم نكاح المتعة :

اتفق جميع الفقهاء على أن الإيجاب والقبول ركن من أركان  
عقد الزواج، لا يتم هذا العقد إلا بهما<sup>٣</sup>.

يجب أن تكون صيغة الإيجاب والقبول مؤبدة غير مؤقتة: فإن  
أقَّت الزواج بمدة بطل ؛ لأن الأصل في الزواج الاستمرار والتأبيد وإقامة  
أسرة مستقرة ما لم يطرأ عليه ما ينهيها.

ومن الأنكحة المحرمة التي لها علاقة ببحث الآجال والمدد ( نكاح  
المتعة) لأنه يكون فيه شرط مدة معلومة كشهر أو شهرين أو سنة أو  
سنتين ونحو ذلك ، فإذا انقضت المدة المذكورة انفسخ النكاح .

---

١ / فتح القدير ٣ / ١٤٩

/ الفقه الإسلامي وأدلته - (٩ / ١١٠)، مجلة البحوث الإسلامية - (٢٥ / ٨٩)<sup>٢</sup>

- بدائع الصنائع: الإمام علاء الدين الكاساني، ٢، ٢٢٩، دار الكتاب العربي . بيروت، ط<sup>٣</sup>

٢، ١٩٨٢م. السمر قندي، تحفة الفقهاء، ج١، ١١٨، الكشناوي، أسهل المدارك، ج٢، ص٦٩،

الدردير، الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب مالك، ج٢، ٣٣٤ - ٣٣٥، الشربيني، مغني

المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، ج١٣٩، ٣، البهوتي، كشف القناع، ج٣٧، ٣،



أما حكمه فقد اتفقت المذاهب الأربعة و جماهير الصحابة على أن  
زواج المتعة ونحوه حرام باطل. ويقول جماهير الأئمة الأربعة يقول  
الشيعة الزيدية ، ويؤكدون أن ابن عباس رجع عن تحليله (٣).

وقالت الشيعة الإمامية : يجوز زواج المتعة ، بشرط ذكر المهر،  
وتحديد الأجل أي المدة، وينعقد بأحد الألفاظ الثلاثة: وهي زوجتك،  
وأنكحتك، ومتعتك. ولا يشترط الشهود ولا الولي لهذا العقد.<sup>١</sup>  
وأحكامه هي:

١ - الإخلال بذكر المهر مع ذكر الأجل يبطل العقد، وذكر المهر  
من دون الأجل يقلبه دائماً.

٢ - لا حكم للشروط قبل العقد، ويلزم لو ذكرت فيه.

٣ - يجوز اشتراط إتيانها ليلاً أو نهاراً وألا يطأها في الفرج، والعزل  
من دون إذنها، ويلحق الولد بالأب وإن عزل، لكن لو نفاه لم يحتج إلى  
اللعان.

٤ - لا يقع بالمتعة طلاق بإجماع الشيعة، ولا لعان على الأظهر، ويقع  
الظهار على تردد.

---

- المختصر النافع في فقه الإمامية: ص ٢٠٥-٢٠٧، الروضة البهية: ٢/١٠٣ وما بعدها.<sup>١</sup>

٥ - لا يثبت بالمتعة ميراث بين الزوجين، وأما الولد فإنه يرثهما ويرثانه من غير خلا

### المطلب الثاني: أدلة المجوزيين و المانعين :

أدلة الإمامية: استدل الإمامية على مشروعية المتعة بما يلي:

١ - يقول الله تعالى: {فما استمتعتم به منهن، فاتوهن أجورهن فريضة}¹

وجه الدلالة: عبر بالاستمتاع دون الزواج، وبالأجور دون المهور، مما يدل على جواز المتعة، فالاستمتاع والتمتع بمعنى واحد، وإيتاء الأجر بعد الاستمتاع يكون في عقد الإجارة، والمتعة هو عقد الإجارة على منفعة البضع .

٢ - ثبت في السنة جواز المتعة في بعض الغزوات منها عام أوطاس، وفي عمرة القضاء، وفي خيبر، و عام الفتح، وفي تبوك.²

٣ - وكان يقول بجواز المتعة ابن عباس وجماعة من السلف، منهم بعض الصحابة (أسماء بنت أبي بكر، وجابر وابن مسعود ومعاوية

---

سورة [النساء: ٢٤] ¹

٢ - نيل الأوطار: ١٣٦/٦-١٣٧.

وعمر بن حريث، وأبو سعيد وسلمة ابنا أمية بن خلف) ومنهم بعض التابعين (طاوس وعطاء، وسعيد بن جبير، وسائر فقهاء مكة ومنهم ابن جريج).

وأجيب عن هذه الأدلة بما يأتي :

١ - إن المراد بالاستمتاع في آية {فما استمتعتم به منهن ...} <sup>١</sup>: النكاح؛ لأنه هو المذكور في أول الآية وآخرها، حيث بدئت بقول تعالى: {ولا تتكحوا مانكح آباؤكم} <sup>٢</sup> وختمت بقوله سبحانه: {ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات} <sup>٣</sup> فدل على أن المراد بالاستمتاع هنا ما كان عن طريق النكاح، وليس المراد به المتعة المحرمة شرعاً.

وأما التعبير بالأجر: فإن المهر في النكاح يسمى في اللغة أجراً، لقوله تعالى: {فانكحوهن بإذن أهلن، وآتوهن أجورهن

---

١ - سورة [النساء: ٢٤]

٢ - سورة [النساء: ٢٢]

٣ - سورة [النساء: ٢٤]

بالمعروف} <sup>١</sup> أي مهورهن، وقوله سبحانه: {يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن} <sup>٢</sup> أي مهورهن.

٢- عن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر <sup>٣</sup>.

وأما ابن عباس: فكان يجيز المتعة للمضطر فقط، روى عنه سعيد بن جبير أنه قال: سبحان الله، ما بهذا أفتيت، وإنما هي كالميتة لا تحل إلا للمضطر. وأما الشيعة فقد توسعوا فيها وجعلوا الحكم عاماً للمضطر وغيره، وللمقيم والمسافر.

ومع ذلك فقد أنكر عليه الصحابة، مما يجعل رأيه شاذاً تفرد به، فقد أنكر عليه علي رضي الله عنه قائلاً له: إنك امرؤ تائه <sup>٤</sup>؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن لحوم الحمر الإنسية، وأنكر عليه عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، ثم نقل المحدثون عن ابن عباس أنه رجع عن قوله. والقول برجوعه هو

---

<sup>١</sup> - سورة [النساء]: ٢٥

<sup>٢</sup> - سورة الأحزاب: ٥٠

<sup>٣</sup> - رواه أحمد والشيخان (راجع نيل الأوطار: ٦/١٣٤، نصب الرأية: ٣/١٧٧، في كل هذه الأحاديث).

<sup>٤</sup> - أي حائر حائد عن الطريق المستقيم.

الأصح لدى كثير من العلماء، ويؤكدده إجماع الصحابة على  
التحريم المؤبد<sup>١</sup>.

وروى أبو عوانة عن ابن جريج أنه قال في البصرة: اشهدوا  
أنني قد رجعت عن المتعة، بعد أن حدثهم فيها ثمانية عشرة حديثاً  
أنه لا بأس بها<sup>٢</sup>.

كل هذا يدل على نسخ إباحة المتعة، ولعل ابن عباس ومن وافقه  
من الصحابة والتابعين لم يبلغه الدليل الناسخ. فإذا ثبت النسخ  
وجب المصير إليه، أو يقال: إن إباحة المتعة كانت في مرتبة العفو  
التي لم يتعلق بها الحكم كالخمر قبل تحريمها، ثم ورد النص  
القاطع بالتحريم.

**أدلة الجمهور :**

استدل الجمهور على تحريم نكاح المتعة بالقرآن والسنة

والإجماع والمعقول:

---

- نصب الرأية: الإيham الزيلعي، ٣/١٧٩. دار الحديث - مصر، ١٣٥٧هـ، تحقيق: محمد يوسف<sup>١</sup>  
البنوي.

- نيل الأوطار: ٦/١٣٦. الفقه الإسلامي وأدلته - وهبة الزحيلي (٩ / ٦٢) - دار الفكر -  
بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ .

١ - أما القرآن: فقولہ تعالیٰ: {والذین هم لفروجهم حافظون، إلا على أزواجهم، أو ما ملکت أیمانهم، فإنهم غیر ملومین، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون}١

### وجه الدلالة:

هذه الآیة حرمت الاستمتاع بالنساء إلا من طریقین: الزواج وملك الیمین، ولیست المتعة زواجاً صحیحاً، ولا ملك یمین، فتكون محرمة، ودلیل أنها لیست زواجاً أنها ترتفع من غیر طلاق، ولا نفقة فیها، ولا یتثبت بها التوارث.

٢ - وأما السنة: فالأحادیث الكثيرة السابقة المتفق علیها التي ذكرت عن علي وسبرة الجهني وسلمة بن الأكوع وغيرهم رضي الله عنهم، والمتضمنة النهي الصريح عن نكاح المتعة عام خبير، وبعد فتح مكة بخمسة عشر يوماً، وفي حجة الوداع.

٣ - وأما الإجماع: فقد أجمعت الأمة إلا الإمامية على الامتناع عن زواج المتعة، ولو كان جائزاً لأفتوا به. قال ابن المنذر<sup>٢</sup>: جاء عن

١ - سورة [المؤمنون]: ٥

٢ / هو الامام ابو بكر محمد بن ابراهيم بن المنذر النيسابوري قال عنه الحافظ السيوطي (كان على نهاية من معرفة الحديث ، والاختلاف وكان مجتهدا لا يقلد احدا ) توفي رحمه الله بمكة سنة ٤٨٠ وله مصنفات منها الاشراف في اختلاف العلماء والاجماع

الأوائل الرخصة فيها، أي في المتعة، ولا أعلم اليوم أحداً يجيزها،  
إلا بعض الرافضة، ولا معنى لقول يخالف كتاب الله وسنة رسوله.

٤ - أما المعقول: فإن الزواج إنما شرع مؤبداً لأغراض ومقاصد  
اجتماعية، مثل سكن النفس وإنجاب الأولاد وتكوين الأسرة،  
وليس في المتعة إلا قضاء الشهوة بنحو مؤقت، فهو كالزنا تماماً،  
فلا معنى لتحريمه مع إباحة المتعة.

### الراجع:

وبهذا يتبين رجحان أدلة الجمهور والقول بتحريم المتعة وبطلان  
زواجها وبطلان الزواج المؤقت، وهذا ما يتقبله روح الشريعة  
وسماحتها، ولا يمكن لأي إنسان متجرد محايد إلا إنكار المتعة.

## المبحث الخامس

### الآجال والمدد في تزويج الصغيرة

من أهم المباحث الفقهية ما يتعلق بـ ( ولاية تزويج الصغيرة ) فقد جاءت النصوص الشرعية بإعطاء بعض الأولياء ممن تتوافر فيهم الشفقة على الصغيرة حق تزويجها بشروط وضوابط معينة ، حيث إن في تزويجها حال صغرها مصالح كثيرة أهمها : تقييد الأكفاء خوفاً من الفوات واغتناماً للصالح المنتظر في المال وصلاح المعيشة ، ورعاية حقوق الصغيرة ومصالحها ، وغير ذلك.<sup>١</sup>

أجمع أهل العلم على أن إنكاح الأب ابنته البكر الصغيرة جائز إذا زوجها من كفاء<sup>٢</sup> .

---

<sup>١</sup> - ينظر المبسوط للإمام للسرخسي ، ٤ / ٢١٢ / ٢١٣ دار المعرفة . بيروت ، ١٤٠٦ هـ .  
، المستصفي ١ / ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، روضة الناظر ١ / ٤١٣ ، نزهة الخاطر  
٤١٧ / ١ .

<sup>٢</sup> - حكى إجماع العلماء على ذلك الإمام أحمد ( انظر مسائل أحمد رواية ابنه صالح ( ١٢٩ / ٣ ) ،  
، والمروزي في اختلاف العلماء ص ١٢٥ ، وابن المنذر في الإجماع ص ٩١ ، وابن عبد البر في  
التمهيد ١٩ / ٩٨ ، والبيهقي في شرح السنة ٣٧ / ٩ ، والموفق ابن قدامة في الكافي ٣ / ٢٦ ،  
والباجي في المنتقى ٣ / ٢٧٢ )



وهذا الإجماع إنما هو في حق من لم تبلغ تسع سنين ، أما من بلغت تسع سنين فقد ذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا يجوز لأبيها أن يزوجه بغير إذن ، وهو رواية عن الإمام أحمد.<sup>١</sup>

ولم يخالف في ذلك إلا ابن شبرمة<sup>٢</sup> ، وعثمان البتي<sup>٣</sup> والأصم<sup>٤</sup>.

فقد نقل عن ابن شبرمة أنه قال بعدم صحة تزويج الأب ابنته التي لا يوطأ مثلها ، ونقل عنه وعن عثمان البتي وأبي بكر الأصم المعتزلي أنهم قالوا : لا يجوز للأب إنكاح ابنته الصغيرة حتى تبلغ وتأذن<sup>١</sup>.

---

<sup>١</sup> - ينظر مسائل أحمد رواية ابنه عبد الله ص ٣٢٦ ، الإفصاح ١٢ / ١١٢ ، المغني ١٦ / ٤٩٠ .

<sup>٢</sup> / هو عبد الله بن شبرمة بن طفيل الضبي ، أبو شبرمة ، الكوفي ، الفقيه ، وكان ثقة في الحديث ، ولم يكن من الكثيرين منه ، له نحو من ستين أو سبعين حديثاً ، وهو من صغار التابعين ، توفي سنة ١٤٤ هـ . انظر ترجمته في التاريخ الصغير للبخاري ١٢ / ٧٢ ، ٧٤ ، سير أعلام النبلاء ١٦ / ٣٤٧ - ٣٤٩ ، الخلاصة ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، طبقات خليفة ص ١٦٧ .

<sup>٣</sup> / هو عثمان بن مسلم - وقيل : ابن أسلم ، وقيل : ابن سليمان - البتي ، الكوفي ثم البصري ، الفقيه ، كان قليل الحديث ، قال في التقريب : " صدوق ، عابوا عليه الإفتاء بالرأي " ، وهو من صغار التابعين ، وكانت وفاته سنة ١٤٣ هـ . انظر ترجمته في التاريخ لابن معين ١٢ / ٣٩٥ ، تهذيب الكمال لوحة ٩٢٠ تاريخ الإسلام ١٥ / ٤٨٥ الكاشف ١٢ / ٢٢٤ التقريب ١٤ / ١٤٢ .

<sup>٤</sup> / هو أبو بكر الأصم شيخ المعتزلة ، وكان فيه ميل عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فهو معتزلي ، ناصبي ، وكان يكون بالعراق ، له مؤلفات كثيرة ، منها كتاب " خلق القرآن " توفي سنة ٢٠١ هـ . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٩ / ٤٠٢ .

خلاف هؤلاء في هذه المسألة خلاف شاذ ، لا يعتد به ؛ لأنه لا دليل عليه ، ولمخالفته الكتاب والسنة وما روي عن أكابر الصحابة ولمخالفته النظر الصحيح .

أدلة القائلين بالجواز:

١- قوله تعالى : { وَاللَّائِي يَيْسُنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ } فجعل للتي لم تحض - وهي الصغيرة التي لم تبلغ بعد - عدة ثلاثة أشهر.

٢- حديث عائشة رضي الله عنها « أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها وهي بنت ست سنين ، وبنى بها وهي بنت تسع سنين »<sup>٢</sup> .  
ومعلوم أن عائشة رضي الله عنها في هذه السن ليست ممن يعتبر إذنها<sup>٣</sup> .

---

<sup>١</sup> - المطلى ٤٥٩١٩ ، المبسوط ٢١٢١٤ ، أحكام القرآن للجصاص ٣٤٦١٢ ، الفتح ١٩٠١٩ ، بداية المجتهد ٣٦٧١٦ ، بدائع الصنائع ٢٤٠١٢ .

<sup>٢</sup> - صحيح البخاري . حسب ترقيم فتح الباري - (٥ / ٧١)

<sup>٣</sup> - المغني ٤٨٧١٦ ، شرح الزركشي ٧٩١٥ .

اعترض ابن شبرمة على الاستدلال بحديث عائشة السابق بأن ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم<sup>١</sup>.

يجاب عن اعتراضه بأن الأصل في أقواله وأفعاله صلى الله عليه وسلم أنها تشريع لأُمَّته ، إلا إذا جاء دليل يدل على أن هذا الأمر خاص به صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى : { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } ، ولا دليل على أن هذا الحكم خاص به صلى الله عليه وسلم ، وعلى هذا فيكون عاما في حقه صلى الله عليه وسلم وفي حق غيره<sup>٢</sup> ، ولو كان خاصا به صلى الله عليه وسلم ما فعله بعض الصحابة رضي الله عنهم.

٣- ما روي عن أكابر الصحابة رضي الله عنهم فإن الزبير بن العوام رضي الله عنه زوج ابنته قدامة بن مظعون رضي الله عنه حين نفست بها أمها .

وهذه القصة في مظنة الشهرة بين الصحابة ، ولم ينكرها أحد منهم فتكون حجة

---

<sup>١</sup> - المطى ٤٥٩ / ١٩ ، فتح الباري ١٩٠ / ١٩ .

<sup>٢</sup> - المطى ٤٦٠ / ١٩ .

وروي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه زوج ابنته أم كلثوم وهي صغيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو خليفة

وروي أيضا تزويج الصغيرة أو القول بصحة تزويج الأب للصغيرة عن بعض الصحابة رضي الله عنهم .

٤- النظر الصحيح فإنه من المعلوم أن الكفاء عزيز وجوده ، وقد يكون هناك حاجة ماسة للصغيرة تقتضي تزويجها في وقت من الأوقات ، كأن تكون في زمان أو مكان كثرت فيه الفتن ، أو يكون والدها فقيرا معدما أو عاجزا عن الكسب أو عن رعاية أسرته لأي سبب من الأسباب ، فتحتاح الصغيرة إلى من يحفظها ويصونها وينفق عليها<sup>١</sup>.

هذا ، ومن أجل ضمان تزويج الأب ابنته الصغيرة ممن في زواجها منه مصلحة لها فقد ذكر بعض العلماء لصحة تزويجه إياها شروطا أهمها :

١ - ألا يكون بينها وبين والدها عداوة ظاهرة .

٢ - ألا يكون بينها وبين الزوج عداوة .

---

- المبسوط ٤ / ٢١٢ ، ٢١٣ ، المستصفى ١١ / ٢٨٩ ، ٢٩٠ ..<sup>١</sup>

٣ - ألا يزوجها بمن في زواجها منه ضرر بين عليها كهرم  
ومجبوب ونحو ذلك .

٤ - أن يزوجها بكفاء غير معسر بصداقها<sup>١</sup> .

وإذا زوج الأب ابنته البكر الصغيرة من كفاء فقد ذهب  
جمهور أهل العلم إلى أنه لا خيار لها إذا بلغت ، وممن قال بذلك  
مالك والشافعي وأحمد وعامة أهل الحجاز وأبو حنيفة ، وهو  
مذهب الحنفية؛ وذلك لأن الأب كامل الشفقة ، فيلزم العقد  
بمباشرته له<sup>٢</sup> .

وذهب طاوس بن كيسان اليماني رحمه الله إلى أن للصغيرة  
الخيار عند بلوغها فيما إذا زوجها الأب ، واستدل لهذا القول قياسا  
على تزويج الأخ ، فكما أن للصغيرة الخيار عند بلوغها فيما إذا  
زوجها الأخ فكذلك لها الخيار إذا بلغت عند تزويج الأب<sup>٣</sup> .

---

<sup>١</sup> - (المبدع ٢٣١٧ ، مغني المحتاج ١٤٩١٣ ، نهاية المحتاج ٣١٣ / ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،

الإقناع للشربيني ١٢٨١٢

<sup>٢</sup> - مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبد الله ص ٣٢٥ ، التمهيد ١٩١ / ٩٨ ، شرح صحيح مسلم ٢٠٦١٩ .

الحجة على أهل المدينة ١٤٠١٤ ، ١٤١ .

<sup>٣</sup> - المبسوط للسرخسي ٢١٣١٢

ويمكن أن يجاب عن ذلك بأنه لو كان الخيار واجبا  
للصغيرة بعد بلوغها عند تزويج الأب لخير رسول الله صلى الله عليه  
وسلم عائشة رضي الله عنها لما بلغت كما خير نساءه لما نزلت آية  
التخيير ، ولأن الأصل في عقد النكاح عدم الخيار<sup>١</sup> ، فإثباته فيه  
يحتاج إلى دليل مستقل ، أما قياس تزويج الأب على تزويج الأخ فهو  
قياس مع الفارق ، لأن الأب وافر الشفقة ، فهو ينظر لابنته  
الصغيرة فوق ما ينظر لنفسه ، والأب أيضا تام الولاية ، فولايته  
تشمل النفس والمال ، بخلاف الأخ<sup>٢</sup> .

---

<sup>١</sup> - مسائل أحمد رواية عبد الله ص ٣٢٥ ، المبسوط ٢١٣١٤ ، أحكام القرآن للجصاص ١٢  
٣٤٦ الأم ١٥١٧٠ .

<sup>٢</sup> - المبسوط للسرخسي ٢١٣١٢

## المبحث السادس

### سن البلوغ

لما كان البحث عن تزويج الصغيرة ، وبه تتعلق عدة الأشهر ( وَاللَّائِي يَيْسُنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضُنْ ) ، حري بنا أن نبحث سن البلوغ ، لأنها مدة يتعلق بها النكاح.

لقد جعل الشارع البلوغ أمانة على تكامل العقل ؛ لأن الاطلاع على تكامل العقل متعذر ، فأقيم البلوغ مقامه .

البلوغ يحصل بإحدى ثلاث أسباب وهي :-

**أحدها :** الاحتلام وهو خروج المنى من ذكر الرجل أو قبل الأنثى في يقظ أو منام وهو أمر لا خلاف فيه والحمد لله .

**الثاني :** إنبات الشعر الخشن حول القبل سواءً للذكر أو للأنثى وهو علامة على البلوغ بدليل عطية القرظي قال كنت في سبي قريظة فكانوا ينظرون فمن أنبت الشعر قتل ومن لم ينبت لم يقتل فكنت في من لا ينبت <sup>١</sup>.

---

<sup>١</sup> - النسائي ٨ / ٤٦٧ ، أبو داود ٤ / ٥٦١ كتاب الحدود ، لابن ماجه ٢ / ٨٤٩

**الثالث :** بلوغ خمسة عشر سنة وذلك لما رواه ابن عمر رضي الله عنه قال : ( عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة ، فلم يجزني ولم يرني بلغت ، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة ، فأجازني ، ورآني بلغت )<sup>١</sup> .

قال الشافعي : رد النبي صلى الله عليه وسلم سبعة عشر من الصحابة وهم أبناء أربع عشرة سنة ، لأنه لم يرهم بلغوا ، ثم عرضوا عليه وهم أبناء خمس عشرة ، فأجازهم ، منهم .

أما أقل سن لبلوغ الأنثى ، فهو ما يعبر عنه الفقهاء بقولهم ( أقل سن تحيض فيه المرأة ) ، فيرى الأئمة الأربعة - غفر الله لهم - بأنه تسع سنين .

---

#### كتاب الحدود

<sup>١</sup> - أبو داود ٤ / ٥٦٢ ، الترمذي كتاب الجهاد ٤ / ١٨٤ ، ابن ماجه كتاب الحدود ٢ / ٨٥٠ . غزوة أحد كانت في شوال سنة ثلاث من الهجرة ، والخندق كانت في جمادى سنة خمس من الهجرة ، وقد فسر قوله رضي الله عنه وأنا ابن أربع عشرة سنة - أي طعنت فيها - بقوله وأنا ابن خمس عشرة سنة أي استكملتها . ويراجع سبل السلام ٣ / ٣٨



## الأدلة:

- ١ - استدلوا بما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما وعائشة رضي الله عنها أنها قالت : « إذا بلغت الجارية تسع سنين فهي امرأة »<sup>١</sup>
- ٢ - لأن المرجع فيه إلى الوجود والاستقراء، ولم يوجد في النساء من يحضن عادةً فيما دون هذه السن؛ ولأن ما ورد في الشرع ولا ضابط له شرعياً ولا لغوياً يتبع فيه الوجود والعرف والعادة، فعلى هذا إن حاضت قبل تمام التسع فليس بحيض وإن حاضت أيضاً بالعادة المعروفة وبصفة الدم المعروف، بل هو دم عرق ولا تثبت له أحكام الحيض<sup>(٢)</sup>.

- ٣ - في المأثور عن الشافعي - رحمه الله تعالى - أنه رأى جدة لها إحدى وعشرون سنة ويتصور هذا بأن تحيض لتسع سنين وتلد لعشر،

---

<sup>١</sup> - ذكره البيهقي في سننه ( ١ / ٣٢٠ . ط دائرة المعارف العثمانية ) معلقاً بدون إسناد عن عائشة من قولها . ذكره الترمذي ( ٣ / ٤٠٩ ط الحلبي ) ، والبيهقي في السنن الكبرى ( ١ / ٣٢٠ ط دائرة المعارف )

(<sup>٢</sup>) مغني المحتاج، للشرييني ١/١٠٨، المجموع شرح المهذب، للنووي ٢/٢٧٦، شرح فتح القدير، لابن الهمام ١/١٦٠، الشرح الكبير، للدردير ١/٢٧٦، الموسوعة الفقهية ١٨/١٧، المغني، لابن قدامة ١/٤٤٧، العدة شرح العمدة، لبهاء الدين المقدسي ١/٣٣.

وتحيض بنتها بتسع وتلد لعشر، فهذه عشرون سنة، وسنةً للحمل فهذه إحدى وعشرون سنة<sup>(١)</sup>.

## المبحث السابع

### الآجال والمدد في عدة الطلاق

ذهب الفقهاء إلى أن أنواع العدد في الطلاق.

أ - عدة القروء . ب - عدة الأشهر .<sup>٢</sup>

أولاً - العدة بالقروء .

اختلف الفقهاء في معنى القرء على قولين :

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، در الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ٤٧٦/١، وفي إسناده أحمد بن طاهر بن حرملة، قال الذهبي في ميزان الاعتدال: (قال الدارقطني: كذاب).

<sup>٢</sup> - البدائع للكاساني ٣ / ١٩١ ، فتح القدير ٤ / ٣٠٧ ، ابن عابدين ٢ / ٥٩٨ ، الدسوقي على الشرح الكبير ٢ / ٤٦٨ ، الفواكه الدواني ٢ / ٩١ ، جواهر الإكليل ١ / ٣٨٥ ، شرح منح الجليل ٢ / ٣٧١ ، مغني المحتاج ٣ / ٣٨٥ وما بعدها ، روضة الطالبين ٨ / ٣٦٦ ، المغني لابن قدامة ٧ / ٤٤٨ وما بعدها .

**القول الأول :** وهو قول كثير من الصحابة رضوان الله عليهم ، وفقهاء

المدينة ، ومالك والشافعي وأحمد في إحدى الروايتين عنه : أن المراد

بالأقراء في العدة : الأطهار<sup>١</sup> .

واستدلوا على قولهم بما يلي :

أ - قول الله تعالى : { يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن

لعدتهن } أي في عدتهن أو في الزمان الذي يصلح لعدتهن ، فاللام

بمعنى في .

ووجه الدلالة : أن الله عز وجل أمر بالطلاق في الطهر ، لا في الحيض

لحرمته بالإجماع ، فيصرف الإذن إلى زمن الطهر ، ففيه دليل على أن

القرء هو الطهر الذي يسمى عدة ، وتطلق فيه النساء .

ب - قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عمر : مره

فليراجعها ، ثم ليتركها حتى تطهر ، ثم تحيض ثم تطهر ، ثم إن شاء

أمسك بعد وإن شاء طلق قبل أن يمسه ، فتلك العدة التي أمر الله عز

وجل أن يطلق لها النساء<sup>٢</sup> .

---

<sup>١</sup> - الدسوقي ٢ / ٤٦٩ ، جواهر الإكليل ١ / ٣٨٥ ، الفواكه الدواني ٢ / ٩١ ، روضة

الطالبين ٨ / ٣٦٦ ، مغني المحتاج ٣ / ٣٨٥

<sup>٢</sup> - حديث : " مره فليراجعها . . . " أخرجه البخاري ( فتح الباري ٩ / ٣٤٥ - ٣٤٦ )

فالرسول صلى الله عليه وسلم أشار إلى الطهر وأخبر أنه العدة التي أمر الله تعالى أن تطلق لها النساء ، فصح أن القرء هو الطهر .

كما أن العدة واجبة فرضا إثر الطلاق بلا مهلة فصح أنها الطهر المتصل بالطلاق لا الحيض الذي لا يتصل بالطلاق ، ولو كان القرء هو الحيض لوجب عندهم على أصلهم فيمن طلق حائضا أن تعتد بتلك الحيضة قرءا ، ولكن لا يعتد بها .

ج - وبحديث عائشة رضي الله عنها قالت : " إنما الأقرء الأطهار .<sup>١</sup>

د - ولأن القرء مشتق من الجمع ، فيقال : قرأت كذا في كذا إذا جمعته فيه ، وإذا كان الأمر كذلك كان بالطهر أحق من الحيض ؛ لأن الطهر اجتماع الدم في الرحم ، والحيض خروجه منه ، وما وافق الاشتقاق كان اعتباره أولى من مخالفته ، ويجمع على أقرء وقرء وأقرؤ .<sup>٢</sup>

---

ومسلم ( ٢ / ١٠٩٣ ) في حديث ابن عمر ، واللفظ لمسلم .

<sup>١</sup> - سبل السلام للصنعاني ٣ / ٢٠٤ ط . إحياء التراث العربي - بيروت وحديث عائشة : " إنما الأقرء الأطهار . . . " أخرجه مالك في الموطأ ( ٢ / ٥٧٧ ) موقوفا على عائشة ، وعند الشافعي في الأم ( ٥ / ٢٠٩ ) محتجا به .

<sup>٢</sup> - مغني المحتاج للنووي ٣ / ٣٨٥ .

**القول الثاني :** المراد بالقرء : الحيض ، وهو ما ذهب إليه جماعة من السلف كالخلفاء الأربعة وابن مسعود رضي الله عنهم وطائفة كثيرة من الصحابة والتابعين وبه قال أئمة الحديث والحنفية وأحمد في رواية أخرى<sup>١</sup>.

واستدلوا على قولهم بالكتاب والسنة والمعقول .

أ - أما الكتاب فقوله تعالى : { والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء }<sup>٢</sup> فقد أمر الله تعالى بالاعتداد بثلاثة قروء ، ولو حمل القرء على الطهر لكان الاعتداد بطهرين وبعض الثالث ؛ لأن بقية الطهر الذي صادفه الطلاق محسوب من الأقرء عند القول الأول ، ولو حمل على الحيض يكون الاعتداد بثلاث حيض كوامل ؛ لأن ما بقي من الطهر غير محسوب من العدة عندهم ، فكان الحمل على ذلك أولى لموافقته لظاهر النص وهو أولى من مخالفته<sup>٣</sup>.

---

<sup>١</sup> - البدائع ٣ / ١٩٣ - ١٩٤ ، فتح القدير ٤ / ٣٠٨ ، المغني لابن قدامة مع الشرح ٩ / ٨٢ ، ٨٥ ، كشاف القناع ٥ / ٤١٧ ، إعلام الموقعين ١ / ٢٥ ، القرطبي ٣ / ١١٣ وما بعدها . نيل الأوطار للشوكاني ٧ / ٩٠ وما بعدها ، سبل السلام ٣ / ٢٠٥ .

<sup>٢</sup> - سورة البقرة / ٢٢٨ .

<sup>٣</sup> - البدائع للكاساني ٣ / ١٩٤ ، المغني لابن قدامة مع الشرح ٩ / ٨٣ - ٨٤ . دار الكتاب العربي - بيروت .

ب - وأما السنة فما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
طلاق الأمة اثنتان ، وعدتها حيضتان<sup>(١)</sup> ومعلوم أنه لا تفاوت بين  
الحررة والأمة في العدة فيما يقع به الانقضاء ، إذ الرق أثره في تنقيص  
العدة التي تكون في حق الحررة لا في تغيير أصل العدة ، فدل على أن  
أصل ما تتقضي به العدة هو الحيض<sup>(٢)</sup> .

ج - إن المعهود في لسان الشرع استعمال القرء بمعنى الحيض ، قال  
النبي صلى الله عليه وسلم : دع الصلاة أيام أقرائك<sup>٣</sup> وقال لفاطمة بنت  
أبي حبيش : انظري إذا أتى قرؤك فلا تصلي ، فإذا مر قرؤك فتطهري  
ثم صلي ما بين القرء إلى القرء<sup>٤</sup> فهذا دليل على أنه لم يعهد في لسان  
الشرع استعماله بمعنى الطهر في موضع ، فوجب أن يحمل كلامه  
على المعهود في لسانه<sup>٥</sup> .

---

<sup>١</sup> - أخرجه ابن ماجه ( ١ / ٦٧٢ ) من حديث ابن عمر ، وذكر ابن حجر في التلخيص ( ٣ / ٢١٣ ) أن في إسناده راويين ضعيفين ، ثم نقل عن الدارقطني والبيهقي أنهما صحاه موقوفا على ابن عمر .

<sup>٢</sup> - البدائع للكاساني ٣ / ١٩٤ .

<sup>٣</sup> - أخرجه الترمذي ( ١ / ٢٢٠ ) وأبو داود ( ١ / ٢٠٩ ) وضعفه أبو داود

<sup>٤</sup> - " أخرجه أبو داود ( ١ / ١٩١ ) . وأصله في البخاري ( فتح الباري ١ / ٤٢٠ ) .

<sup>٥</sup> - المغني والشرح الكبير ٩ / ٨٣ - ٨٤ .

د - وأما المعقول : فهو أن هذه العدة وجبت للتعرف على براءة الرحم ،  
والعلم ببراءة

الرحم يحصل بالحيض لا بالطهر ، فكان الاعتداد بالحيض لا  
بالطهر .

### الترجيح:

لعلّ ما ذهب إليه الفريق الثاني ، من أن المراد بالقرء : الحيض ،  
يكون أرجح ، فإن الأحاديث الصحيحة تؤيده ، والغرض من العدة  
في الأظهر معرفة براءة الرحم ، وهو يعرف بالحيض لا بالطهر .  
وقد رجّح العلامة « ابن القيم » في كتابه « زاد المعاد » هذا القول  
ونصره وأيده.<sup>١</sup>

إن البحث في مدة عدة الطلاق تجعلنا نتناول أقل مدة الحيض  
وأكثره ، وأقل الطهر بين الحيضتين.

---

<sup>١</sup> - زاد المعاد في هدي خير العباد ( ٥ / ٦٠٥ ) ، روائع البيان في تفسير آيات الأحكام - ( ١ ) /  
( ١٤٣ )

## الفرع الأول: أقل مدة الحيض:

قد اختلف الفقهاء - رحمهم الله تعالى - في أقل مدة الحيض على

ثلاثة أقوال:

القول الأول: أقله يوم وليلة، وهذا هو قول الشافعية والحنابلة<sup>(١)</sup>.

القول الثاني: أقله ثلاثة أيام بلياليهن، وهو قول الحنفية<sup>(٢)</sup>.

القول الثالث: لا حد لأقله ولربما خرج دفعةً واحدةً، أو يقال

دفقةً واحدةً، فيعتد به في العبادة، فيجب عليها الغسل بالدفقة ويبطل

صومها وتقضي ذلك اليوم، وأما في العدة والاستبراء فلا يعد حيضاً إلا

إذا استمر يوماً أو بعض يوم وهذا هو قول المالكية<sup>(٣)</sup>.

دليل أصحاب القول الأول: دليل هؤلاء العرف والعادة، قالوا لأن

الشارع علق على الحيض أحكاماً ولم يبين أقله ولا أكثره فعلم أنه

رد ذلك إلى العرف والعادة كالتقبض والحرز، والعرف شاهد بذلك،

---

(١) مغني المحتاج، للشربيني ١/١٠٨، المجموع، للنووي ١/٢٧٨، المغني، لابن قدامة

١/٣٨٨، كشاف القناع، للبهوتي ١/٢٠٣.

(٢) شرح فتح القدير، لابن الهمام ١/١٦٠، رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين

١/٥٢٣.

(٣) بلغة السالك لأقرب المسالك ١/٧٨، القوانين الفقهية، لأبي القاسم بن محمد بن أحمد بن

جزى الكلبي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، ص ٣٧، الكافي،

لابن عبد البر ١/١٨٥.



والعادة لم تجر أن يوجد حيض أقل من يوم وليلة، فإذا لم توجد عادةً فليكن أقله يوماً وليلة<sup>(١)</sup>.

واستدل أصحاب القول الثاني بحديث (أقل ما يكون من الحيض للجارية البكر والشيب ثلاث وأكثر ما يكون من الحيض عشرة أيام)<sup>(٢)</sup>، فإذا رأت الدم أكثر من عشرة أيام فهي مستحاضة.

واستدل أصحاب القول الثالث وهم المالكية بدليلين، دليل من القرآن ودليل من العقل وهما:

١- ظاهر قوله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ...﴾<sup>(٣)</sup> من غير تقدير، ولأن الحيض اسم للدم الخارج من الرحم والقليل خارج من الرحم كالكثير ولهذا لم يقدر دم النفاس. أما الدليل العقلي فهو أن الله سبحانه وتعالى علق بالحيض أحكاماً متعددة في الكتاب والسنة ولم يقدر حداً لا لأقله ولا لأكثره مع عموم بلوى الأمة بذلك واحتياجهم إليه، وهذا هو القول الذي يترجح والعلم عند الله.

---

(١) المغني، لابن قدامة، دمشق، دار الفكر، الطبعة الرابعة، ٣٨٨/١-٣٨٩، الفقه الإسلامي وأدلته، د.وهبة الزحيلي ٣١٧/١.

(٢) أخرجه الدارقطني في سننه، كتاب الحيض، ثم قال: (وعبدالملك (راوي الحديث) هذا رجل مجهول)، والحديث ضعيف، انظر نصب الرأية ١/١٩١.

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٢٢).

## الفرع الثاني: أكثر مدة الحيض:

للفقهاء في أكثر مدة الحيض ثلاثة أقوال:

- ١- أكثره عشرة أيام بلياليهن، قال به أبوحنيفة<sup>(١)</sup>.
  - ٢- أكثره خمسة عشر يوماً قال به المالكية والشافعية والحنابلة في رواية عن أحمد<sup>(٢)</sup>.
  - ٣- أكثره سبعة عشر يوماً، وهو رواية عن أحمد<sup>(٣)</sup>.
- قال الإمام ابن حزم الظاهري<sup>٤</sup>. رحمه الله تعالى :- (وأجمعوا على أن الحيض لا يكون أزيد من سبعة عشر يوماً)<sup>(٥)</sup>.
- دليل أصحاب القول الأول: قد تقدم دليلهم في الحديث عن مسألة أقل الحيض التي سبق الحديث عنها آنفاً.

---

(١) بدائع الصنائع، للكاساني ١/٣٩-٤٠، شرح فتح القدير، لابن الهمام ١/١٦١، حاشية ابن عابدين ١/٥٢٣.

(٢) مغني المحتاج، للشربيني ١/١٠٩، الأم، للشافعي ١/٨٥، بداية المجتهد، لابن رشد ١/٥٠٠، كشاف القناع، للبهوتي ١/٢٠٣، الكافي، لابن عبد البر ١/١٨٥.

(٣) المغني، لابن قدامة ١/٣٨٩.

٤ / ابن حزم هو الإمام علي بن أحمد بن سعيد الأموي الأندلسي ، ينتهي نسبه الى صخر بن حرب بن امية جد بني امية ، ولد رحمه الله بقرطبة سنة ٣٨٤هجرية وكان حافظا ، عالما بعلوم الحديث ، وفقهيا وشاعرا واديبا ، اعتمد مذهب داوود بن علي الظاهري ، توفي رحمه الله في رجب سنة ٤٧٩هجرية ، وله مصنفات جليلة منها : المحلى ، الإحكام في أصول الأحكام ، الفصل في الملل والنحل ، مراتب الإجماع . انظر وفيات الاعيان لابن خلكان ٣/١٣/١٧ .

(٥) مراتب الإجماع، لابن حزم الظاهري، بيروت، دار الكتب العلمية، ص ٢٣.

دليل أصحاب القول الثاني: قد استدل أصحاب هذا القول  
بحديث (تمكث إحداكن شطر عمرها لا تصلي)<sup>(١)</sup>، وقد ضعف  
هذا الحديث الإمام النووي  
- رحمه الله تعالى - وقال: (هو حديث باطل)<sup>(٢)</sup>.

واستدل هؤلاء أيضاً بالعادة، وهو أنه لم يعهد أن امرأة يزيد  
حيضها على خمسة عشر يوماً.<sup>(٣)</sup>

الراجع: ليس لأقله ولا لأكثره حد والدليل على ذلك ما يلي:

- ١- قال تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ...﴾<sup>(٤)</sup>، فجعل سبحانه وتعالى غاية المنع الطهر ولم يجعل لغايته أياماً محدودة.
- ٢- ما ثبت في الصحيحين في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها وقد حاضت وهي محرمة بالعمرة: (افعلي ما يفعل الحاج غير أن لا تطوي بالبيت

---

(١) هذا الحديث ضعيف، انظر المجموع، للنووي ٢/٢٨٠، وقال: (لم أجده بهذا اللفظ إلا في كتاب الفقه لكن هناك لفظ قريب منه وإسناده صحيح (تمكث الليالي ما تصلي وتقطر في شهر رمضان، فهذا من نقصان دينها)، وقال ابن جرير: (لا أصل له بهذا اللفظ).

(٢) المجموع، للنووي ٢/٢٨٠.

(٣) انظر الشرح الممتع على زاد المستنقع، لابن عثيمين ١/٤٠٦.

(٤) سورة البقرة، الآية (٢٢٢).

حتى تطهري<sup>(١)</sup>، فجعل غاية المنع من الطواف الطهر ولم يجعله زمناً معيناً.

٣- إن هذه التقديرات التي ذكرها الأئمة - رحمهم الله تعالى - ليس لها دليل لا من الكتاب ولا من السنة مع أن الحاجة إليها أشد لما يتعلق بالحيض من أحكام كثيرة جداً كالصلاة والصيام والنكاح والطلاق والإرث وغير ذلك من الأحكام الشرعية.

قال الإمام الشوكاني<sup>٢</sup> - رحمه الله تعالى -: (لم يأت في تقدير أقله وأكثره ما تقوم به الحجة)<sup>(٣)</sup>، فيتبين من ذلك أنه لا تعويل على هذه الأقوال وإنما التعويل على مسمى الحيض وجوداً وعدمًا.

٤- اختلاف أقوال المحددين واضطرابها فإن ذلك يدل على أنه ليس في المسألة دليل يجب المصير إليه، وإنما هي أحكام اجتهادية معرضة للخطأ والصواب، وليس أحدها أولى بالاتباع من الآخر، والمرجع عند النزاع الكتاب والسنة<sup>(٤)</sup>.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الحيض، ١/٨١، ومسلم في كتاب الحج، ٢/٨٧٣.

٢ / الشوكاني هو: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني الفقيه الأصولي المجتهد المعروف من كبار علماء صنعاء اليمن ولد ١١٧٣ هجرية في بلدة هجرة شوكان، له مصنفات كثيرة منها: فتح القدير، والسييل الجرار، وإرشاد الفحول، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار " للمجد بن تيمية، و " فتح القدير " في التفسير توفي سنة (١٢٥٠ هـ)، له ترجمة في الأعلام للزركلي (٦ \ ٢٩٨). والبدر الطالع ٢ / ٢١٤ - ٢٢٥

(٣) الدر البهية في المسائل الفقهية، للشوكاني، الرياض، دار النشر الدولي، الطبعة الأولى، ص ٢٦.

(٤) رسالة الدماء الطبيعية للنساء، لابن عثيمين، الرياض، مؤسسة لينة، بدون تاريخ طبعة،

قال ابن رشد<sup>١</sup> : (وهذه الأقاويل كلها المختلف فيها عند الفقهاء في أقل الحيض وأكثره، وأقل الطهر لا مستند لها إلا بالتجربة والعادة، وكل إنما قال ذلك ما ظن أن التجربة أوقفته على ذلك، ولاختلاف ذلك في النساء عسر أن يعرف بالتجربة حدود هذه الأشياء في أكثر النساء)<sup>(٢)</sup>.

قال ابن تيمية<sup>٢</sup> - رحمه الله تعالى - في الفتاوى: (والأصل في كل ما يخرج من الرحم أنه حيض حتى يقوم دليل على أنه استحاضة)<sup>(٤)</sup>.

وقال أيضاً: (فما وقع من دم فهو حيض إذا لم يعلم أنه دم عرق أو جرح)<sup>(١)</sup>.

ص ٨.

<sup>١</sup> / ابن رشد: هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي ولد بقرطبة عام ٥٢٠ هـ ، ونشأ بها درس الفقه والطب والمنطق وغيرها توفي بمراكش عام ٥٩٥ هـ ، له مصنفات جليلة أهمها: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الكليات في الطب مختصر المستصفي ، انظر معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٣١٣/٨ ، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٣١/٥ .

(<sup>٢</sup>) بداية المجتهد، لابن رشد ٥١/١ .

<sup>٣</sup> / ابن تيمية: هو أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية، الإمام الحافظ العلامة ، فريد العصر بحر العلوم، تقي الدين أبو العباس الحراني ثم الدمشقي، ولد بحران في سنة ٦٦١ هـ ، برع في الحديث وفقهه، وفي علوم الإسلام، وعلم الكلام وغير ذلك، وكان من بحور العلم المعدودين ألف ما يقارب ثلاثمائة مجلد، وهو من شيوخ ابن القيم، توفي في سنة ٧٢٨ هـ رحمه الله. أنظر معجم المحدثين للذهبي: (٢٥/١) وطبقات الحفاظ للذهبي: (٥٢١/١).

(<sup>٤</sup>) مجموع فتاوى ابن تيمية، ٢٣٨/١٩ .

وغالب الحيض ستة أو سبعة أيام، لثبوت السنة به حيث قال  
النبي صلى الله عليه وسلم للمستحاضة في حديث حمنة بنت جحش:  
(تحیضی فی علم اللہ ستاً أو سبعاً)<sup>(٢)</sup>.

## المبحث الثامن

### الآجال والمدد في التطليق للعيب أو المرض والغيبة

#### المطلب الأول

#### تعريف العنين

---

(١) المقنع، لابن قدامة ١/٨٩، المجموع شرح النووي، ٢/٢٧٩، كشاف القناع، للبهوتي ١/٢٠٣.

(٢) أخرجه أبوداود في سننه، كتاب الحيض، باب إذا أقبلت الحيضة تدع الصلاة ١/١٩٩، والترمذي في سننه، ١/٢٢٣، قال أبو عيسى الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح)، وابن ماجه في كتاب الطهارة، ١/٢٥، وقد صححه ابن حجر في التلخيص الكبير، ٣/٨٥، وبلوغ المرام، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الثالثة، ص ٤٤.

العنة : مأخوذة من عن ، أي : اعترض ؛ لأن ذكره يعن إذا أراد إيلاجه ، أي : يعترض ، والعن الاعتراض ، فالعنين : العاجز عن الإيلاج<sup>١</sup> .

والعنين إصطلاحاً هو العاجز عن الوطاء في القبل خاصة ، قيل سمي عيناً للين ذكره وانعطافه مأخوذ من عنان الدابة للينه .<sup>٢</sup> )

### المطلب الثاني: مدة تأجيل العنين أو المريض

يرى جمهور الفقهاء أن المرأة إذا ادعت عنة زوجها وثبتت عنته ، يجوز لها طلب التطلاق ، للعيب أو المرض المستحكم سواء أصيب به قبل العقد ، ولم تعلم به ، أو حدث بعد العقد ، ولم ترض به ، عقلياً كان ، أو عضوياً ، لا يرجى برؤه أو يرجى بعد مضي أكثر من سنة ، ولا يمكنها المقام معه إلا بضرر .  
إذا كان العيب ، أو المرض يرجى منه البرء قبل مضي سنة ، فتعطى المحكمة للمعتل أجل سنة قبل التطلاق .  
وقال الشافعية : لا يؤجل سنة إلا إذا طلبت الزوجة . فإن سكنت

<sup>١</sup> - انظر لسان العرب ١١٣ / ٣٩٠ ، المصباح المنير مادة : " عن " .

<sup>٢</sup> - الإنصاف - ( ٨ / ١٣٨ ) ، الموسوعة الفقهية الكويتية - ( ٣٩ / ٥٢ ) ، حاشية الشلبي على تبين الحقائق ٣ / ٢١ . مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه - ( ٤ )

لم تضرب المدة ، فإن كان سكوتها لدهشة أو غفلة أو جهل ،  
فلا بأس بتبنيها<sup>١</sup> .

واستدل الجمهور بقضاء عمر رضي الله عنه ، وبأن التأجيل  
لإجلاء العذر ، وتأجيل السنة عذر كاف ، وبأن العجز قد يكون  
لعنة وقد يكون لمرض ، فضربت السنة ليتبين أنه عنة لا مرض ،  
فإذا مضت السنة ولم يصل إليها علم أنه لآفة أصلية ، فقد تكون  
علة العجز هي الرطوبة فيستطيع في فصل الحر ، والعكس<sup>٢</sup>.  
ويستعان بأهل الخبرة من الإخصائيين في معرفة العيب أو المرض  
، كما نص على ذلك قانون الاحوال الشخصية لعام ١٩٩١-<sup>٣</sup>

### المطلب الثالث

#### مدة انتظار زوجة المفقود

---

<sup>١</sup> - فتح القدير ٤ / ١٣٠ ، ١٣١ ، والبهجة ٤ / ١٦٨ ، والروضة ٧ / ١٩٨ ، ومغني

المحتاج ٣ / ٢٠٦ ، والمغني مع الشرح الكبير ٧ / ٦٠٤ .

<sup>٢</sup> - مغني المحتاج ٣ / ٢٠٦ ، المبسوط ٥ / ١٠٠ ، ١٠١ ، والعقود الدرية ١ / ٣٠ ،

الاختيار ٣ / ١٥٩ . الموسوعة الفقهية الكويتية - (٣١ / ١٨).

<sup>٣</sup> \_ انظر قانون الاحوال الشخصية لعام ١٩٩١م المادة (٦).



## أولاً: تعريف المفقود :

المفقود لغة اسم مفعول من فقد الشيء : إذا عدمه ، والفقد أن تطلب الشيء فلا تجده ، والمراد بالمفقود هنا من انقطع خبره وجهل حاله ، فلا يدري أحي هو أم ميت ، سواء كان سبب ذلك سفره أو حضوره قتالاً أو انكسار سفينة أو أسره في أيدي أهل الحرب أو غير ذلك .

## ثانياً : مدة انتظار زوجة المفقود :

لما كان حال المفقود وقت فقده محتملاً متردداً بين كونه موجوداً أو معدوماً ، ولكل حالة من الحالتين أحكام تخصها : أحكام بالنسبة لزوجته ، وأحكام بالنسبة لإرثه من غيره وإرث غيره منه وإرث غيره معه ، ولم يترجح أحد الاحتمالين على الآخر ، كان لا بد من ضرب مدة يتأكد فيها من واقعه ، تكون فرصة للبحث عنه ، ويكون مضيها بدون معرفة شيء عنه دليلاً على عدم وجوده .

بناء على ما سبق إذا غاب الرجل عن زوجته وانقطع خبره ولم

يعلم له موضع ، فهل يجوز لزوجته أن ترفع أمرها إلى الحاكم ، فيضرب لها مدة تنتظر فيها ، فإن جاء وإلا فبعد انتهاء تلك المدة تعتد

منه عدة المتوفى عنها ، ثم يباح لها الزواج بغيره ، أو أنه لا يجوز لها ذلك ، بل تصبر حتى يبلغها موته أو حياته بيقين ؟

اتفق الأئمة الأربعة أن الأسير في أيدي الكفار لا تتزوج زوجته ، ولا يقسم ماله ما لم تعلم وفاته بيقين ، أو يمضي عليه زمان لا يمكن أن يعيش بعده<sup>1</sup> . أما من غاب عن زوجته ، أو فقد في المعركة بين المسلمين أو في الفتن التي تقع بين المسلمين ، أو يخرج لتجارة أو طلب علم أو سياحة ، فلا يعود وينقطع خبره ، ولا يعلم له موضع ، فإن للعلماء في ذلك ثلاثة مذاهب :

المذهب الأول : من فقد - أي فقد كان - لا يجوز لزوجه الزواج ما لم تعلم وفاته بيقين ، بقيام بينة على ذلك ، أو مضي مدة - يقدرها الحاكم - لا يمكن أن يعيش بعدها. وبه قال جمهور العلماء .

حجتهم على ذلك : أن النكاح قد ثبت بيقين ، وغيبة الزوج لا توجب الفرقة بينهما كما في غير المفقود ، وموت المفقود في غيبة

---

<sup>1</sup> - وكذا المفقود في أرض الكفر عند المالكية ، لصعوبة الكشف عنهما . الكافي ١٢ / ٥٦٨ - ٥٦٩ ، المغني ١٧ / ٤٨٨ ، البناءة ٦ / ٦٤ ، مغني المحتاج ٣ / ٣٩٧ ، مجلة البحوث الإسلامية ، الرياض - (٥٧ / ٢٣٧)

محتمل مشكوك فيه ، فلا يزال يقين النكاح بين المفقود وزوجته بالشك في موته ، والقاعدة الفقهية ( اليقين لا يزول بالشك)<sup>١</sup>.

**المذهب الثاني :** إذا رفعت أمرها إلى الحاكم ضرب لها مدة تنتظر فيها ، فإن جاء فيها فذاك ، وإلا اعتدت بعدها عدة المتوفى عنها ، ثم يباح لها الزواج .

وأصحاب هذا القول انقسموا إلى قسمين ، تبعاً للحالة التي يفقد عليها :

الحالة الأولى : إذا كان فقده في خرجة ظاهرها السلامة ، كالتجارة وطلب العلم ونحو ذلك ، فإن أحمد يوافق أصحاب المذهب الأول في عدم إباحة الزواج لزوجته وتقسيم ماله ، ما لم تعلم وفاته بيقين<sup>٢</sup> .

وذهب مالك إلى أن زوجته إذا رفعت أمرها إلى الحاكم ضرب لها مدة أربع سنوات من وقت رفع أمرها إليه ، فإن جاء فيها فذاك ، وإلا

---

<sup>١</sup> - الإشراف ١٠٣١٤ - ١٠٤ ، البناية ٦٦١٦ ، الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان - (١ / ٥٦)

<sup>٢</sup> - الروض الندي ص ٣٤٢ .

اعتدت عدة المتوفى عنها ، ثم يباح لها الزواج<sup>١</sup> . وحجته على ذلك : أن هذا قضاء عمر بن الخطاب<sup>٢</sup> .

الحالة الثانية : أن يفقد في حالة ظاهرها الهلاك ، كأن يفقد في المعركة بين المسلمين والكفار ، أو ينكسر بهم مركب وهم في البحر ، فيغرق بعض رفقته ونحو ذلك . فعند المالكية : تعتد زوجته عدة المتوفى عنها زوجها بعد مضي سنة كاملة بعد الفحص عن حاله<sup>٣</sup> . وعند الحنابلة : تنتظر زوجته أربع سنوات ، ثم تعتد عدة المتوفى عنها ، ثم يباح لها الزواج ويقسم ماله . وحجتهم على ذلك : أن هذا قضاء عمر بن الخطاب أيضا<sup>٤</sup> .

فإن فقد في الفتن التي تقع بين المسلمين فإن مالكا لا يضرب لهذا مدة ينتظر فيها ، بل يجتهد الحاكم في القدر الذي يمكن أن يتصرف فيه من هرب وانهزام ، فإذا غلب على ظنه أنه مات أذن لزوجته في الزواج بعد العدة وقسم ماله .

---

<sup>١</sup> - الكافي في فقه أهل المدينة ١٢ / ٥٦٧ .

<sup>٢</sup> - مصنف ابن أبي شيبة ١٤ / ٢٣٧ .

<sup>٣</sup> - وعندهم أيضا : إذا لم يكن لزوجة الأسير والمفقود نفقة أو خشيت كل منهما الزنا وطلبنا الفراق فرق القاضي بين كل منهما وزوجها . حاشية العدوي ١٢ / ٨٦ - ٨٧ .

<sup>٤</sup> - المغني لابن قدامة المقدسي ١٧ / ٤٨٩ .

وحجته على ذلك : قياس هذا على من فقد في أيام الوباء

بجامع غلبة الهلاك في مثل هذه الأحوال <sup>١</sup> .

المذهب الثالث : وبه قال عمر بن الخطاب ، وعثمان ، وعلي ، وابن

مسعود ، وابن عباس ، وابن عمر ، والجمهور من التابعين : أن

المقصود على أي حالة فقد ، إذا رفعت زوجته أمرها للحاكم ضرب

لها مدة أربع سنوات من حين رفعها ، فإن جاء فذاك ، وإلا اعتدت عدة

المتوفى عنها ، ثم يباح لها الزواج <sup>٢</sup> .

الراجع :

الذي يبدو أن المذهب الأخير القائل :إذا رفعت أمرها إلى

الحاكم ضرب لها مدة تنتظر فيها ، فإن جاء فيها فذاك ، وإلا

اعتدت بعدها عدة المتوفى عنها ، ثم يباح لها الزواج هو الأولى . وسبب

الترجيح ، لأنه ليس مع أحد من أصحاب هذه المذاهب دليل ، لا من

الكتاب ولا من السنة ، فبقي الأمر في ذلك عائدا إلى الاجتهاد والنظر

في المصلحة ، والمصلحة للمرأة الزواج ؛ لأن عدم زواجها ومنعها منه إلى

أن تعلم وفاته بيقين بقيام بيثة أو مضي مدة لا يمكن أن يعيش بعدها

<sup>١</sup> - الخرشى على خليل ١٥٤١٤ .

<sup>٢</sup> - مصنف عبد الرزاق ٨٥١٧ ، الإشراف ١٠٣١٤ ، المطى ١٣٩١١٠

- فيه ضرر بالغ وظاهر بالمرأة ، فيترجح مذهب من قال : إنها تنتظر أربع سنوات ، فإن جاء وإلا اعتدت عدة الوفاة ، ثم يباح لها الزواج ، ولأن هذا مذهب خمسة من الصحابة ، منهم ثلاثة من الخلفاء الراشدين ، فاتباعهم أولى . والله أعلم

## المبحث التاسع

### الاجال والمدد في التطليق بالإيلاء

المطلب الأول: تعريف الإيلاء

أولاً: تعريف الإيلاء لغة:

الإيلاء في اللغة : الامتناع باليمين ( يقال : آلى يولي إيلاءً وإلية ، المولي هو : الحالف على عدم وطء زوجته وفي الحديث : ( آلى من نسائه شهراً ) ، أي حلف لا يدخُلُ عليهنَّ . ومنه قوله تعالى : { وَلَا يَأْتُلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةَ } ، أي لا يحلفُ ، لأنها نزلت في حلف أبي بكرٍ أن لا يُنفقَ على مسطح ؛ وقرأ بعضُ أهلِ المدينةِ { وَلَا يَتَأَلَى أُولُو الْفَضْلِ } بمعناه وهي شاذة<sup>١</sup> .

<sup>١</sup> / تاج العروس من جواهر القاموس - ( ٣٧ / ٩١ )

ثانيا: تعريف الإيلاء اصطلاحا:

أما معناه الإصطلاحي فهو الامتناع باليمين من وطء

الزوجة. وتعريفات فقهاء المذاهب تدور حول هذا المعنى، ونذكر فيما يلي بعضها:

جاء في الجوهرة النيرة: (الإيلاء عبارة عن اليمين على ترك وطء الزوجة في مدة مخصوصة.<sup>١</sup>)

كما جاء في بدائع الصنائع: ( الإيلاء عبارة عن اليمين على ترك الجماع بشرائط مخصوصة.<sup>٢</sup>)

وعرفه المالكية بأنه: (يمين مسلم مكلف، يتصور وقاعه، وإن مريضا بمنع وطء زوجته، وإن تعليقا، غير المرضعة وإن رجعية أكثر من أربعة أشهر، أو شهرين للعبد).<sup>٣</sup>

وعرفه الشافعية بأنه: (حلف زوج يصح طلاقه ليمتنع من وطئ زوجته (...)<sup>٤</sup>

---

<sup>١</sup> / الجوهرة النيرة - (٤ / ٢٠٠)

<sup>٢</sup> / بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع - (٧ / ٢٧٦)

<sup>٣</sup> / منح الجليل شرح على مختصر سيد خليل . عليش - (٨ / ٣٠٣)

<sup>٤</sup> / مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج - (١٤ / ٧٢)

وعرفه الحنابلة بأنه: ( حلف الرجل على عدم وطء زوجته أكثر من أربعة أشهر).<sup>١</sup>

### المطلب الثاني: مدة الإيلاء

كان الرجل في الجاهلية يحلف على ألا يمس امرأته السنة، والسنتين، والأكثر من ذلك بقصد الاضرار بها، فيتركها معلقة، لاهي زوجة، ولاهي مطلقة.

فأراد الله سبحانه أن يضع حدا لهذا العمل الضار، فوقفه بمدة أربعة أشهر، يتروى فيها الرجل، عله يرجع إلى رشده، فإن رجع في تلك المدة، أو في آخرها، بأن حنث في اليمين، ولامس زوجته، وكفر عن يمينه فيها، وإلا طلق.<sup>٢</sup>

---

<sup>١</sup> / المغني لابن قدامة (٨ / ٥٠٣)

<sup>٢</sup> / انظر فقه السنة للسيد سابق - (٢ / ١٩٦) الفقه الإسلامي وأدلته للدكتور الزحيلي - (٩ /

(٥٠٢)



هذا ما ورد في قوله تعالى : " لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ )<sup>١</sup>

### المطلب الثالث: حكم الايلاء

إذا حلف ألا يقرب زوجته، فإن مسها في الأربعة أشهر، انتهى الايلاء ولزمته كفارة اليمين.

إذا مضت المدة ولم يجامعها، فيرى جمهور العلماء أن للزوجة أن تطالبه: إما بالوطء وإما بالطلاق.<sup>٢</sup>

فإن رفض الأمرين فهل يطلق الحاكم المرأة نيابة عن الزوج ، أم أنها تبين منه بمجرد مضي الأربعة الأشهر ؟ للعلماء في ذلك أربعة مذاهب :

المذهب الأول : وبه قال جمهور العلماء : يطلق عنه الحاكم طلاق رجعية نيابة عنه إذا رفعته المرأة إليه<sup>٣</sup> .

---

<sup>١</sup> / سورة البقرة : ٢٢٦ ، ٢٢٧

<sup>٢</sup> / مجلة البحوث الإسلامية - ( ٥٧ / ٢٢٨ )

<sup>٣</sup> / الإشراف ٤ / ٢٣٠ ، المحلى ١٠ / ٤٦١ ، الكافي ١٢ / ٥٩٩ ، المغني ١٧ / ٣٣٠ ، مغني المحتاج ١٣ / ٣٥١ .

وحجتهم على ذلك : أنه لا سبيل إلى دوام إضرارها ولا إجبارها على الرجوع إلى الجماع ؛ لأنها لا تدخل تحت الإجماع ، والطلاق يقبل النيابة ، فناب عنه الحاكم عند الامتناع ، كما يزوج عن العاضل ويستوي الحق من المماطل<sup>١</sup> .

المذهب الثاني : وبه قال شريح القاضي وعطاء والحسن البصري والنخعي وابن أبي ليلى وجمع من التابعين والأحناف : أنها تبين منه بتطبيقه واحدة<sup>٢</sup> .

وحجة هؤلاء : أن هذا قول عثمان وعلي والعبادلة الثلاثة<sup>٣</sup> ، ولأنه لما ظلمها بمنعها حقها ، جازاه الشرع بزوال نعمة النكاح عند مضي هذه المدة ، ولأن الإيلاء كان طلاقاً بائناً على الفور في الجاهلية ، بحيث لا يقربها بعد الإيلاء أبداً ، فجعله الشرع مؤجلاً بقوله تعالى : { لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } ، إلى انقضاء المدة ، فحصلت الإشارة إلى أن الواقع بالإيلاء بائن ، لكنه مؤجل .

---

<sup>١</sup> / مغني المحتاج ٣ / ٣٥١ .

<sup>٢</sup> / الإشراف ٤ / ٢٣٠ ، البناءة ٤ / ٦٣٥ .

<sup>٣</sup> / هم : عبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس . البناءة ٤ / ٦٣٦ .

المذهب الثالث : وبه قال أبو ثور : يطلقها الحاكم طليقة بائنة .

وحجته على ذلك : أنه إذا لم يطلقها طليقة بائنة ، بل رجعية لم يرفع عنها الضرر ؛ لأنه سيراجعها ويعود الأمر كما كان ، لذلك يجب أن يكون الطلاق بائنا لئلا يتمكن من المراجعة .

المذهب الرابع : وبه قال الظاهرية : لا يطلق الحاكم على المولى لا بائنا ولا رجعيا ، بل يجبره بالسوط على العودة إلى الجماع أو الطلاق ، ولو أدى ذلك إلى موته ، إلا أن يكون عاجزا عن الجماع ، فيجبر على الرجوع باللسان وحسن الصحبة <sup>١</sup> .

وحجتهم على ذلك قوله تعالى : { وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } ، وقوله تعالى : { وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } . فممنع عز وجل من كل شيء إلا عزيمة الزوج على الطلاق ؛ فصح أن يطلق الحاكم عليه فضول وباطل وتعد لحدود الله عز وجل ، ومن الباطل أن يطلق عليه غيره أو يفيء عنه غيره <sup>٢</sup> .

الراجع :

<sup>١</sup> / المحلى لابن حزم ١٠ / ٤٢ - ٤٣ .

<sup>٢</sup> / المحلى لابن حزم ١٠ / ٤٢ - ٤٣ .

الذي يبدو أن مذهب الجمهور القائل بجواز تطليق الحاكم على المولي طلقة رجعية هو الراجح ؛ لأنه لا سبيل لرفع الإضرار عن المرأة إلا بالطلاق ، ومهمة الحاكم رفع الضرر والظلم ؛ ولأنه طلاق صادم مدخولا بها من غير عوض ولا استيفاء عدد ، فكان رجعيا كالطلاق في غير الإيلاء ، والضرر يرتفع بالطلاق الرجعي ،<sup>١</sup> . فهذا مذهب وسط ؛ لأن في ذلك مراعاة رفع الضرر عن المرأة بالطلاق ، ومراعاة حق الرجل في الرجعة والتأني ؛ لأنه طلاق من غير عوض<sup>٢</sup> . والله أعلم .

---

<sup>١</sup> / المغني لابن قدامة ٣٣١ / ١٧ .

<sup>٢</sup> / مجلة البحوث الإسلامية - ( ٥٧ / ٢٣٠ )

## الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الأمين ، وقد اشتمل البحث على تمهيد مفيد : بينت فيه أن الزواج أساس الأسرة ودعامتها ، والقاعدة التي يقوم المجتمع السليم عليها ، أما الخاتمة فهي تشتمل على أهم نتائج البحث ومنها :-

(١) أهمية الآجال والمدد في النكاح والطلاق.

(٢) تحريم خطبة الرجل على خطبة أخيه مشروط بمدة حصول التراضي مع الأول وتسمية المهر لا في أول الخطبة.

(٣) يجب أن تكون صيغة الإيجاب والقبول مؤبدة غير مؤقتة: فإن أقت الزواج بمدة بطل، وهو نكاح متعة.

(٤) أجمع أهل العلم على أن إنكاح الأب ابنته البكر الصغيرة جائز إذا زوجها من كفاء .

(٥) يحصل البلوغ بإحدى ثلاث أسباب وهي :- الإحتلام وإنبات الشعر الخشن حول القبل وبلوغ خمسة عشر سنة للذكر ، أما أقل سن لبلوغ الأنثى ، فيرى الأئمة الأربعة - غفر الله لهم - بأنه تسع سنين ، وتزيد الأنثى بعلامتين وهما الحيض و الحمل.

(٥) المراد بالقرء في العدة الحيض .

(٦) ليس لأقل ولا لأكثر مدة الحيض حد ولربما خرج دفعةً واحدةً ، أو يقال دفعةً واحدة

(٧) أقل الطهر بين الحيضتين ثلاثة عشر يوماً .

(٨) يجوز للزوجة طلب التطليق من زوجها ، لعيب أو مرض مستحکم أصيب به قبل العقد ، ولم تعلم به ، أو حدث بعد العقد ، ولم ترض به عقلياً كان ، أو عضوياً ، لا يرجى برؤه أو يرجى بعد مضي أكثر من سنة ، ولا يمكنها المقام معه إلا بضرر . إذا كان العيب ، أو المرض يرجى منه البرء قبل مضي سنة ، فتعطى المحكمة للمعتل أجل سنة قبل التطليق .

(٩) يستعان بأهل الخبرة من الإخصائيين في معرفة العيب أو المرض .

(١٠) إذا رفعت زوجة المفقود أمرها إلى الحاكم ضرب لها مدة تنتظر فيها ، فإن جاء فيها فيها ونعمت ، وإلا اعتدت بعدها عدة المتوفى عنها ، ثم يباح لها الزواج .

(١١) جواز تطليق الحاكم على المولي طلقة رجعية ، إن رفض الوطاء أو الطلاق .

## قائمة المصادر والمراجع

- (١) الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ .
- (٢) تفسير ابن كثير / الحافظ ابن كثير / دار إحياء التراث العربي .
- (٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٣٠، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٥ هـ .
- (٤) سنن ابن ماجه : ابن ماجه، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر بيروت، ط١ .
- (٥) سنن أبي داود : أبو داود، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر بيروت، ط١، دت .
- (٦) سنن الترمذي : الترمذي، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث بيروت، ط١، دت .
- (٩) شرح النووي على صحيح مسلم : النووي، دار إحياء التراث بيروت، ط٢، ١٣٩٢ م
- (١٠) صحيح البخاري : البخاري، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨ .

(١١) صحيح مسلم : مسلم، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار  
إحياء التراث بيروت، ط١ ، دت .

(١٢) فتح الباري :ابن حجر، تحقيق : محب الدين الخطيب، دار  
المعرفة بيروت، ط١

(١٤) سبل السلام للصنعاني ٣ / ٢٠٤ ط . إحياء التراث العربي -  
بيروت

(١٥) نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار : الشوكاني، دار الجيل  
بيروت، ط١ ، ١٩٧٣م

(١٨) بدائع الصنائع : علاء الدين الكاساني، دار الكتب العلمية،  
ط٢ ، ١٤٠٦هـ

(٢٠) حاشية رد المحتار على الدر المختار : محمد أمين (ابن عابدين)،  
دار الفكر بيروت، ط١ ، ١٤٢١هـ.

(٢١) المبسوط : السرخسي، دار المعرفة بيروت، ط١ ، دت .

(٢٢) بداية المجتهد : ابن رشد الحفيد، دار الفكر بيروت، ط١ ، دت

(٢٣) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير : محمد عرفة الدسوقي،  
دار إحياء الكتب العربية، ط١ ، دت



- (٢٤) حاشية الصاوي على الشرح الصغير: أحمد الصاوي، دار المعارف، ط١، ١٩٨٦م.
- (٢٥) المدونة: مالك بن أنس، دار صادر بيروت، ط١، ١٣٢٣هـ.
- (٢٦) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل: محمد الرعيني (الخطاب)، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٨.
- (٢٧) الأم: الشافعي، دار المعرفة بيروت، ط١، ١٣٩٣هـ.
- (٢٨) المجموع شرح المهذب: النووي، المطبعة المنيرية، ط١، ١٣٤٤هـ.
- (٢٩) مغني المحتاج: محمد الخطيب الشربيني، دار الفكر بيروت، ط١، ١٩٨٠م.
- (٣٠) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج: محمد بن أحمد الرملي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٤هـ.
- (٣١) المغني: ابن قدامة، دار الفكر، ط١، ١٩٨٤م. (المحلى: ابن حزم، دار الفكر بيروت، ط١، دت).
- (٣٢) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل: علي بن سليمان المرداوي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط١، ١٣٧٦هـ.

(٣٣) كشاف القناع : منصور البهوتي، دار الكتب العلمية، ط١، دت

(٣٤) الفقه الإسلامي وأدلته د.وهبة الزحيلي.

(٣٥) الشرح الممتع على زاد المستنقع، لابن عثيمين.

(٣٦) الموسوعة الفقهية الكويتية.

(٣٧) رسالة الدماء الطبيعية للنساء، لابن عثيمين، الرياض، مؤسسة

لينة

(٣٨) المحلى :الامام ابن حزم الظاهري ، تحقيق الشيخ احمد محمد

شاكر دار الفكر

(٣٩) قانون الاحوال الشخصية السوداني لعام ١٩٩١م

## دراسة تحليلية تطبيقية

د. محمد الفاتح زين العابدين أحمد

### ملخص البحث

تتلخص هذه الدراسة في استخراج بعض من الشواهد القرآنية من كتاب الله العزيز فيما يتعلق بأبنية الكلمات والقيام بتحليل هذه الأبنية القرآنية في أحدث ما توصل إليه علم اللغة الحديث لاسيما وأن القرآن الكريم هو المنهل الصافي للدراسات اللغوية قديمها وحديثها ولذا عمدت للقرآن الكريم لما فيه من الفصاحة والبيان حيث جاء عنوان البحث موسوما بعنوان من الشواهد القرآنية للأبنية اللغوية دراسة تحليلية تطبيقية فكان المبحث الأول عن التصريف وأبنية الكلمات وفي الثاني دراسة البنية في علم اللغة الحديث واختتم البحث بالشواهد القرآنية للأبنية دراسة تحليلية تطبيقية .

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه وسلم قال تعالى : (الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير)<sup>(١)</sup> .

---

<sup>(١)</sup> سورة هود / الآية (١) ج ١١

فالقُرآن الكريم من الشواهد اللغوية الأساسية ؛ لأن إعجازه كان لأهل اللغة والبيان وللخلق أجمعين قال تعالى : (قل إن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)<sup>(١)</sup>

والمعلوم أن اللغة هي الوعاء الذي يستوعب المعاني والأغراض والآداب وعن طريقها تتضح الدلالات ، والشواهد القرآنية مليئة بالقيم والآداب ، والتي تظهر واضحة وجلية بعد تحليل الأبنية والوقوف على الصيغ المركزية الرئيسية التي من بينها تظهر المعاني واضحة .

فعلم البنية مجال من مجالات علم اللغة الحديث بمصطلحاته المتنوعة يستمد قوته من الشواهد القرآنية بالتطبيقات عليها آخذا من المادة الغزيرة للنصوص القرآنية ذات الفصاحة والبيان .

أولا : أغراض البحث :

١. استخراج الشواهد القرآنية موضوع البحث
  ٢. تحليل هذه الأبنية بما يتوافق والدراسات اللغوية الحديثة
  ٣. القرآن الكريم إثراء الدراسات اللغوية بالشواهد القرآنية
- ثانيا : أهداف البحث :

---

(١) سورة الإسراء / الآية (١٨) ج ٥

١. إبراز الشواهد القرآنية وتمكينها في الدرس اللغوي الحديث
٢. الوقوف على الصيغ المركزية الرئيسية لتظهر المعاني واضحة
٣. التأكيد على أن الأبنية اللغوية تستمد قوتها من المادة الغزيرة للقرآن الكريم بتطبيقاته .

ثالثا : مشكلة البحث :

المزيد من الاهتمام بالدراسات اللغوية والتطبيق عليها في آي القرآن والتركيز على الشواهد القرآنية في الدرس اللغوي الحديث .

رابعا : منهج البحث :

يعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي التطبيقي في تتبعه للشاهد القرآني وتطبيق على المصطلحات المتنوعة في علم بنية الكلمات .

خامسا : الصعوبات التي واجهت البحث :

قلت الدراسات التي تهتم بإبراز المصطلحات المتنوعة في علم بنية الكلمات والذي هو من الموجهات في علم اللغة الحديث ... وتطبيق ذلك على شواهد من القرآن الكريم .

## المبحث الأول

### التصريف وأبنية الكلمات

#### الصرف في اللغة

من صرف الشيء من جهة إلى جهة والتصريف مصدر من صرف يصرف صرفا بمعنى التغيير ، والتحويل ، ومنه صرف العملة ، وتصريف الرياح أي : تغيير جهتها .

أما المعنى الاصطلاحي فهو : تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل إلا بها كاسم الفاعل ، والمفعول ، واسم التفصيل ، والتثنية ، والجمع ... الخ

أما المعنى العلمي فهو : علم بأصول يُعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب ولا بناء<sup>١</sup> .

---

<sup>١</sup> انظر الحملاوي ، شذا العرف ، مكتبة الصفا القاهرة ، ط ١ ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ،

أما الصرف في اصطلاح اللغويين :

يطلق عليه المستوى الصرفي ويسى ب (علم البنية) وفي اصطلاح علماء اللغة الأوربيين يسمى ب (علم المورفولوجيا) مأخوذ من : (morphology)

والصرف علم من علوم اللغة العربية موضوعة بنية الكلمة المفردة خارج السياق المعنوي أي دون أن تتأثر بموقعها في الجملة وحركة إعرابها ، ويلاحظ أن بنية الكلمة تتعرض أحيانا للتغيير في لفظها ، إما لتحقيق الانسجام الصوتي أو لاستحداث معنى فرعي جديد وهذا ما يبحثه علم اللغة الحديث وأبنية الكلمات<sup>١</sup> .

والتصريف هو صرف الكلمة الواحدة على وجوه شتى كأن تبني من ضرب على مثال جعفر فنقول ضرب وعلى مثال قنطر فتقول ضرب<sup>٢</sup> .

كما قد يعني الصرف أيضا تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة لضروب من المعاني كالفعلية والوصفية والتصغير وقد يكون التحويل والتغيير لأغراض أخرى تتعلق بالمعنى كالزيادة والحذف

---

(<sup>١</sup>) انظر عبد القادر محمد مايو ، الوجيز في فقه اللغة ، دار العلم ط ١ ، ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨ م ، ص ١١٣

(<sup>٢</sup>) دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية د/ لطيفة إبراهيم النجار ١٩٩٢/ص ٤٥

والقلب والإدغام والإبدال ولقد حدّه ابن الحاجب بقوله (التصريف علم بأصول تعرف به أحوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب)<sup>١</sup> .

إن هذا المعنى الذي ارتضيناه حدا لعلم الصرف يقارب أو يكاد ما وصفه علماء اللغة المحدثون عن تعريف لعلم المورفولوجي كما يسمونه، فالناظر في حد كل واحد منهما يجد أن الموضوع الذي يوجه علم المورفولوجيا همه لدراسته والبحث فيه مشابه لموضوع علم الصرف عند الصرفيين العرب في اهتمامه بدراسة الكلمات وتحليلها من حيث بنيتها وأشكالها وأقسامها<sup>٢</sup>.

فمن خلال المستوى الصرفي وما ينضوي تحته من تكيفات تستطيع أن تولد كمّاً هائلاً من البناءات اللغوية التي تحتاجها ، كما تستطيع أن تصهر المفردات الدخلية عليها وتخضعها لقواعدها ثم تسكبها في قالبها وكل هذا يتحقق من خلال التحليل الصرفي والذي يعتمد اعتماداً كلياً على المولد (الجزر) والذي يعد بمثابة الجزء المركزي للنظام اللغوي (حيث توكل إليه

---

(<sup>١</sup>) شرح شافية ابن الحاجب / الرضي / تحقيق محمد نور الحسن / محمد الزفزاف / محمد محي الدين دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية د/ لطيفة إبراهيم النجار ١٩٩٢/ص٤٥

(<sup>٢</sup>) انظر رينية كاحز ، يصل محمد المهنا ، النظرية التفاضلية في التحليل اللغوي ، جامعة الملك سعود ، ص ٢٤



مهمة تطبيق كل الحالات القياسية الملحوظة في الصيغ السطحية)  
.

### التحليل الصرفي :

يقصد به تحليل بينة الكلمة وذلك بتقسيمها إلى مقاطع لمعرفة جذرها ووزنها الصرفي وما طرأ عليها من زيادة ، أو نقصان ، أو إعلال ، أو ادغام ، أو قلب ، بالإضافة إلى معرفة ما اتصل بها من سوابق ونوع تلك السوابق وما لحقها من ضمائر أو لواحق ومكونات تلك الضمائر واللواحق ، ومعرفة نوع الكلمة نفسها اسما أو فعلا أو حرفا ، إلى غير ذلك من التوصيات الصرفية التي تخص كل قسم من أقسام الكلم العربي (والتحليل في اللغة من حل يحلل تحليلا وحل العقدة أي فكها وكل جامد قد أذيب فقد حل والمحلل هو الشئ اليسير)<sup>٢</sup>.

والمحلل بتحليل الصرفي على شقين أساسيين هما : (المحلل والمركب) ومعنى ذلك أن يقوم المحلل بتحليل الكلمة وإعطاء البيانات الصرفية الكاملة لها مثل : (الجذر ، السوابق اللواحق ،

---

(<sup>١</sup>) دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية د/ لطيفة إبراهيم النجار ١٩٩٢/ص٥٤  
(<sup>٢</sup>) انظر ابن منظور - لسان العرب - دار إحياء التراث بيروت لبنان ط ١٤١٣ هـ -  
١٩٩٣م

قسم الكلم ، الميزان الصرفي (...). هذا بالإضافة إلى وضع السمات الصرفية الخاصة بكل كلمة على حدة ، فهو أشبه بمعجم صرفي متكامل للكلمة الصرفية .

ثم يأتي دور المركب ويقوم بدور عكسي حيث يعيد توليد الكلمة من بياناتها الصرفية (الجزور ، السابق الصرفي ، الميزان الصرفي ، قسم الكلم ، اللواحق ..) ويمكن اعتبار التحليل صحيحا إذا كان المعالج الصرفي قادرا على إعادة توليد التحليل الصرفي من جديد ومقارنة الناتج بالتحليل الأصلي للكلمة<sup>1</sup> .

لا يقتصر التحليل الصرفي على لغة دون أخرى ، بل هو لكل اللغات على الرغم من اختلاف أنظمتها في الكلمات ، فاللغة الإنجليزية مثلا لغة الصاقية تعتمد على توليد الكلمات بواسطة السوابق (prefixes) مثل : (re\_un) واللواحق (suffixes) مثل (ly\_ed\_ing) وقد تدخل إليها بعض المفردات من لغات أجنبية كما هي وتكتبها بالحروف اللاتينية لتؤدي أداء لفظيا غريبا .

وهكذا تتسع آفاق علم الصرف العربي من بنية الكلمة ضمن قالب معهود ، إلى اعتماد أساليب محدثة في توليد الألفاظ

---

<sup>1</sup> انظر [http://www.sakr.com/technology\\_amorphology\\_default.aspx?ses](http://www.sakr.com/technology_amorphology_default.aspx?ses)

بالاشتقاق بأنواعه والبحث عن جذور مهمة وإغراز المعجم المعاصر<sup>١</sup>.

أصل الكلمة :

فلقد دارت آراء العلماء القدامى والمحدثين من النحويين والصرفيين واللغويين حول أصل الكلمة ، وتناولوه بالمناقشة المستفيضة والبحث الدقيق ، ويجدر بنا أن نلخصها فيما يلي :

- ذهب الكوفيون إلى أن أصل الكلمة هو (الفعل) والمصدر مشتق من الفعل وفرع منه ، ويأتي بعده في التصريف ، وأن المصدر يدل على الحدث وحده دون الحدث والزمن وهما من دلالة الفعل ، لذا فإن الفعل عندهم بمثابة الجد الأعلى الذي تتفرع منه الكلمات<sup>٢</sup>.
- وذهب البصريون إلى أن أصل الكلمة هو (المصدر) لكونه بسيطاً يدل على الحدث فقط<sup>٣</sup> ، ويمكن أن يتولد منه المركب من حدث وزمن مثل : اسم الفاعل ، اسم المفعول ، اسم التفصيل ، وهذه المشتقات فيها دلالة حدث وزمن فضلاً عن تمييز كل منها بدلالة صيغته على فاعل ، أو مفعول أو غير ذلك .

---

(١) انظر عبد القادر محمد مايو ، الوجيز ، مرجع سابق ، ص ١١٣

(٢) انظر عبد القادر محمد مايو ، الوجيز ، مرجع سابق ، ص ١١٤

(٣) انظر الحملاوي ، شذا العرف ، مرجع سابق ، ص ٦٥

ولذا فإن المصدر عند البصريين بمثابة الجد الأعلى الذي تتفرع منه  
الكلمات

- أما علماء اللغة على السواء فذهبوا إلى أن أصل الكلمة هو  
(جذرها) والذي يتكون من (فائها + عينها + لامها) ومعنى ذلك أن  
جذر الكلمة يمكن أن يكون فعلا ، أو اسما .

إذن فالفريق الثالث - علماء اللغة - فقد ذهبوا مذهبا وسطا يعد  
قاسما مشتركا أعظم بين المدرستين ، لأنهم اعتمدوا على جذر  
الكلمة من حروفها الثلاث ، ومن بعد ذلك تتنوع المشتقات .

والبحث اللغوي الحديث يتعامل مع مسائل الصرف على أساس صوتي  
بدر من اعتماد القدماء على الكتابة في تحديد الكلمة ، وأن الطريقة  
التي سلكها القدماء من علمائنا لمعرفة أبنية الألفاظ ومقابلتها بأوزانها  
المعادلة لها هي :

تحري حروف الكلمات الأصلية ومقابلتها بحروف (فعل) إن كانت  
ثلاثية ، وبتكرار حرف اللازم لمقابلة الحروف الأصلية التي تزيد على  
الثلاثة أحرف ، وأما الحروف في الكلمة فتؤخذ كما هي وتوضع في  
ميزان الكلمة للمحافظة على حركات الحروف

كما نرى في هذا التغيير

الكلمة	علم	يعلم	عامل	معلم	علام
الميزان	فعل	يفعل	فاعل	مفعل	فَعَّال
الكلمة	بعثر	أقدم	مدارس	كتائب	مشهد
الميزان	فعلل	أفعل	مفاعل	فَعَّال	مفعل

ولحركات الحروف في الميزان منزلة كمنزلة الزوائد ، وكثيرا ما يتغير معنى الكلمة وصيغتها بتغيير الحركات من غير زيادة ولا نقصان في الحروف مثل : (الحَمَل ، الحمل ، البَر ، الير) وذلك لأن الحركات ليست إلا حروف مد ، فحكمها في تصريف الكلام وبناء الألفاظ كحكم حروف المدة الزائدة<sup>١</sup>.

هذا ما يخص التحليل الصري في عند القدماء فكانوا يعتمدون على الكتابة في تحديد الكلمة فكل مجموعة من الحروف تكتب مجتمعة وتأخذ شكلا مستقلا في الكتابة تعتبر كلمة ، في حين يتعامل البحث اللغوي الحديث مع الوحدة الصرفية والتي تعرف عندهم بمصطلح (المورفيم) ، والسوابق واللواحق وكل أجزاء الكلمة والتي

<sup>١</sup> انظر محمد المبارك ، فقه اللغة وخصائص العربية ، دار الفكر ط ٧ ، ١٤٠١ هـ -

تبحث خلاله عن المعنى أو العلم الذي يدرس المعنى<sup>١</sup> في دراستها لدلالة الكلمة أو البنية أو هذه المصطلحات الصرفية هي التي سوف نقف عندها في المبحث الثاني .

## المبحث الثاني

---

<sup>١</sup> ( علم الدلالة - دم احمد مختار عمر ص ١١ - ١٩٩٣م

## دراسة البنية في علم اللغة الحديث

فدراسة البنية في علم اللغة الحديث تقوم على تحليل الكلمة وتقسيمها إلى أجزاء ؛ لأنه لكل جزء من أجزاء الكلمة دلالة ومعنى فهناك صور الكلمة وصور الشيء أعلاه والمراد به بداية الكلمة ثم ربط الكلمة والذي هو بمثابة الأصل أو الجزء الذي تنفرع منه اشتقاقات الكلمة لتتنوع بمعانيها ودلالاتها ثم ما يلحق بها هذا الجذر أو الأصل والذي يمثل الإعجاز اللاحقية التي لها دلالتها وعلى هذا فالكلمة لها صدور إلحاقية وأحشاء وإعجاز إلحاقية ، تتجسد في دراسة الأبنية في علم اللغة الحديث والتي يمكن أن نجملها في الآتي :

المورفيم : (morpheme) :

المورفيم هو أصغر وحدة لغوية لها معنى ، وهذه الوحدة الصرفية قد تكون كلمة مثل (ضرب) أو جزء من كلمة له قيمة دلالية على مستوى التركيب وذلك مثل : (ال ، ون ، ات ، ين ، ان .....)<sup>1</sup> مثلا : كلمة (المزارعون) تتألف من عدد من المورفيمات تفصيلها كما يلي :

- (ال) : مورفيم التعريف

---

<sup>1</sup> انظر محمد السعران ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، ص ١٣٩

- (زرع) : مورفيم جذر الكلمة أي : مورفيم معجمي يدل على الزراعة .

- (مزارع) : مورفيم اسم الفاعل

- (ون) : تمثل مورفيمات وهي : مورفيم العدد (جمع) ، مورفيم الجنس (مذكر) والإعراب (مرفوع بثبوت النون) ، ويطلق عليه (مورفيم جمع المذكر السالم) .

وتستخدم المورفيمات للتعبير عن طراز آخر من المعاني ، كما أنها تستخدم للتعبير عن العلاقات القائمة بين عناصر العبارة ، فكلمة (ضرب) تدل على أن الفعل مسند للمجهول وكذلك كلمة (يضربون) المكونة من (ي + ضرب + ون) فهذه العبارة اجتمعت فيها ثلاث مورفيمات هي : (مورفيم المضارعة + مورفيم جذر الكلمة + مورفيم الجمع) .

والذي يحدد أن هذه العبارة تدل على أن الضرب واقع على جماعة المذكورين ، وتوصل إلى هذه العلاقة بين عناصر العبارة من خلال - الصدر الإلحاقى (ي) ، والجذر (ضرب) ، والعجز الإلحاقى (ون) .

أنواع المورفيم :

لقد قسم علماء اللغة المحدثين المورفيم إلى نوعين رئيسيين هما :



## أولاً : المورفيم الحر (free morpheme)

هو المورفيم الذي يمكن نقله من مكان إلى آخر في الجملة ويمثله المورفيم الاشتقاقي والمعجمي مثل : (مسافر) الذي يمكننا أن نجعله في أول الجملة ونقول : (المسافرون عادوا) ويمكننا أن نؤخره فنقول : (عاد المسافرون) ، وعندما ننقله ننقل معه الموفيمات المرتبطة به ، ويمتاز هذا النوع من بين المورفيمات بإمكانية استعماله كوحدة مستقلة في اللغة وذلك مثل (ضرب ، رجل ، كبير ، سفر ...) ، وأنه يتكون من العناصر الصوتية ، وقد يكون صوتا واحدا مثل : (ضرب) أو مقطعا مثل (عامل) ، أو عدة مقاطع مثل (عظيم) <sup>١</sup>

## ثانيا : المورفيم المقيد (Bound morpheme) <sup>٢</sup>

هو الذي لا يمكن فصله ونقله من مكان إلى آخر ، بل يبقى مرتبطا بالمورفيم الاشتقاقي أو المعجمي ، وأشهر المورفيمات المقيدة هي :

---

(<sup>١</sup>) انظر المرجع نفسه ص ١٧٩ - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

(<sup>٢</sup>) انظر محمد السعران ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، ص ١٧٩ وانظر محمد محمد

داود ، العربية وعلم اللغة الحديث ص ١٦٥ ، ١٩٩٧م

## الألف والنون :

للدلالة على معنى التثنية كما في كلمة (ولدان ، مسلمان) وهذه الكلمات تتكون من :

- ولد : مورفيم جذر الكلمة (مورفيم حر / معجمي)
  - أن : مورفيم التثنية (مورفيم مقيد)
  - مسلم : مورفيم جذر الكلمة (مورفيم حر / معجمي)
  - أن : مورفيم التثنية (مورفيم مقيد)
- الواو والنون :

- (مسلمون) : مسلم : مورفيم جذر الكلمة (مورفيم حر / معجمي)
  - ون : مورفيم جمع المذكر السالم (مورفيم مقيد)
- (ال) التعريف :

للدلالة على التعريف ، ومثله كلمة (العاجلة)

- ال : مورفيم التعريف (مورفيم مقيد) عاجل : مورفيم اسم الفاعل
- (مورفيم حر / مورفيم اشتقاقي) ة : ورفيم التأنيث (مورفيم مقيد)
- التاء المربوطة :

للدلالة على معنى التأنيث كما في كلمة (مسلمة)

- مسلم : مورفيم جذر الكلمة (مورفيم حر / معجمي)
  - ة : مورفيم التأنيث (مورفيم مقيد)
- الألف والتاء :

لدلالة على معنى التأنيث والجمع كما في (مسلمات)

- مسلم : مورفيم جذر الكلمة (مورفيم حر / معجمي)
- ات : مورفيم جمع المؤنث السالم (مورفيم مقيد)

### أنواع المورفيمات المقيدة :

لقد قسم علماء اللغة أن المورفيمات المقيدة إلى نوعين رئيسيين هما :

١. المورفيمات المقيدة التي تدخل في علم الاشتقاق (مورفيم اشتقائي)

٢. المورفيمات المقيدة التي دخل في علم التصريف (مورفيم معجمي)

أما المورفيمات التي تدخل في علم الاشتقاق منها ما يطرأ على الفعل في اللغة العربية من إضافات وتغييرات ينتج عنه ما يسمى بالأفعال المزيدة ، ويسمى المورفيم الذي ينتمي إلى هذا النوع بمورفيم الصيغة وهو الذي لا يمثله أصوات ، بل تمثله الصيغة بكاملها وذلك مثل :

التعدية : أفعل ، أخرج ، التكثير ، فعل ، كذب ، المشاركة : فاعل ، كاتب ، جاهد ،

الطلب : استقل ، استخرج ، المطاوعة : انفل ، نفجر  
ومثله كذلك ما يطرأ على الفعل من تغييرات وزايدات لكي يتكون  
معه عدد من الأسماء وذلك مثل :

صيغة اسم الفاعل : ناظر ، صيغة اسم التفضيل : أكبر صيغة اسم  
المفعول : مستقر صيغة المبالغ : غفور ، بصيرة ، الصفة المشبهة ،  
كبير ، المصدر : فراق ، وغيرها من الصيغ التي تشتق من الأفعال .

أما النوع الثاني فيشمل ما يطرأ على الأفعال والأسماء والصفات  
بحسب موقعها في الجملة ك ( ان ، ون ، ين ، ات ، ة... ) وقد أشرنا  
إليها آنفا ، وهذه كلها تدخل في باب التصريف وهي متصلة اتصالا  
وثيقا بعلمي الصرف (الأبنية) والنحو (التراكيب)<sup>1</sup>

وما نستخلصه من خلال ما سبق أن المورفيمات تأتي تارة ملتصقة  
بأول الجذر ، وتارة بآخر الجذر ، وأخرى تأتي حشوا بين أجزاءه ،  
المورفيمات التي تلتصق بأول الجذر تسمى ب (الصدور الإلحاقية)  
ويطلق عليها (السوابق الإلحاقية) ، والتي تلتصق بآخر الجذر تسمى ب  
(الإعجاز الإلحاقية) ويطلق عليها (اللواحق)

أما التي تأتي في وسط الجذر فتسمى ب (الحشو) وتفصيلها كما يلي :

---

<sup>1</sup> انظر تأليف خرما ، أضواء على اللغة ، سلسلة عامل المعرفة ، ط ١٩٧٨ ن ص ٢٢٥

الصدور الإلحاقية (السوابق) :

ومن أشهر الصدور الإلحاقية في اللغة العربية : حروف المضارعة والتي تجمعها كلت (أنيت) <sup>١</sup> وهي أقوى الزوائد وسمتها الضمة ، وتدل على الاستمرارية .

مثل : (اكتب ، نكتب ، يكتب ، تكتب) : وعند تحليلها صرفيا تصبح

أ + كتب : أ : صدر الحاقى يمثل مورفيم المضارعة والذي يدل على الاستمرارية

كتب : مورفيم جذر الكلمة ومثلها (نكتب ، يكتب ، تكتب) ،

ومورفيمات المضارعة كلها تدل على الاستمرارية ، علاوة على دورها في تحديد الفاعل وتعيين طبقته اللغوية <sup>٢</sup> .

---

(<sup>١</sup>) انظر أبو حيان الأندلسي ، ارتشف الضرب من لسان العرب ، تحقيق رجب عثمان ، مراجعة رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ج ١ ، ط ١٤١٨ هـ - ١٣٩٨ م ص ١٣٩

(<sup>٢</sup>) بكري محمد الحاج ، أثر عناصر البناء الظاهر للجملة ، في التفسير الدلالي ، جامعة أم درمان الإسلامية ، ص ١١٩

## (ال) التعريف :

مثل : الولد ، وتحليلها كما يلي :

ال + ولد

ال : صدر الحاقى يمثل مورفيم التعريف

ولد : مورفيم جذر الكلمة

## حروف الزيادة :

وتضمنها كلمة (سألتمونيها) ومنا (است) سمتها السكون وتدل على

الطلب مثل : (استخرج) ، وتحليلها كما يلي :

است + خرج - است : صدور الحاقية تدل على ال

طلب . خرج : مورفيم جذر الكلمة

## الإعجاز اللاحاقية (اللواحق) :

وهي التي تلتصق بآخر الجذر ، وأشهر الإعجاز اللاحاقية في اللغة

العربية هي :

(ألف الاثني ، واو الجماعة ، تاء التأنيث ، ياء المخاطبة ، تاء المتكلم ، ضمير جماعة المتكلمين) وهذه الأعجاز اللاحقية متعددة الوظائف فتستعمل صيغتها الصوتية لأكثر من مورفيم ، فهي تدل على (العدد ، الجنس ، الإعراب) ومن أمثلة الإعجاز اللاحقية

- مسلمون ، مسلمات وتحليلها كما يلي

مسلم : مورفيم جذر الكلمة

ون : عجز الحاقى ، يمثل مورفيم جمع المذكر السالم

مسلمات

مسلم : مورفيم جذر الكلمة

ات : عجز الحاقى ، يمثل مورفيم جمع المؤنث السالم

الحشو :

هو المورفيم الذي يقحم في وسط الكلمة<sup>1</sup> . مثل : زيادة (ألف) في وسط الصيغة البسيطة مثل : (كاتب) من جذر الكلمة (كتب) ، و (دحرج) على وزن فعلل فكلمة دحرج - من جذر الكلمة (درج) والحاء : تمثل حشوا الحاقيا ، وجاءت للموقعية الصوتية ومثلها : بعثر - (بثر)

---

<sup>(1)</sup> انظر [http://www.sakr.com/technology\\_amorphology/default.aspx?ses](http://www.sakr.com/technology_amorphology/default.aspx?ses)

يمثل جذر الكلمة ، والعين : تمثل حشوا الحاقيا ، وجاءت للموقعية الصوتية ، مما أضفى عليها بعدا صوتيا جماليا<sup>١</sup> .

والحشو يأتي أحيانا نتيجة لتكرير المقطع الشائي فيتكون من جزئيات صوتية ، منسوقة من الجذر ، كما في كلمة : زل - زلزل . (زل) : يمثل جذر الكلمة . أما (زل) الثانية : تمثل حشوا الحاقيا .

وقد يكون الحشو ناتجا عن التضعيف والذي يقود إلى زيادة المعنى وفقا للقاعدة اللغوية (زيادة المبنى تقود إلى زيادة المعنى) وهذه القاعدة تكون بالتضعيف وحروف سألتمونيها . ومن أغراض الزيادة : التبيه أو الإشارة إلى لفت النظر إلى قضية محددة مثل :

أو مُخْرِجِي هَمْ ؟ أَفَعْمِيَاوَانِ أَنْتَمَا ؟ فَسِيكْفِيهِمُ اللَّهُ .

ومنه كلمة : (ادّكر) والتي اجتمع فيها الإبدال والإدغام والتضعيف الذي نتج عنهما إذ أصلها أتذكر على وزن افتعل ، فقلبت الذال دال ، ثم أدغمت التاء في الدال فصارت (ادّكر) وهي تدل على قوة التذكر ، أي تفجر التذكر بعد زمن طويل .

وهنالك نوع آخر من المورفيمات التي دارت فيها آراء اللغويين ألا وهو :

---

<sup>١</sup> انظر رينية كاحز ، يصل محمد المهنا ، النظرية التفاضلية في التحليل اللغوي ، مرجع

سابق ، ص ١٠٧



## المورفيم السالب (zero morpheme)

ويطلب عليه المورفيم الخالي وهو مورفيم لا يوجد في الكلام المنطوق أو المكتوب وإنما يكون مستترا أو مقدرًا محذوفًا لعله لغوية ، ويرمز إليه برمز الخلو (O) ومثاله : الضمائر المسندة ، وحركات الإعراب المقدرة مثل : (مسلم) وهو مورفيم حذر الكلمة يدل على تذكير وإفراد ، وبما أن هذه المعاني أساسية أولية فاللغة لا تضع لها أحيانا مورفيمات ظاهرة ، بل تجعلها مستترة تدرك من خلال السياق ، ومثلها : ضربت - ضرب + ت.

ضرب : تمثيل مورفيم جذر الكلمة

ت : مورفيم التأنيث الذي يدل على أن الفعل مسند إلى المفردة الغائبة<sup>١</sup>

## المبحث الثالث

من الشواهد القرآنية للأبنية اللغوية

ففي هذا المبحث نقف على بعض من الشواهد القرآنية للأبنية من الكتاب العزيز ، وبتحليل هذه الأبنية وملاحظة الدلالة المركزية

---

<sup>١</sup> انظر محمد محمد داود ، العربية وعلم اللغة الحديث ، مرجع سابق ص ١٦٥

من السياق والموضوعات التي تتناولها هذه النصوص القرآنية ، فمثل هذه التطبيقات على النص القرآني يمكن للقارئ أن يستفيد من الجانب اللغوي الذي يأخذه أخذا للمعنى العام الذي يريده بالألفاظ هي التي تستوعب المعاني وفي لغة القرآن نجد المفردة القرآنية ذات البنية الواضحة التي تحمل في مضمونها المعاني الواسعة والتي لها ظلال ملموسة في السياق العام وهذا هو سر الإعجاز في المباني القرآنية لما فيها من الفصاحة والبلاغة والبيان وهذا ما يتضح لنا في هذا المبحث .

أنظر إلى قوله تعالى في بداية سورة البقرة : ( ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)<sup>١</sup> فالمتقين هنا تمثل الدلالة الأساسية في هذه الآية ولقد قال الزمخشري في الكشاف<sup>٢</sup> المنقى في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية الصيانة (وهو في الشريعة الذي يقى نفسه تعاطي ما يستحق من العقوبة من فعل أو ترك ولقد وقف ابن مسعود في قوله هدى للمتقين فقال نور للمتقين وهم المؤمنون أما ابن عباس فقد قال في هدى للمتقين أي الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ويرجون رحمته في التصديق مما جاء منه)<sup>٣</sup> .

---

(١) سورة البقرة الآية (٢)

(٢) انظر الكشاف للزمخشري ج ١/ص ٣

(٣) فتح القدير ٠ الشوكاني ج ١ / ص ٤٠

قال تعالى في سورة آل عمران (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون ❖ إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ❖ بل إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسؤمين)<sup>١</sup> .

ففي نهاية الآية (١٢٤) منزلين والآية (١٢٥) مسؤمين فالبنية الأولى باسم المفعول والبنية الثانية باسم الفاعل وهما دالتان مركزيتان تشيران إلى عون المولى جلت قدرته لنيبه المصطفى (ﷺ) وعباده المسلمين في غزوة بدر حيث نزول الملائكة - ولهم سيما وإشارات واجتمعت في مسؤمين بكسر الواو اسم الفاعل أي معلمين وعلامات التسويم في اللغة هو إظهار سيما الشئ قال المولى عز وجل في شأن أصحاب المصطفى (ﷺ) : (سيماهم في وجوههم من أثر السجود)<sup>٢</sup>

أساسيات دلالة الأبنية اللغوية والصدور الإلحاقية :

ومن هنا فأساسيات دلالة الأبنية اللغوية في علم اللغة تعتمد على تتبع البنية والمفردة واللفظة في سمتها وصيغتها من أولها إلى آخرها ولكل جزء من أجزاء الكلمة دلالة معينة وكذلك معنى يؤثر في

(<sup>١</sup>) سورة آل عمران الآيات (١٢٣-١٢٥)

(<sup>٢</sup>) سورة الفتح الآية (٢٩)

السياق العام وهكذا تتحول الكلمة إلى أجزاء لكل جزء منها دلالة ولكل زيادة في المبني زيادة في المعنى كما وأن لكل اشتقاق من الاشتقاقات اللفظية دلالة فحينما تتنوع الصيغ وتتبادل الكلمات داخل السياق اللغوي العام تتوسع المعاني وتظهر الدلالة المركزية الأساسية بداية من الحرف الذي هو عبارة عن الصوت<sup>١</sup> أو الفونيم ثم المورفيمات التي تكون الصيغ والمفردات حيث أن الكلمة العربية تتكون من مورفيمين أو أو أكثر وهي تتنوع في الصيغ والمفردات على حسب ما تقتضيه السياق العام والقالب اللغوي مثلما هو يتكون من الفونيمات والمورفيمات فهو كذلك يتكون من الصدور والإلحاقية والأحشاء والإعجاز الإلحاقية وصدر الكلمة بدايتها وأشهر الصدور الإلحاقية في اللغة العربية هي أحرف المضارعة التي تجمعها لنا أحرف أنيت أو نأيت فبنية المضارع تدل على التجدد والاستمرار أنظر إلى قوله تعالى في سورة الكهف : (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال)<sup>٢</sup> فالقلب هنا حالة تجديد واستمرار في تلك الفترة التي مكث فيها أهل الكهف السنوات ذوات العدد قال تعالى (ولبثوا في كهفهم ثلاثة مائة سنين وازدادوا تسعا)<sup>٣</sup>.

---

<sup>١</sup> ( فقه اللغة في الكتب العربية / د. عبده الراجي - دار اللغة العربية ص ١٧ - ١٩٧٩م

<sup>٢</sup> ( سورة الكهف الآية (١٨) ج ١٥

<sup>٣</sup> ( سورة الكهف الآية (٢٥) ج ١٥

والتقليب هنا يمثل دلالة أساسية مركزية كان الصدر الإلحاقى (النون) الذي هو صدر بنية (نقلبهم) والذي فيه إشارة واضحة لذلك الذي هو التمكث الذي امتد ثلاثة عقود من عمر الزمان ثم كان ذلك التجدد الذي فيه الحركة ذات اليمين وذات الشمال كأنما يحسبهم من يراهم أنهم أيقاظا مع أنهم رقود .. وهذا ما جاء في بداية الآية "وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال" وكذلك الحال في شأن عصا نبي الله موسى ، أنظر إلى قوله تعالى : (وما تلك بيمينك يا موسى ❖ قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى ❖ قال ألقها يا موسى ❖ فألقاها فإذا هي حية تسعى)<sup>١</sup>

فأبنية المضارع في هذه الآيات لها دلالات أساسية تحمل القارئ حملا إلى المعنى بل توجهه إليه توجيهها في (أتوكأ - أهش - تسعى) فالصدر الإلحاقية المتمثلة في بداية المضارع بالهمز في (أتوكأ - أهش) والتاء في (تسعى) ... فالتجدد والاستمرار دلالتان على الاستعمال والاستخدام للعصا في (أتوكأ - أهش) والحركة الحيوية في (تسعى) .. أو في إذا هي حية تسعى .

---

<sup>١</sup> سورة طه الآيات (١٧-٢٠)

وتبقى من الصدور الإلحاقية في بنية المضارع الباء التي نرى شاهدها القرآني ماثلا في سورة يس في قوله تعالى (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون) فبنية (لا يبصرون) بدأت بالياء الذي هو صدر الكلمة أو الصدر الإلحاقى الذي لحق ببداية الكلمة والذي جذر الكلمة فيها من الثلاثي (بصر) فالياء تمثل صورا إلحاقيا لهذه الكلمة والذي تمثل دلالة مركزية أساسية يعتمد عليها السياق القرآني للآية فحينما جعل الله من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا إشارة إلى أنهم لا يبصرون وهكذا فالصدر الإلحاقى وزيادة المبني هنا فأدت إلى زيادة المعنى هناك وهذا هو سر الإعجاز والفصاحة والبيان في لغة القرآن ومن ثم تتبع البنية في صدرها لتتقل إلى جذرها فتكون فيه زيادة المبني التي تقود إلى زيادة المعنى (لأن المباني الصرفية morpheme تعتبر من المعاني الصرفية الوظيفية)<sup>١</sup> أنظر إلى قوله تعالى في سورة يوسف (وادكر بعد أمة) فزيادة المني هنا المتمثلة في التصنيف الذي فوق الدال له دلالة أساسية في سياق بنية (وادكر) والتي بمعنى انفجر منه التذكير.. وهذا هو صاحب يوسف في السجن (الساقى) والذي بشره (نبي الله) يوسف بالنجاة حينما فسر له رؤياهما أعني بذلك ساقى الملك وخبازه .. وهذا ما سجله القرآن الكريم بلسان (نبي الله) يوسف قال تعالى ك (يا صاحبي السجن أما أحدكما

<sup>١</sup> (اللغة العربية معناها ومبناها - د. تمام حسان - الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٨٢

فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي  
الأمر الذي فيه تستفيان ❖ وقال للذي ظن أنه ناجي منهما أذكرني  
عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين<sup>١</sup>

ثم كانت من بعد ذلك رؤيا الملك التي أحارت المفسرين والملا من حوله  
وهنا تذكر الساقى (نبي الله) يوسف بقراءته الأحوال أي رؤيا الملك  
المحيرة هي التي ذكرته بيوسف ولذلك كانت الآية تحمل في دلالتها  
تفجر التذكر فجاءت عند صاحب يوسف وهذا ما يتضح في الغالب  
اللغوي (وادكر) بعد أمة فقليل بعد نعمه أي أن صاحب يوسف آنتسته  
النعمة يوسف وقيل بعد نسيان فذكرته رؤيا الملك وقيل بعد مدة  
فزيادة التضعيف في جذر الكلمة التي هي (ادكر) وأصلها (اذكر)  
فكان (ادغام الذال في الدال) وتضعيف الدال (الذي قلبت فيه تاء  
الافتعال دالا على ثقلها ولتقارب مخرجيهما)<sup>٢</sup> والذي أفاد ذلك المعنى  
الأساسي التي تعتمد عليها الآيات السابقة وهو التذكر وخطاب  
الساقى للملك بأن يوسف الشخص الوحيد الذي يمكنه يفسر له هذه  
الرؤيا ويعبر له عنها وقد كان وهكذا فالشاهد القرآني ملئ  
بالفصاحة والبلاغة والبيان فمع الإيجاز والاختصار في الصيغة المعنية  
إلا ان المعاني تتسمع وظلال الكلمة يكون لها أثر في ما قبلها وما

<sup>١</sup> سورة يوسف الآيات

<sup>٢</sup> التحرير والتنوير - لابن عاشور ج ٣/ص ٢٨

بعدها فالمفردة القرآنية تتناسب في السياق وتكون لها مركزيتها وأساسيتها بحث لو حاول من يحاول أن يخرجها ويضع بدلا عنها أو ما ينوب عنها لما استطاع إلى ذلك سبيلا . فهي لا يمكن أن تستعوض بدلا عنها على الإطلاق وهذا هو عين الإعجاز والبلاغة والبيان في لغة القرآن .

ثانيا : تنوع الصيغ والأبنية اللغوية :

ثم تنوع الاشتقاق والأبنية والصيغة من أسماء الفاعلين والمفعولين وأسماء الزمان والمكان وصيغ التفضيل والتعجب والمصادر القياسية وصيغ التكثير وغيرها انظر إلى قوله تعالى في نهاية سورة ق (واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب ❖ يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج ❖ إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير ❖ يوم تشق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير ❖ نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد)<sup>١</sup> .

فحينما نقرأ الآيات تستوقفنا هذه الصيغ المتمثلة في صيغ التكثير والتي لها دلالات واضحات في سياق الآيات كنحو ما نرى في (قريب - خروج والتي منها الخروج - ومصير التي منها وإلينا المصير) وسراعا - ووعيد التي منها فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ..

<sup>١</sup> سورة ق الآيات ٤١-٤٥ ج ٢٦



فالدلالات واضحات ومحددات فاستماع المنادي حُدِّدَ بأنه من مكان قريب ... والتي على وزن فعيل ، ويوم الصيحة هو يوم الخروج التي منها خروج على وزن فعول فحُدِّدَ يوم الصيحة بأنه هو يوم الخروج ثم أن المولى جلت قدرته هو المحي والمميت ... وفي هذا تحديد لمصير الخليقة أي مخلوقات الله في حياتهم ومماتهم فلهم مصير محتوم فإذا جاء أجلهم فلا يستقدمون ساعة ولا يتأخرون ثم كانت بنية (جبار) التي على وزن فعال وبنية وعيد التي على وزن فعيل فهكذا القرآن كتاب فيه تذكير ووعيد (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ❖ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)<sup>١</sup>

ثم انظر كذلك إلى قوله تعالى : (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ❖ فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدرٍ قليل ❖ ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور ❖ وجلعنا بينهم وبني القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين)<sup>٢</sup>

---

<sup>١</sup> (سورة الزلزلة الآيات ٧-٨ ج ٣٠)

<sup>٢</sup> (سورة سبأ الآيات ١٦-١٨ ج ٢٢)

ففي هذه الآيات المتقدّمات تظهر الاشتقاقات وتحمل في ظلال صيغاً وأبنيئها دلالات ومعاني بينات كنعو ما ترى في (مسكنهم) فمسكن هنا على وزن مفعول ودلالته مكنية هو تحديد المسكن أي مكان السكن ، لهم فيه جنتان عن يمين وعن شمال فالخضرة والجمال دلالة على النعمة فهي إذن بلدة طيبة فلما كان الشكر كانت المغفرة (كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) وغفور هنا على فعول ، والغفران هنا من المولى عز وجل فهو غفران مطلق فيه الرحمات الكثيرات .

ثم من بعد ذلك كان الكفران بالنعمة وكان الجزاء من جنس العمل ... فكان الخبر فيه تقطير ومن هنا جاءت الإشارة إليه ببنية (قليل) والتي على وزن فعيل (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدرٍ قليل) ثم كانت بنية كفور والتي فيها (وهل نجازي إلا الكفور) ونقف كذلك عند (وشروه بثمن بخس)<sup>١</sup> حيث بخس هنا بمعنى مبخوس حيث جاء المصدر بمعنى اسم المفعول<sup>٢</sup> وهكذا فالشواهد القرآنية دعامة من الدعائم المهم في البحث عن الدلالات الأساسية لتحليل الأبنية اللغوية والتوسع في المعاني بين ظلال الكلمات والصيغ والمفردات .

<sup>١</sup> سورة يوسف الآية ١٩

<sup>٢</sup> جواهر الحسان - تفسير الثعالبي

### ثالثا : الإعجاز الإلحاقية :

وأخيرا ندلف إلى نهاية البنية وفي إعجازها الإلحاقية فمثلما هنالك دلالات لصدور الصيغ وبداياتها وكذلك زيادات في جذورها وتنوع في اشتقاقاتها ودلالاتها ، هنالك دلالات في إعجازها وأواخر صيغها وأشهر الإعجاز الإلحاقية في اللغة العربية (واو الجماعة) التي فيها الإشارة لجماعة الذكور كذلك الألف والتاء التي فيها إشارة لجمع المؤنث السالم والألف والنون التي فيها الإشارة للتثنية ويجري مجراها والياء التي للمخاطبة وغيرها.

لنا أن نتبع ذلك في الكتاب العزيز قال تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ❖ واحفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا ❖ ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا ❖ وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ❖ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا)<sup>1</sup> فحينما نقف على أبنية (لا تعبدوا - الوالدين - أحدهما -

<sup>1</sup> سورة الإسراء الآيات ٢٣-٢٧

كلاهما - لهما - لا تتهرهما - أرحمهما - ربياني - تكونوا  
صالحين - الأوابين - المبذرين - الشياطين) .

ففي البنية الأولى الخطاب موجه إلى عامة الناس من فقيل النصح  
والتوجيه والإرشاد .. فواو الجماعة هنا تمثل عجزا إلحاقيا يشير إلى  
جماعة الذكور ولأن الأمر من الأهمية بمكان كان خطاب عاما  
ويرتبط بالعبودية لله سبحانه وتعالى والتي تعتم

على طاعة الوالدين . وهذه البنية الأخيرة (الوالدين) كان العجز  
الإلحاقى في نهاية الكلمة يشير إلى التشبية في القطع الأخير (ين) حيث  
البر والإحسان يكون للأب والأم الاثنان على السواء . جاء في القرآن  
وبالوالدين إحسانا . فالمصدر هنا في إحسان دلالاته الأمر أي أحسنوا  
للوالدين أما دلالة التشبية في (أحدهما أو كلاهما ولهما ولا تتهرهما  
أرحمهما) .. فالإعجاز الإلحاقية تحمل دلالة ووحدة على الرعم من تنوع  
الصيغ والقوالب اللغوية لأنها جميعها تختتم بضمير الغائب (هما) والذي  
يشير إلى ما يجري مجرى التشبية فهو عجز إلحاقى دلالاته الأساسية بين  
جانبيين اثنين هما ... لا تتهرهما وارحمهما - فالدلالة المركزية هنا بين  
النهي والأمر فالنهي عن رفع الصوت والزجر لهما والأمر بالعطف  
والرحمة لهما .

أما العجز الإلحاقى في (ربياني) فالياء هنا والتي تمثل المقطع الأخير من الكلمة أداة خطابية تمثل عجزاء إلحاقيا دلالتة الإشارة والتركزي على التربية في الصغر لأن الطفل أكثر ما يحتاج إلى والديه في هذه السن التي تحتاج إلى الرعاية والاهتمام وخطاب المولى هنا بدأ ببنية الأمر المتمثلة في اخفض لهما جناح الذل من الرحمة ثم تكرير الأمر بيينة (وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا) ثم الخطاب للمولى عز وجل في نوع من الأدب (قل ربي) أي تأدب وادعو لهما مخاطبا مولاك (قل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا) وكذلك الإعجاز اللاحاقية في تكونوا المتمثل في (واو الجماعة) والياء والنون في (صالحين) والأدبين فالله سبحانه وتعالى غفور رحيم عليم بما في تكوين عباده إن كانوا صالحين . عالم كذلك بالمبذرين الذين هم من إخوان الشياطين .

وكذلك العجز الإلحاقى في التاء في (سولت) في قوله تعالى (بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل) فالتاء هنا إشارة إلى إخوة يوسف حينما خاطبهم أبوهم نبي الله يعقوب والتقدير فأمره صبر جميل والله المستعان على ما تصفون

وفي نص آخر من النصوص القرآنية تتبع الإعجاز اللاحاقية قال تعالى مخاطبا مريم (عليها السلام) (فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا ❖ وهزي إليك بجزع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا

❖ فكلي واشربي وقرى عينا فيما ترين من البشر أحدا فقولي إني  
نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا) <sup>١</sup> .

وحيثما نمت النظر في الأبنية اللغوية في هذا النص القرآني الكريم  
(تحزني - وهزي - فكلي - واشربي - وقرى - فقولي)

فهذه الأبنية تمثل دلالات مركزية ذات معاني أساسية في هذه الآيات  
القرآنية ، فالخطاب من المولى عز وجل لمريم كانت فيها الإشارة  
واضحة (بياء المخاطبة) في (ألا تحزني) فرحمة المولى من حولك ثم  
كانت المخاطبة في العجز الإلحاقى المتمثل في الياء (الياء) (وهزي)  
فالخطاب بالهمز أضفى على البنية اللغوية حركة ملموسة امتلأت فيها  
هذه الكلمة بالحيوية بل هناك إيحاء بالصورة لأن الهمز فيه تحريك  
اليد فكأنما أصبح هذا الجذع في قبضة اليد في صورة مائلة وليس  
ذلك على الله بعزيز فكان هذا الهمز فيه تساقط الرطب الناضج  
وكل هذه المعاني المتقاربة والظلال الواسعة من إعجاز القرآن وفصاحة  
أبنيته وبيانه ... وقررة العين ولقد قيل أن تناول الرطب والبلح هو أكل  
فيه الشبع وشرب فيه السقيا وراحة فيها قررة العين وهذا ما اتضح من  
أبنية (فكلي واشربي وقرى عينا) التي كانت متزيلة بالعجز الإلحاقى  
المتتملة في ياء المخاطبة .

---

(<sup>١</sup>) سورة مريم الآيات ٢٤-٢٦ ج ١٦

وهكذا فالقرآن الكريم ملئ بالشواهد اللغوية وما ذكرناه هذا كان على سبيل المثال لا الحصر من الأبنية اللغوية والتي تحمل يمثل القرآن الكريم فيها الرحيق المختوم من الثمار اليانعة والقطوف الدانية على مر الدهور والأيام .

الخاتمة :

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا قال تعالى (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ)<sup>١</sup>.

فالقرآن الكريم مليئ بالجواهر اللغوية وبال فصاحة والبيان فهو الكتاب الحفيظ لأسرار اللغة وأبنيتها فهو الشاهد والدليل بأصواته وأبنيته ودلالاته فهو حفيظ ومحفوظ ولغته العربية محفوظة بحفظه قال تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)<sup>٢</sup> فبنية حافظون هنا بمعنى حفظناه في الماضي ونحفظه في الحاضر وسنحفظه في المستقبل وهكذا تتنوع الأبنية اللغوية في معانيها ولذا جاء البحث موسوما بعنوان (من الشواهد القرآنية للأبنية اللغوية / دراسة تحليلية تطبيقية)

---

(<sup>١</sup>) سورة ق الآية (٤) ج ٢٦

(<sup>٢</sup>) سورة الحجر الآية (٩) ج ١٤

.. ونحن إذ نصل إلى ختام هذا البحث نذيله بالنتائج التي إليها البحث والتي يمكننا أن نجملها في الآتي :

أولاً: القرآن الكريم بعد دعامة أساسية لمدرس اللغوي الحديث بالشواهد المتمثلة في الأبنية اللغوية لأنه يحتوي على مادة ثرة وغزيرة يجد فيها الباحث الزخيرة اللغوية المناسبة لحلاوة اللغة وسلامة الفكرة .

ثانياً : حينما نبحث عن الجوانب اللغوية في بنية الكلمة وصدورها وجذرها وعجزها الإلحاق في النص القرآني يظهر لنا المعنى ويبين لنا الغرض .

ثالثاً : الدلالة الأساسية والمركزية في السياق القرآني تحمله الأبنية اللغوية يترتب دقيق ونظام بديع تظهر فيه فصاحة القرآن وبلاغته وبيانه وإعجازه في وضع المفردة والصيغ في مكانها المناسب والمضبوط بعناية فائقة .

رابعاً: البحث في لغة القرآن تحوطه القدسية هما يتطلب الدقة والأناة فيما تبحثه ونقرأه ونكتبه .

خامساً : البحث في لغة القرآن الكريم تنقلك من قيمة إلى قيمة تتجسد في الصيغ اللغوية والأبنية المحكمة في أن تكون الألفاظ على



قدر المعاني والمعاني على قدر الالفاظ وفي كثير من الأحيان نجد أن اللفظ يستوعب معانية واسعة وظلالا وارقة من الفصاحة والبيان .

المصادر والمراجع :

١. القرآن الكريم
٢. أثر عناصر البناء الظاهر للجملة في التعبير الدلالي - د. بكري محمد الحاج - جامعة أمدرمان الإسلامية
٣. أرتشف الضرب من لسان العرب - أبو حيان الأندلسي - تحقيق رجب عثمان - مراجعة رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجي - القاهرة ١٤١٨هـ - ١٩٨٨م ز
٤. أضواء على علم اللغة - نايف خرما - سلسلة علم اللغة ١٩٨٧م
٥. التحرير والتوير - الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور - مكتبة العلوم - المدينة المنورة ١٩٩٥م
٦. جواهر الحسان - تفسير عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي - بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م
٧. دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية - د. لطيفة إبراهيم - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م
٨. شذى العرف في فن الصرف - الشيخ احمد الحملاوي - مكتبة الصفا القاهرة - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

٩. شرح شافية ابن الحاجب - الرضي - تحقيق محمد النور  
الحسن - محمد الزفزاف - محمد محي الدين ١٤١٢هـ -  
١٩٩١م
١٠. العربية وعلم اللغة د/ محمد داؤود - بيروت ١٤١٨هـ -  
١٩٩٧م
١١. علم الدلالة د. احمد مختار عمر / ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م
١٢. علم اللغة - مقدمة للقاري العربي د/ محمد السعران  
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م
١٣. فتح القدير - محمد بن علي بن محمد الشوكاني ت ١٢٥٠هـ  
- دار إحياء التراث
١٤. فقه اللغة في الكتب العربية القديمة - د/ عبد الرحمن - دار  
النهضة العربية ١٩٧٩م
١٥. فقه اللغة وخصائص العربية - د/ محمد المبارك - دار الفكر  
١٤٠١هـ - ١٩٨١م
١٦. الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل - الزمخشري -  
١٣٥٤هـ
١٧. لسان العرب - لابن منظور - دار إحياء التراث - بيروت  
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م
١٨. اللغة العربية معناها ومبناها - د/ تمام حسان - الهيئة المصرية  
العامّة للكتاب ١٩٧٣م
١٩. المعاني في ضوء أساليب القرآن د/ عبد الحليم لارشين -  
القاهرة دار المعارف ١٩٧٨م

٢٠. النظرية التفاضلية في التحليل اللغوي - رينية كاجر - محمد

المهنا - جامعة الملك سعود ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

٢١. الوجيز في فقه اللغة - عبد القادر محمد مايو - دار العلم

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

بسم الله الرحمن الرحيم

بلاغة التّصوير بالحركة

في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف

إعداد

١ / د.حمد النيل عثمان عبد السيد

٢ / روفسور/ عمر السيد العباس بدر

شوال ١٤٣٤هـ / أغسطس ٢٠١٣م

بلاغة التّصوير بالحركة

في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف

## ملخص الدراسة

يُعدُّ التَّصوِير بالحركة طريقاً من طرق الإبانة والتعبير عن المعنى، وهو بذلك يدخل في صميم التَّصوِير البياني لقدرته على تشخيص المعاني المجرَّدة في صور محسوسة بارزة للعيان. هدفت هذه الدراسة إلى دراسة نماذج من صور التعبير بالحركة في القرآن الكريم والحديث النبويِّ الشريف بغرض الكشف عن جمال التصوير الحركي في القرآن والحديث النبوي.

اتبعت الدراسة المنهج الاستقرائي والاستنباطي استناداً على أهم المصادر والمراجع ذات الصلة بالموضوع. توصلت الدراسة إلى نتائج عدة، أهمها:

أنَّ التصوير الحركي يؤكِّد المعاني ويزيدها رسوخاً في الأذهان ؛ وذلك بسبب ما يتوافر في التصوير الحركي من

مشاهد متحركة زائدة عن الدلالة باللُّغة يصل بها المتكلم إلى قمة النفاذ والتأثير في النفس الإنسانية، وأنَّ التصوير بالحركة يعدُّ أعلى طرق الأداء والتعبير وأقدرها على إبراز المعنى، فضلاً عن أن للتصوير بالحركة وظيفة بيانية إذ إنَّه يجسِّد المعنى في صورة حسيَّة يستطيع أن يراها السَّامع أو القارئ ، ووظيفة دلالية تتمثل في هدف التصوير بالحركة ومغزاه ترغيباً أو ترهيباً.

توصي الدراسة بجعل كلِّ من القرآن الكريم والحديث النبوي أصلاً يُعتمدُ عليه في الدَّرس اللُّغوي، واعتمادهما من الشواهد الأصيلة التي يُستدلُّ بها في اللغة بكل فروعها، كما توصي بدراسة التصوير الحركي من خلال الأجناس الأدبيَّة الأخرى كالشعر والنثر، والعمل على دراسة هذا النوع من التصوير وأثره على الآداب الحديثة في القصَّة والمسرح

## المقدمة :

مما هو معروف فإنَّ الاتِّصالَ يعدُّ من أهمِّ وظائف اللُّغة ؛ لهذا فإنَّ الكلامَ المنطوقَ وحده لا يحقق هذه الوظيفة فلا بدَّ من اشتمال الكلام المنطوق على مكملات من الحركات الجسمانيَّة، وقد انحصر مصطلح التصوير البياني في حدود النظرة الضيقة لفنونه ووظيفته لدى علماء البلاغة المتأخرين في دراسة التشبيه والمجاز والكناية، ولم يعد واسعاً كما كان عليه الحال لدى عبد القاهر الجرجاني كما يفصح عنه قوله: " واعلم أن قولنا الصورة إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا، فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة، فكان تبين إنسان من إنسان وفرس من فرس بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذلك منه"<sup>(١)</sup>.

والمراد بـ(التَّصوير بالحركة) التعبير عن المعنى بحركة تكشف خبايا المعنى وتبرزه للعيان، وقد قال النبيُّ ﷺ: (ليس المخبرُ

كالمُعَاين<sup>(١)</sup>؛ لذا أردنا أن ندرسَ نماذجَ للتصوير الحركي في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف؛ للوقوف على دلالة تلك الحركات والإشارات، مكتفين بدراسة بعض طرق التصوير بالحركة لوفائها بإبراز ما تسعى الدراسة إلى تحقيق

### **أهداف البحث :**

هدف البحث إلى دراسة نماذج من صور الحركة في القرآن الكريم والحديث النبوي بغرض الكشف عن البلاغة في التعبير والتصوير بالحركة.

### **منهج البحث:**

المنهج الذي اتبعته الدراسة هو المنهج الاستقرائي الاستنباطي القائم على تتبع النصوص القرآنيّة والنبويّة وتحليلها.

### **هيكل البحث :**

يتكون البحث من مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، ثم هوامش الدراسة.



في المبحث الأول تناولنا تحديد المراد بمصطلح التصوير بالحركة وإشارة المتقدمين من علمائنا إليه. وجاء المبحث الثاني بعنوان: من بلاغة التصوير بالحركة في القرآن الكريم، أما المبحث الثالث فقد جاء بعنوان: من بلاغة التصوير بالحركة في الحديث النبوي الشريف، وختمنا البحث بأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

**المبحث الأول: ماهية مصطلح التصوير بالحركة وأهدافه، وموقف العلماء منه:**

نقصد بالتصوير بالحركة التعبير عن المعاني المتنوعة في التركيب اللغوي بحركات كاشفة لأحوال النفس الإنسانية من مشاعر وانفعالات، أو هو " الفعل الحركي الذي يؤديه الإنسان بواسطة أعضائه الجسمية للتعبير عما بداخله من المشاعر الإنسانية، أو الوجدانيات النفسية تجاه الأحداث المتباينة التي أثارت شعوره نحو الرضا بشيء ما، أو الفرح به، أو التعجب منه، أو تقبله، أو إنكاره، أو النفور منه، أو الاستئناس به، أو الخوف منه أو الإقبال عليه أو الإعراض عنه، أو التهكم به أو السخرية منه.. أو تصوير حدث معين

أو صفةٍ معنويّةٍ بصورة حركية تظهر في الأعضاء الجسميّة" (٣)، كلُّ هذا يأتي في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف موحياً بكثير من الدلالات والإيماءات التي تبرز هذه المعاني شاخصة تأكيداً للبيان القولي مضيئةً دلالات زائدة عن الدلالة باللغة، ولا شك أنّ التصوير بالحركة للمعاني أكثر تأكيداً في الدلالة من البيان القولي الذي تتشكل دلالاته ومعانيه عن طريق التعبير باللغة، بسبب ما توافر فيه من مشاهد متحركة زائدة عن الدلالة باللغة يصل بها إلى قمة النفاذ والتأثير في النفس الإنسانية.

ولعلّ المعنى الذي يأتي مصحوباً بحركته يكون أوقع في النفس فالعنى يزداد قوّةً في الأداء، وكشفاً لدواخل النفس ومضمراتها حين تقترن بالبيان القولي حركات تجسّد المعنى حياً شاخصاً معروضاً تراه العين، "وما من شك في أنّ للتصوير بالحركة وظيفة بيانية تكمن في تصوير هذا المعنى في صورة حسية.. ووظيفة دلالية تتمثل في الهدف من التصوير بالحركة" (٤).

## إشارة العلماء إلى أهمية التصوير بالحركة:

مصطلح التصوير بالحركة من المصطلحات النقدية والبلاغية التي ظهرت في دراسات المحدثين ممن شغلوا بالصورة الفنية، ولعل من أوائل من اهتم به، وسعى لإبرازه ونبه إليه - فيما نعلم - سيد قطب في كتابه (التصوير الفني في القرآن)، وركز في تحليل صورته وشواهدة في تفسيره القيم "في ظلال القرآن"، وهذا لا ينفي وجود إشارات لعلمائنا السابقين نبهت إلى أهمية التصوير الحركي، نذكر منها:

ما نجده عند الجاحظ (أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب) الذي حصر أصناف الدلالات على المعاني في خمسة أشياء لا تتقص ولا تزيد، أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال وتسمى نسبة، والنسبة هي الحال الدالة، وأشار إلى التصوير بالحركة باعتبار اندراج بعض صورته في الإشارة حيث يقول: "قد قلنا في الدلالة باللفظ، فأما الإشارة فباليد، وبالرأس وبالعين

والحاجب، والمنكب، إذا تباعد الشخصان، وبالثوب وبالسيف،  
وقد يتهدد واقع السيف والسوط، فيكون ذلك زاجراً، ومانعاً  
رادعاً، ويكون وعيداً وتحذيراً" (٥). ثم ذكر أن الإشارة واللفظ  
شريكان في أداء المعنى بقوله: "والإشارة واللفظ شريكان، ونعم  
العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تتوب عن  
اللفظ، وما تغني عن الخط..." (٦) ، ويبيّن بعد ذلك أنّ الإشارة لا  
تعدو أن تكون ذات صورة معروفة وحلية موصوفة على اختلاف في  
طبقاتها ودلالاتها، وفي الإشارة بالطرف والحاجب، وغير ذلك من  
الجوارح معونة حاضرة في أمور يُسرُّها النَّاسُ من بعضٍ ويخفُّونها  
مِنَ الْجَلِيسِ وغير الجليسِ ، ولولا الإشارةُ لم يتفاهم النَّاسُ معنى  
خَاصِ الخَاصِ. ويضيف الجاحظ مزيةً للإشارة والحركة فنجد  
يقول: " رب كناية تربي على إفصاح ولحظ يدل على ضمير، وإن  
كان ذلك الضمير بعيد الغاية على النهاية" (٧).

وتحدّث ابن جنّي عن الإشارة والحركة ونقل مشاهدتها وأحوالها لما  
في ذلك من معانٍ وأسرارٍ بلاغيّةٍ، فقال: " .. والذي يدلّ على أنهم قد

أحسُّوا ما أحسَّسنا وأرادوا وقصدوا ما نسبنا إليهم إرادته وقصدَه  
شيئان أحدهما حاضر معنا والآخر غائب عنا إلا أنه مع أدنى تأمُّلٍ  
في حكم الحاضر معنا؛ فالغائب ما كانت الجماعة من علمائنا  
تشاهده من أحوال العرب ووجوهها وتُضطرُّ إلى معرفته من  
أغراضها وقُصودها من استخفافها شيئاً أو استثقاله وتقبُّله أو  
إنكاره والأُنس به أو الاستيحاش منه والرضا به أو التعجُّب من  
قائله وغير ذلك من الأحوال الشاهدة بالقُصود بل الحالفة على ما  
في النفوس، ألا ترى إلى قوله:

تقول وصكَّت وجهها بيمينها أبعلِي هذا بالرحى المتعاس<sup>(٨)</sup>

فلو قال حاكيا عنها: (أبعلي هذا بالرحى المتعاس) من غير أن  
يذكر صكَّ الوجه لأعلمنا بذلك أنها كانت متعجِّبة منكِّرة ، لكنَّه  
لما حكى الحال فقال: (وصكَّت وجهها) علِّم بذلك قوَّة إنكارها  
وتعاضُّم الصورة لها، هذا مع أنك سامع لحكاية الحال غير مشاهد  
لها، ولو شاهدتها لكنت بها أعرف ولِعظم الحال في نفس تلك المرأة  
أبين، وقد قيل: (ليس المخبر كالمعاین)، ولو لم ينقل إلينا هذا الشاعر

حال هذه المرأة بقوله: (وصكّت وجهها) لم نعرف به حقيقة تعاضم الأمر لها<sup>(٩)</sup>، ويشير بعد ذلك إلى أنّ الإنسان إذا عناه أمرٌ وأهمّه وأراد أن يخاطب به صاحبه استعطفه ليقبل عليه حتى يتمكّن من تصويره له تصويراً يبلغه تمام المعنى؛ فيقول له: "يا فلان أين أنت أرني وجهك، أقبل على أحدثك.. فإذا أقبل عليه وأصغى إليه اندفع يحدثه أو يأمره أو ينهاه أو نحو ذلك، فلو كان استماع الأذن مغنياً عن مقابلة العين مجزئاً عنه لما تكلف القائل ولا كلف صاحبه الإقبال عليه والإصغاء إليه وعلى ذلك قال الشاعر<sup>(١٠)</sup>:

(العينُ تبدى الذي في نفسِ صاحبها ❖❖ من العداوة أو ودٍ إذا كانا)،

وقال المهذلي<sup>(١١)</sup>:

(رَفَوْنِي وَقَالُوا يَا خُوَيْلِدُ لَا تُرْعُ ❖❖ فَقُلْتُ وَأَنْكَرْتُ الْوَجُوهَ هَمَّ هَمَّ)،

أفلا ترى إلى اعتباره بمشاهدة الوجوه وجعلها دليلاً على ما في النفوس وعلى ذلك قالوا رب إشارةً أبلغ من عبارة<sup>(١٢)</sup>.

ومنه ما ذكره ابن رشيق القيرواني منبهاً إلى جمال التعبير

بالإشارة، وأهميته في بناء المعنى وتمامه بقوله: "وقالوا مبلغ

الإشارة أبلغ من مبلغ الصوت، فهذا باب تتقدم الإشارة فيه الصوت، وقيل: حسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان<sup>(١٣)</sup>، والإشارة عنده - كما ذكر - " تدل على بعد المرمى وفرط المقدره، وليس يأتي بها إلا الشاعر المبرز، والحاذق الماهر.. وهي في كل نوع من الكلام لمحة دالة، واختصار وتلويح يعرف مجملاً ومعناه بعيد من ظاهر لفظه"<sup>(١٤)</sup>، واستشهد بقول قيس بن زهير العبسي<sup>(١٥)</sup>:

**جعلتُ يديَّ وشاحاً لهُ      وبعضُ الفوارسِ لا يعْتَبِقُ**

قوله: (جعلتُ يديَّ وشاحاً له)، إشارة بديعةً إلى المعانقة بغير لفظها وهي دالةٌ عليها، وهذا ما أكده ابن سنان الخفاجي بقوله: "عانقته بأئني تركت يدي وشاحاً له فأوضح المعنى حين جعل له مثلاً معروفاً مشاهداً"<sup>(١٦)</sup>.

• وممن أشار إلى أهمية التصوير الحركي: ابن أبي الأصبع فنجده يعرف الإشارة بأنها: " .. ائتلاف اللفظ مع المعنى بأن يكون اللفظ

القليل مشتقاً على المعنى الكثير بإيماء أو لمحة تدل عليه، كما قال بعضهم في صفة البلاغة: هي لمحة دالة، وشرح هذا الحد أنها إشارة المتكلم إلى معاني كثيرة بلفظ يشبهه.. لقلته واختصاره بإشارة اليد، فإن المشير بيده يشير دفعة واحدة إلى أشياء لو عبر عنها بلفظ لاحتاج إلى ألفاظ كثيرة جداً، ولا بد في الإشارة من اعتبار صحة الدلالة وحسن البيان مع الاختصار؛ لأن المشير بيده إن لم يفهم المشار إليه معناه بأسهل ما يكون، فإنشارته معدودة من العبث، ولهذا قال هند بن أبي هالة<sup>(17)</sup> في وصف رسول الله ﷺ: "إذا أشار أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدت اتصل بها يضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى" فوصفه ببلاغة اليد كما وصفه ببلاغة اللسان، يعني أنه يشير بيده في الموضع الذي تكون فيه الإشارة أولى من العبارة، وهذا حذق بمواضع المخاطبات<sup>(18)</sup>؛ وسيأتي التفصيل \_ بإذن الله - في بلاغة التعبير بالإشارة والحركة عند النبي ﷺ، فيما أسماه ابن أبي الأصبع ببلاغة اليد.



• وقد فسّر الزمخشريُّ قول الله تعالى: (وَلَمَّا سَقَطَ فِي

أَيْدِيهِمْ...) <sup>(١٩)</sup>، أي: " .. ولما اشتدَّ ندمهم وحسرتهم على عبادة

العجل؛ لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرتة يعض يده غماً

فتصير يده مستقوفاً فيها؛ لأن فاه قد وقع فيها" <sup>(٢٠)</sup>، ثم ذكر

قول الزجاج في تفسير الآية: " معناه سقط الندم في أيديهم، أي

في قلوبهم وأنفسهم، كما يُقال: حصل في يده مكروه، وإن

كان محالاً أن يكون في اليد، تشبيهاً لما يحصل في القلب وفي

النفس، بما يحصل في اليد ويُرى بالعين" <sup>(٢١)</sup>.

وقد كان كلام العرب يأتي مصحوباً بحركات كرفع اليد

عند الغضب أو التهديد، ووضع اليد على الفم عند التعجب، وغير

ذلك، وإلى هذا أشار ابن عاشور في قوله: "والعض على اليد كناية عن

الندامة؛ لأنهم تعارفوا في بعض أغراض الكلام أن يصحبوها

بحركات بالجسد مثل التشذر، وهو رفع اليد عند كلام الغضب قال

لبيد بن ربيعة:

## غُلِبَ تَشَدُّرُ بِالذُّحُولِ كَأَنَّهَا جُنُّ الْبَدِيِّ رَوَاسِيًا أَقْدَامُهَا<sup>(٢٢)</sup>

والتشدرُ: الإيعاد أي: يوعد بعضهم بعضاً. ومثل وضع اليد على الفم عند التعجب، قال تعالى: {فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ} (٢٣) ؛ ليعضوا عليها من شدة الغيظ ، ومنه في الندم قرع السن بالأصبع، وعض السبابة وعض اليد.. وفي الغيظ عض الأنامل قال تعالى: {وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمُ النَّأْمِلَ مِنَ الْغَيْظِ..} (٢٤) ، وكانت كنايات بناءً على ما يلازمها في العرف من معان نفسية ، وأصل نشأتها عن تهيج القوة العصبية من جراء غضب أو تلهف<sup>(٢٥)</sup>. وقد اشتملت أنواع الأدب العربي - من شعر ونثر - على الكثير من مكملات الكلام من الحركة الجسميَّة لتحقيق المعنى وتأكيدِه.

ومما تقدم تتضح إشارةُ علمائنا السابقين إلى التَّصوير بالحركة، وكيف أنَّهم وضحو أهميته وأثره في الكلام البليغ، مما يدل دلالة قاطعة على عنايتهم به وإن لم يطلقوا عليه هذا الاسم الذي أصبح معروفاً به لدى المحدثين.

المبحث الثاني: من بلاغة التصوير الحركي في القرآن الكريم :

اشتمل القرآن الكريم على الكثير من الآيات التي وصفت الحركات الجسمانيّة بوصفها مكملات للكلام، كما اشتمل على العديد من الآيات التي تشير إلى أعضاء الجسم المختلفة سواءً ما يصدر الحركة منها أو ما يستقبلها من الأعضاء، وذلك إمّا بلفظها أو بتعبيراتٍ مجازيّةٍ وفي صيغٍ مختلفةٍ من صيغ الاسم أو الفعل؛ فقد جاء ذكر العين والطرف، والجبين والجبهة، والأنف والضم والشفيتين، والرأس، والعنق، والرقبة، والأنامل والأصابع، والساق، وغيرها من الأعضاء.

وهناك أنواع من صور الحركة الجسميّة في القرآن الكريم نذكر منها:

- ١- حركة يقوم بها أحد أعضاء الجسم منفرداً.
- ٢- حركة تحدث نتيجة التقاء أحد أعضاء الجسم بعضو آخر من أعضائه.

٣- حركات يشترك في إحداثها عضو أو أكثر من أعضاء الجسم مع شيء واحد أو أكثر.

٤- نوعٌ تتعدم فيه الحركة؛ لأنَّ انعدام الحركة في حد ذاته يؤدي معنى في الحركة، وسيأتي تفصيله (إن شاء الله).

ويتضمَّن النوع الأول الحركات ونظائرها، أما الحركات فتشمل الآيات التي تصف الحركة الجسميَّة من حيث مقوماتها، والجارحة المحدثه لها، أو أن تأتي الآية القرآنيَّة باللفظ الدال على هذه الحركات، ومن ذلك قوله تعالى: {لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} (٣٦).

يقول سيد قطب: "والعين لا تمتد، إنما يمتد البصر أي يتوجه، ولكن التعبير التصويري يرسم صورة العين ذاتها ممدودة إلى المتاع" (٣٧)، فالسلوك هنا أن تطمح العين إلى الشيء وتتنظر نظر رغبة.. وفي قوله تعالى: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} (٣٨)؛ فالله تعالى يعلم خائنة أعين المحبين، واستحسانهم تعمد النظر إلى غير المحبوب

باستحسان واستلذاذ وما تخفيه الصدور من متمنيات النفوس  
ومستحسنيات القلوب ومرغوبات الأرواح ف" الخائنة: صفة للنظرة. أو  
مصدر بمعنى الخيانة، كالعافية بمعنى المعافاة، والمراد: استراق  
النظر إلى ما لا يحل، كما يفعل أهل الريب"<sup>(٢٩)</sup>، فخائنة صفة  
لموصوف مقدر، وجعل النظرة خائنة إسناد مجازي يجعل النظر بمنزلة  
شيء يسرق من المنظور إليه ولذا عبر فيه بالاستراق.

ومن ذلك أيضاً ما جاء في القرآن الكريم في معنى التكبر:  
{وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ  
مُخْتَالٍ فَخُورٍ} <sup>(٣٠)</sup>، (لا تصعّر خدك) أي: لا تملّ خدك للناس كبيراً  
عليهم وإعجاباً واحتقاراً لهم، وقيل: هو أن تلوي شذقك إذا دُكرَ  
الرَّجُلُ عنْدَكَ كَأَنَّكَ تَحْتَقِرُهُ؛ فالمعنى: أقبل عليهم متواضعاً مؤنساً  
مستأنساً، وإذا حدّثك أصغرهم فاصغ إليه حتى يكمل حديثه"<sup>(٣١)</sup>  
وإلى هذا المعنى أشار رسولُ الله ﷺ بقوله: "لا تباغضوا ولا تدابروا ولا  
تحاسدوا وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق  
ثلاث"<sup>(٣٢)</sup>. فالتدابير الإعراض وترك الكلام والسلام ونحوه. وإنما قيل

للإعراض تدابر؛ لأن من أبغضته أعرضت عنه ووليته دبرك؛ وكذلك يصنع هو بك. ومن أحببته أقبلت عليه بوجهك وواجهته لتسره ويسرك؛ فمعنى التَّدَابِر موجود فيمن صَعَّرَ خده.

أمَّا نظائر الحركات فمثالها من القرآن الكريم ما نجده في الآيات الكريمة التي تدلُّ على القيام أو القعود أو الاتكاء، أو الركوع، أو المشي وغيرها.

يأتي بعد ذلك النوع الثاني - الحركة الجسميَّة التي تحدث نتيجة التقاء أحد أعضاء الجسم بعضو آخر - فمثالها اليد أو الأنامل أو الأسنان، ومنه قوله تعالى: {وَأِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ..} (٣٣)، والعض هو الإمساك بالأسنان أي تحامل الأسنان بعضها على بعض. والأنامل جمع أنملة، وهي أطراف الأصابع. وقيل هي الأصابع. والغَيْظ: أشد الغضب. وعضهم الأنامل كناية عن شدة غضبهم وتحسُّرهم وحنقهم على المؤمنين، "ولعلَّ هذا الفعل نتيجة لاضطراب بواطن المنافقين من الانفعال فتصدر عنهم حركات تناسب ذلك الانفعال" (٣٤)؛ فالله تعالى هو المطلع على بواطن المنافقين الذين

يظهرون للمؤمنين المودة وهم في الباطن خلاف ذلك، فنقل لنا الله عزَّ وجلَّ هذا الفعل الحركي أمام أعيننا لتصوره ونتبين شدة غيظهم وتحسُّرهم، وهذا انفعال حركي ليس فيه كلام يقال ولكن فيه واقع يُرى.

ومثلها قول الله تعالى: {أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ} (٣٥) يقول سيد قطب: "إنه مشهد عجيب، حافل بالحركة مشوب بالاضطراب، فيه تيه وضلال، وفيه هول ورعب، وفيه فزع وحيرة، وفيه أضواء وأصداء.. صيب من السماء هاطل غزير (فيه ظلمات ورعد وبرق)، (كلما أضاء لهم مشوا فيه)، (وإذا أظلم عليهم قاموا) أي وقفوا حائرين لا يدرون أين يذهبون، وهم مفرعون: {يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ}، إن هذه الحركة لترسم - عن طريق التأثر الإيحائي - حركة التيه والاضطراب والقلق التي يعيش فيها أولئك المنافقون بين لقائهم

للمؤمنين، وعودتهم للشياطين.. فهو مشهد حسّي يرمز لحالة نفسية؛  
 ويجسم صورة شعورية.. وهو طرف من طريقة القرآن العجيبة في  
 تجسيم أحوال النفوس كأنها مشهد محسوس، وعندما يتم استعراض  
 الصور الثلاث يرتد السياق في السورة نداء للناس كافة، وأمرًا  
 للبشرية جمعاء، أن تختار صورة المتقين..<sup>(٣٦)</sup> تلك الصورة الكريمة  
 المستقيمة النَّقِيَّة الخالصة المهتدية المفلحة: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ  
 الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ.. }<sup>(٣٧)</sup>، إنه النداء إلى  
 الناس كلهم لعبادة ربهم الذي خلقهم والذين من قبلهم<sup>(٣٨)</sup>، ولعلَّ  
 حركة وضع أصابعهم في آذانهم بيِّن شدة صوت الرعد المصحوب  
 بالصواعق المهلكة؛ فالمقام يستدعي المبالغة عن طريق المجاز المرسل؛  
 لأنهم في موقف رعبٍ وفزعٍ شديدين خوفًا من الموت. ومثل هذه الصورة  
 - وضع الأصابع في الآذان - ما جاء من قوم نوح فيما حكاه القرآن  
 على لسان سيدنا نوح عليه السلام: { وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا  
 أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا  
 اسْتِكْبَارًا }<sup>(٣٩)</sup> ونحن نعرف بالبداهة أنَّ الأصبع لا تدخل كلها في



الأذن، وإنما يكفي لسد فتحة السمع طرف الأصبع، ولكنها المبالغة في العناد فهم " .. يسدونها في عنف بالغ ، كأنما يحاولون أن يجعلوا أصابعهم كلها في آذانهم ضمناً لعدم تسرب الصوت إليها بتاتاً، وهي صورة غليظة للإصرار والعناد"<sup>(٤٠)</sup> وهنا يرسم القرآن تلك الحركة التي تتكرر بتكرار الدعوة، ف(كلما) دعاهم سيدنا نوح عليه السلام للحق تكرر المشهد.

وهناك آيات في القرآن تشير إلى ألفاظٍ دالةٍ على الحركة دون وصفها مثل: (صَكَتْ وَجْهَهَا) في قوله تعالى: { فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتَهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ }<sup>(٤١)</sup>، حكاية عن السيدة سارة زوج إبراهيم (عليه السلام) حين جاءته الملائكة وبشروه بغلامٍ، وهي في سن يستبعد فيها الحمل فلطمت وجهها. وضربت جبينها تعجباً، كعادة النساء إذا أنكرن شيئاً؛ فالمرء تصيبه الدهشة حين يرى ما يخالف المألوف لديه، ولكنَّ قدرة الله ومشيئته لا تتقيَّد بمألوف البشر.

ونحو قوله تعالى: { وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً . }<sup>(٤٢)</sup> ، والمكاء: الصفير، والتصدية: التصفيق؛ فقد كان المشركون " يطوفون بالبيت عراة - الرجال والنساء - وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون، وكانوا يفعلون نحو ذلك إذا قرأ رسول الله ﷺ في صلاته يخلطون عليه "<sup>(٤٣)</sup>، وهنا نلمح هذه الألفاظ الدالة على هذه الصور الحركية .

أما النوع الثالث - الحركات التي يشترك في إحداثها عضو أو أكثر - فنجدها في مثل قوله تعالى: {وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ..} <sup>(٤٤)</sup> ، فعندما رجع موسى ﷺ إلى قومه ووجدهم يعبدون غير الله غضب غضباً جعله يلقي الألواح وفيها كلام الله - ولكن كان غضبه لله - وحق له أن يغضب؛ فقد ترك قومه على هدى فوجدهم في طغيانٍ يعمهون في الضلالات؛ (فأخذ برأس أخيه يجره إليه) " وهي حركة تدل على شدة الانفعال.. فهذه الألواح هي التي كانت تحمل كلمات ربه. وهو لا يلقيها إلا وقد أفقده

الغضبُ زمامَ نفسه. وكذلك أخذه برأس أخيه يجره إليه، وأخوه هو هارون العبد الصالح الطيب" (٤٥).

ولنا أن نستأنس بصيغة (فَعْلَان) في قوله تعالى: (غَضْبَانِ أَسِفًا)؛ إذ إنها تأتي لتدلَّ على: الحدث، وتجده في النفس، وامتلاء الموصوف به، ووصوله أقصى حد؛ لأنك عندما تقول: (فلانٌ عطشان) فهذا يدل على: حدوث العطش، وتجديده، وامتلاء الموصوف به، ووصوله أقصى حد في العطش، ولعل التجدد يشير إلى أن هذه الصفة قابلة للزوال بزوال المؤثر، فإذا شرب العطشان، زال العطش، وكذا الحال في الآية السابقة؛ إذ إنَّ الله تعالى وصف موسى عليه السلام بالغضب، وجاءت الصفة (غضببان)، وهذا ما أشار إليه الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي في قوله: "ومن المقرر في علم التصريف في اللغة العربية أنَّ الصِّفَّةَ (فَعْلَان) تمثل الحدوث والتجدد والامتلاء والاتصاف بالوصف إلى حده الأقصى، فيقال (غَضْبَان) بمعنى امتلاً غضباً (فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً) لكن الغضب زال (فلما سكت عن موسى الغضب).."(٤٦).

ومن أمثلة الحركات التي يشترك في إحداثها أكثر من عضوٍ ما نجده في قوله تعالى: {يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ} <sup>(٤٧)</sup> والتقلُّبُ شدة القلب؛ فملائكة العذاب تقلِّبُ وجوه الكفار في النار بغير اختيارهم، فهذا مشهد من مشاهد يوم القيامة " فالتعبير على هذا النحو يراد به تصوير الحركة وتجسيمها ، والحرص على أن تصل النار إلى كل صفحة من صفحات وجوههم زيادة في النكال" <sup>(٤٨)</sup>، ولعلَّ تخصيص ذكر الوجوه من بين سائر أعضاء الجسم؛ لأنَّ حرَّ النار يؤذي الوجوه أشدَّ ممَّا يؤذي بقية الجسد، فضلاً عن أنَّ الوجه أكرم موضع في الإنسان من جسده فهو مقر الحواس الدقيقة، " ويجوز أن يكون ذكر الوجوه من باب المجاز المرسل فأطلق الجزء (وهو الوجه) وأراد الكل (وهو الإنسان المناق) وأوثر هذا الجزء لما فيه من مزيد اختصاصٍ بذوق العذاب ومعاناة آلامه أكثر من غيره، فإذا ما أحرق في النار كان ما وراءه من سائر الأعضاء أولى، وأتى بصيغة المضارع للدلالة على تجدد الحدث واستمراره، وتضعيف العين في الفعل [تقلَّب] للدلالة على كثرة الحدث

وتكراره" (٤٩)، وإلى هذا أشار القرآن الكريم: {..كَلِمًا نُّضِجَتْ  
جُلُودُهُمْ بِدَلَّتَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ..} (٥٠) والعذاب شعور  
بالألم وإحساسٌ به، وهنا يبيِّن الله تعالى أنَّ عذاب الكافرين على  
الدوام.

وجاء الفعل (تقلَّب) في سياق غير الذي ورد في الآية السابقة؛ فقد  
خاطب الله تعالى نبيِّه الكريم عليه أفضل الصلاة وأتمَّ التسليم بقوله:  
{ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ  
شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ..} (٥١) يقول الفخر الرازي في تفسير الآية: " اعلم  
أن قوله: {.. قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ} فيه قولان: القول الأول:  
وهو المشهور الذي عليه أكثر المفسرين أن ذلك كان لانتظار تحويله  
من بيت المقدس إلى الكعبة، والقائلون بهذا القول ذكروا وجوهاً  
أحدها أنه كان يكره التوجه إلى بيت المقدس ويحب التوجه إلى  
الكعبة إلا أنه ما كان يتكلم بذلك فكان يقلب وجهه في السَّمَاء..  
والقول الثاني: وهو أنَّ النبيَّ ﷺ كان يقلب وجهه في أول مَقْدَمِهِ  
المدينة؛ فقد رُوِيَ أَنَّهُ ﷺ كان إذا صلى بمكة جعل الكعبة بينه وبين

بيت المقدس وهذه صلاة إلى الكعبة، فلما هاجر لم يعلم أين يتوجه  
فانتظر أمر الله تعالى حتى نزل قوله: {..فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ  
الْحَرَامِ..}”<sup>(٥٢)</sup>. وذكر ابن جرير الطبري: ”.. كان أول ما نُسخ من  
القرآن القبلة، وذلك أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة - وكان  
أكثر أهلها اليهود- أمره الله عز وجل أن يستقبل بيت المقدس،  
ففرحت اليهود، فاستقبلها رسول الله ﷺ بضعة عشر شهراً، فكان  
رسول الله ﷺ يُحِبُّ قِبْلَةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فكان يدعو وينظر إلى  
السماء، فأنزل الله تبارك وتعالى: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ)،  
إلى قوله:(فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ)<sup>(٥٣)</sup>، فارتاب من ذلك اليهود،  
وقالوا:(مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا)، فأنزل الله عز وجل:  
(قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ)، وقال:(فَإَيُّمَّا تُوَلُّوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ)<sup>(٥٤)</sup> وقد  
فصل المفسرون الأقوال في هذه الآية، ونكتفي بما ذكرناه فيها ونعود  
لنبيِّن الإعجاز اللغوي في الفعل (تقلَّب) الدال على الصورة الحركية من  
رسول الله ﷺ؛ لأنَّ من معاني مادة (قلب) ما يتوافق مع الدلالة التعبيرية

للآية الكريمة وهي تحوُّل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة؛  
 إذ إنَّ القلب تحويل الشيء عن وجهه، وجاء التعبير القرآني بتقلُّبِ  
 (وجهك) بدلاً عن (نظرك)؛ لأنَّ من معاني (وجه) ما يتعلق بالسماء، ولا  
 يُقالُ لمن رفع رأسه إلى السماء مرَّةً واحدةً: قلبَ بصره في السماء،  
 وإنما يُقالُ (قلب) إذا داومَ النظر في السماء، وهذا يعني أنَّ النَّبِيَّ ﷺ  
 قد نظرَ إلى السَّمَاءِ غَيْرَ مرَّةٍ دَاعِيًا رَاغِبًا مَشْوِقًا إلى نزول الوحي ليُخْبِرَه  
 بتحويل القبلة.

وتأتي كذلك - في سياقٍ عجيب - مادة (قلب) في قصة  
 أصحاب الكهف، في قوله الله تعالى: {وَتَحْسِبُهُمْ أَيَّامًا وَهُمْ رُقُودٌ  
 وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ زِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ  
 اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوِئِيَّتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمْلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا} (٥٥) وهو - كما يقول  
 سيد قطب - "مشهد تصويري عجيب، ينقل بالكلمات هيئة الفتية في  
 الكهف، كما يلتقطها شريط متحرك. والشمس تطلع على الكهف  
 فتميل عنه كأنَّها متعمدة. وكلمة (تزاور) تصور مدلولها وتلقي ظل  
 الإرادة في عملها. والشمس تغرب فتجاوزهم إلى الشمال وهم في فجوة

منه"<sup>(٥٦)</sup>. وقد أثبت العلم الحديث أن مَنْ يرقد في الفراش بسبب المرض مدة طويلة أو إذا ما استقرَّ جسمه على شيء لمدة طويلة تنسدّ مسامّ الجسم في هذا المكان، ولا تسمح بإفراز العرق، فيُسبّب ذلك ضرراً بالغاً وهو ما يُسميه الأطباءُ بـ(قروح الفراش)، من آثار الرقود على الجسد. فيلفتنا الله تعالى إلى هذه الحقيقة فيقول: {وَتَقَلَّبُهمْ ذَاتَ اليمينِ وَذَاتَ الشمالِ}.

وفي قوله تعالى: {رِجالٌ لَّا تُلهيهمْ تجارةٌ وَّلا بَيعٌ عَن ذِكرِ اللهِ وإِقامِ الصَّلاةِ وإِيتاءِ الرِّكاةِ يَخافونَ يَوماً تَتَقَلَّبُ فيهِ القُلُوبُ وَالْأَبصارُ} <sup>(٥٧)</sup> نلمح قمة حركة الحياة في التجارة التي تقتضي البيع والشراء، وهما قمة التبادلات، ولكنَّ لله رجالاً لم تُلههم تلك التجارة عن الذكر وإقام الصلاة؛ لأنهم عرفوا ما في الزمن المستقطع للصلاة من بركة يتبارك بها الزمن المتبقي. ثمَّ يأتي تصوير هول يوم القيامة بحركة تبين شدة خفقان القلب واضطراب حركته، وما ينتابه من خفقانٍ شديد، ونحن نرى ما يصيب القلوب من ذلك لمجرد أحداث الدنيا، فما بالناس بهول الآخرة، وتقلب الأبصار هنا وهناك؛ لأنها حين ترى الفرع الذي يخيفها



تتقلب، تنظر هنا وتتنظر هنا علَّها ترى ما يُطمئنُّها أو يُخفِّف عنها ما تجد (تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ)، "يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب من هوله بين طمع بالنجاة، وحذر بالهلاك، وتتقلب الأبصار إلى ناحية يؤخذ بهم، أذات اليمين أم ذات الشمال؟ ومن أين يؤتون كتبهم، أمن قِبَل الأيمان أو من قِبَل الشمائل؟ وذلك يوم القيامة"<sup>(٥٨)</sup>، ونجد هنا صلة بين مشهد (المشكاة) في قوله تعالى: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ..} ومشهد الرجال في قوله تعالى: {رِجَالٌ لَّا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ..}؛ فالتقارب بيِّن واضح في الصورة بين المصباح المشرق بالنور في المشكاة، والقلوب المشرقة بالنور في بيوت الله.

أمَّا النوع الرابع فهو النوع الذي تتعدم فيه الحركة الجسميَّة؛ لأنَّ انعدام الحركة في ذاته يؤدي معنى الحركة، ومثال ذلك ما نجده في (خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ) من قوله تعالى: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ❖ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرَاهُمْ ذَلَّةً..}<sup>(٥٩)</sup> فالكشف عن الساق كناية في تعبيرات اللغة العربية المأثورة عن الشدة

والكرب ؛ فهو يوم القيامة الذي يشمرّ فيه عن الساعد ويكشف فيه عن الساق، ويشتد الكرب والضيق، ويدعى هؤلاء المتكبرون إلى السجود فلا يملكون السجود فهذا تعبير مليء بالكرب والعجز والتحدي المخيف. ثم يكمل رسم هيئتهم: {خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة} أي: " خاشعة أبصارهم للذي هم فيه من الخزي والهوان"<sup>(٦٠)</sup>؛ لأنّ الأَبْصَارَ حين ترى الفزع الذي يُخيفُها تَتَقَلَّبُ، تنظر هنا وتتنظر هنا علّها ترى ما يُطمئنها، لكن هيهات فلن ترى إلا فزعاً آخر أشدّ وأنكى، فينتهي الموقف إلى: {خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ}، وهو نفس المشهد في قوله تعالى: {أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ}<sup>(٦١)</sup> والتي فيها إشعارٌ للقلب البشري بحقيقة الآخرة وهولها "وفي الطريق إلى إشعار القلب البشري حقيقة الآخرة الهائلة الضخمة العظيمة الكبيرة يوقع السياق إيقاعات منوعة على أوتار القلب، ويلمسه لمسات شتى حول تلك الحقيقة الكبرى.. فتلك الحقيقة تمهد لها في الحس وتهيئةً لاستقبالها في يقظة وفي حساسية.. يمهد لها بمطلع غامض الكنه يثير بغموضه شيئاً من الحدس والرغبة والتوجس: {والنازعات غرقاً..}، وعقب هذا المطع الغامض الراجف الواجف يجيء المشهد الأول من مشاهد ذلك اليوم. ظلّه من ظل

ذلك المطلع وطابعه من طابعه؛ كأنما المطلع إطار له وغلاف يدل عليه:  
{يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة . قلوب يومئذ واجفة . أبصارها  
خاشعة..}؛ فالأبصار شديدة الاضطراب، بادية الذل، يجتمع عليها الخوف  
والانكسار، والرجفة، والانهيـار" (٦٣)، ولن يجد في هذا اليوم راحة إلا مَنْ  
قدّم له العمل الصالح.

المبحث الثالث: من بلاغة التصوير بالحركة في الحديث النبوي  
الشريف:

الحركة والإشارة والفعل عند النبي ﷺ تأتي لتكون بمنزلة  
اللافتة المشوّقة قبل العبارة، فتزيد الغرض تمكناً في النفوس لا  
يمكن في العادة نسيانه وقد كان النبي ﷺ يستخدم التعبير الحركي  
في أحاديثه ليزيد المعنى رسوخاً وتأكيداً، وهذا ما أسماه ابن أبي  
الأصبع ببلاغة اليد عندما تحدّث عن وصف هند بن أبي هالة للنبي  
صلّى الله عليه وسلّم: (..إذا أشار أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها،  
وإذا تحدّث اتصل بها يضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى).. (٦٣)؛

فوصفه ببلاغة اليد كما وصفه ببلاغة اللسان، يعني أنه يشير بيده في  
الموضع الذي تكون فيه الإشارة أولى من العبارة، وهذا حذق بمواضع  
المخاطبات، في بلاغة التصوير بالإشارة والحركة عنده صلى الله عليه  
وسلم، فمن ذلك:

- عن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال: ( **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً.. ثم شبك بين أصابعه** )<sup>(٦٤)</sup>، لم يكتف النبي ﷺ بالتشبيه وأداته الظاهرة وذلك في تشبيه المؤمن للمؤمن في التماسك والتعاون والتكاتف بالبنيان الذي يشد بعضه بعضاً، لم يكتف بذلك وإنما أراد أن يكون المعنى أكثر رسوخاً فصوّر تلك الحالة بالحالة التي نقلها لنا راوي الحديث، وهي: ( **ثم شبك بين أصابعه** )، قال ابن حجر العسقلاني: " وفي قوله: يشد بعضه بعضاً بيان لوجه التشبيه.. وقوله ثم شبك بين أصابعه هو بيان لوجه التشبيه أيضاً، أي يشد بعضهم بعضاً مثل هذا الشد، ويستفاد منه أن الذي يُريد المبالغة في بيان أقواله يمثلها بحركاته ليكون أوقع

في نفس السامع" (٦٥). ويتضمن الحثّ منه أن يكونوا إخواناً متراحمين متحابين متعاطفين، يحب كل منهم للآخر ما يحب نفسه، ويسعى في ذلك، وأنّ عليهم مراعاة المصالح الكلية الجامعة لمصالحهم كلهم، وأنّ يكونوا على هذا الوصف فإنّ البنيانَ المجموعَ من أساسات وحيطان محيطة كليّة، وحيطان تحيط بالمنازل المختصة، وما تتضمنه من سقوف وأبواب ومصالح ومنافع. كل نوع من ذلك لا يقوم بمفرده حتى ينضم بعضها إلى بعض. فيجب على المسلمين أن يكونوا مراعين قيام دينهم وشرائعه وما يقوم ذلك ويقويه، ويزيل موانعه وعوارضه؛ وتعاون المؤمنين بعضهم بعضاً في أمور الدنيا والآخرة مندوب إليه بهذا الحديث، وذلك من مكارم الأخلاق، "فينبغي للمؤمنين استعمال آداب نبيهم ﷺ والافتداء بما وصف المؤمنين بعضهم لبعض من الشفقة والنصيحة، وتشبيكه بيه أصابعه تأكيداً لقوله، وتمثيلاً لهم كيف يكونون فيما حولهم من ذلك" (٦٦). وفي الحديث فائدة للعالم أو المعلم إذا أراد المبالغة في

البيّان فيمثل لطلابيه معنى أقواله بحركاته تصوّر المقصود  
وتكشف عن خبايا المعنى؛ لترسخه في الأذهان.

• وعن سهل بن سعد<sup>(٦٧)</sup> رضي عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: (أنا

**وكافل اليتيم في الجنة هكذا. وأشار بالسبابة**

**والوسطى وفرج بينهما)<sup>(٦٨)</sup>. أراد النبي صلّى الله عليه وآله أن يوضح قرب**

منزلة كافل اليتيم منه في الجنة فمئّل لها بإصبعيه (السبابة

والوسطى)، وكافل اليتيم هو القيم بأمره ومصالحه، وإنما

سميت السبابة بذلك؛ لأنها يُسبُّ بها الشيطان، وفي رواية: ..

السبّاحة وهي الإصبع التي تلي الإبهام وسميت بذلك؛ لأنها

يُسبَّحُ بها في الصلاة فيُشارُ بها في التّشهُد "٦٩" ولا توجد منزلة

أعظم من مرافقة النبي صلّى الله عليه وآله في الجنة لذا وجب على من سمع

هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي صلّى الله عليه وآله في الجنة وفي

إشارته صلّى الله عليه وآله بالسبابة والإبهام والتفريق بينهما إشارة إلى أن بين

درجة النبي صلّى الله عليه وآله وكافل اليتيم قدر تفاوت ما بين السبابة

والوسطى. وهو نظير الحديث الآخر: عن سهل بن سعد رضي  
الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَذِهِ مِنْ  
هَذِهِ، أَوْ كَهَاتَيْنِ ، وَأَشَارَ - وَفِي رِوَايَةٍ وَأَلْصَقَ - بِالسَّبَابَةِ  
وَالْوَسْطَى) (٧٠)، وفي إشارته ﷺ بإصبعيه تمثيل لقرب الساعة،  
يدلُّ على ذلك قرب السَّبَابَةِ مِنَ الْوَسْطَى وَأَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُمَا إصْبَعٌ  
أُخْرَى، كَمَا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَيَحْتَمَلُ أَنَّهُ لِتَقْرِيبِ  
مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمُدَّةِ وَأَنَّ التَّفَاوُتَ بَيْنَهُمَا كُنْسَبَةُ التَّفَاوُتِ بَيْنِ  
الإِصْبَعَيْنِ تَقْرِيبًا لَا تَحْدِيدًا، فَالنَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ يَرِيدُ مِنَ الْأُمَّةِ أَنْ  
تَضَعَ نَصَبَ عَيْنَيْهَا أَمْرَ الْآخِرَةِ فَيَتَوَقَّعُوا السَّاعَةَ فِي أَيِّ وَقْتٍ،  
فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: " .. بَادِرُوا إِلَى التَّوْبَةِ لِتَسْقُطَ عَنْكُمْ الْمَعَاصِي،  
وَأَزْهَدُوا فِي الدُّنْيَا لِيَخْفَ حَسَابِكُمْ، وَتَذَكَّرُوا الْآخِرَةَ  
وَأَهْوَالَهَا، وَمَا هُوَ إِلَّا مِنْ نَفْسٍ إِلَى نَفْسٍ فَتَصِيرُونَ إِلَيْهَا" (٧١).  
ولعلَّ مثل هذا الاستخدام للإشارة كان عند العرب شائعاً  
يُستعملُ للمبالغة ثم تفخيم الأمر وعند تحقيره، وعند تقريب

الشيء وعند تبعيده فيكون حاصل المعنى أن السَّاعَةَ تقوم قريباً جداً..

- وعن أنس رضي الله عنه قال: (خطَّ رسول الله ﷺ خطأً وقال هذا الإنسان ، وخطَّ إلى جانبه خطأً وقال هذا أجله ، وخطَّ آخر بعيداً منه وقال: هذا الأمل، فبينما هو كذلك إذ جاءه الأقرَب) (٧٢). صورَّ النبي ﷺ خيال الإنسان وهو شاردٌ بعيداً تائهٌ وحائرٌ، بل منغمسٌ في هذه الدنيا الفانية؛ لأنَّه سابحٌ في بحر الأمل وهو أبعد إليه من الموت الذي هو أدنى من شِرَاكٍ (٧٣) نعلِه، فجعل الأمل أبعد الخطيئين إلى الإنسان، والأجل أقربهما إليه. ومثله ما جاء عن بريدة (٧٤) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ( هل تدرُونَ ما مثل هذه وهذه؟ - ورمى بحصاتين - قالوا الله ورسوله أعلم . قال هذا الأمل ، وذاك الأجل) (٧٥). في هذا الحديث استخدم النبي ﷺ وسيلة إيضاحٍ حسيَّةٍ ثم أعقبها بالسؤال عن ذلك الأمر زيادةً في التشويق إلى الطلب؛ ليكون ذلك أثبت في النفوس، وأرسخ في القلوب، فهل ينسى الصحابي المشاهد موقع الحصاتين قريباً وبعداً؟ أم هل ينسى



المشبه بالحصاة القريبة (الأجل) في قربه، والمشبه بالحصاة البعيدة (الأمل) في بعده؟ والنبِيُّ ﷺ هو الأكثر حُبْرًا بمواقع الكلام، لذا نجده قد اختار أسماء الإشارة التي تتناسب في القرب والبعد من المشار إليه، فقال: [ هذا الأمل ] و[ ذاك الأجل ]. فمن خلال الحديث نلاحظ أن النبيَّ ﷺ قد عَضَّدَ فعله وحركته - رمي الحصاتين - بسؤالٍ عن ذلك الفعل.

• وعن أبي بكر<sup>(٧٦)</sup> رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ - ثلاثاً - قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَعَقُوقُ الْوَالِدِينَ - وجلسَ وكان مُتَكَبِّراً - فقال: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، قال: فما زال يُكرِّرها حتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ)<sup>(٧٧)</sup>.

وجد أن النبيَّ ﷺ استعمل الاستفهام بعثاً للاهتمام والتشويق، ولم تكن هذه الكبائر هي كل المقصود ولا أهمه؛ لأنها مقررة بالكتاب والسنة الشريفة لذلك جعلها كالتمهيد لما يلي، ويصور الصَّحَابِيُّ مدى اهتمامه ﷺ ب(شهادة الزور) وما يترتب عليها، فوصف

الحالة التي كان عليها من قبل، ثمَّ الحالة التي تحول إليها عندما أراد أن يذكر (شهادة الزور)، كلُّ ذلك حتَّى بيِّن لمن يستمعُ قوله أهميَّة الأمر.. (وكان متَّكناً فجلس) انتقالٌ مفاجئٌ من حالٍ إلى حالٍ، الانتقال الذي كان بمثابة النذير بأنَّ أمراً مهماً سيخبرُ عنه، وزاد النبي ﷺ سامعيه تشويقاً وذلك بأن جعل هذه الكبيرة مسبوقه بفعل يقسر على لفت الانتباه وبأداة العرض (ألا) ثم كررَّ الكبيرة (قول الزور) أو (شهادة الزور) كررها مرات عديدة لم يقدر أبو بكره على حصرها، وهذا يوضِّح لنا مدى فزع الصحابة وإشفاقهم على أنفسهم، وعلى رسول الله ﷺ فلم ينتبهوا على عدّها، فتمنوا لو أنّه سكت، ولعلَّ ذلك لم يكن إلا لأحد أمرين:

إشفاقهم على الرسول الكريم ﷺ من انفعاله .

إشفاقهم على أنفسهم من غضب النبي ﷺ .

ومن الحركات التصويرية الواردة في أحاديثه الشريفة ما ورد عن

ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: ( أُمرْتُ أَنْ أُسْجِدَ

عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ ، عَلَى الْجَبْهَةِ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ - وَالْيَدَيْنِ،

والركبتين، وأطراف القدمين، ولا نكفت الثياب<sup>(٧٨)</sup> والشعر<sup>(٧٩)</sup>،

نجد أن النبي ﷺ في هذا استعمل الإشارة فقط ليزيد الأمر رسوخاً في النفوس فأشار إلى الأنف والجبهة كعضو واحد، موضعاً بذلك أن السجودَ على الاثنتين معاً، وأنهما معاً موضعٌ واحدٌ فلا يجوز السجودَ على الجبهة دون الأنف كما لا يجوز العكس.

ومن ذلك ما نجده في قوله ﷺ: (إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم)<sup>(٨٠)</sup>.

سبب الحديث: أنَّ سعد بن عبادة اشتكى شكوى - أي مرض مرضاً - فأتى رسولُ الله ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود فلماً دخل عليه وجده في غشية. فقال أقد قضي؟ قالوا: لا يا رسول الله. فبكى رسول الله ﷺ فلما رأى القومُ بكاء رسولِ الله ﷺ بكوا، فقال: ألا تسمعون؟ (إن الله لا يعذب.. الحديث). نجد أن النبي ﷺ بإشارته للسان زاد الأمر ترسيخاً في النفوس؛ فالمرء يحزن إن ألمَّ مكروهٌ بأهله أو أحبابه، وهذا أمرٌ

فطريٌّ، لكن الناس يتفاوتون فيما ينطق به اللسان الذي يُعَدَّبُ المرءُ به أو يُرَحَّمُ، وقد جاء الحديث مشتملاً على مؤكّـدات لخبر الصادق الأمين إذ افتتحه بأداة التوكيد (إِنَّ) ثمَّ زاد الأمر توكيداً بأسلوب القصر الذي جاء بطريق العطف بـ(لكن)، وفي استخدامه ﷺ للإشارة التي نقلها لنا الراوي - وأشار إلى لسانه - تأكيد يزيد الأمر رسوخاً في النفوس. وجاء في الحديث: (إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَدَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ) (٨١)، والمراد بالبكاء هنا البكاء بصوت ونياحة لا مجرد دمع العين.

وعلى هذا التحوُّجاء التَّصوير الحركي في البيان النبوي، فقد كان أسلوبُ النَّبِيِّ ﷺ في أدائه للكلام متفرداً؛ لأنَّ اللغةَ عنده فطريَّةٌ، والبيان عنده ﷺ مسكونٌ بالجمالِ الإنسانيِّ، ومنطقه نابعٌ من إنسانيَّتهِ ومن وحي الله عزَّ وجلَّ، وما ذلك إلا لأنَّ الله تعالى هو الذي تكفَّلَ بإعداده لتبليغ رسالته للعالمين، فجمالُ بيانه ﷺ (القولِي والحركي) شَهِدَ به قومه قبل البعثة إذ شهدوا له بالصدق والأمانة، وفي ذلك شهادة له بجمال الخطاب. أمَّا بعد البعثة فأبلغ شاهد صدق

على ذلك ما قاله الصحابة الذين ساروا على قدمه وترسموا خطاه،  
ودونوا أقواله وأفعاله وشمائله وأحواله، وسجلوا أوصافه كاملة  
لتكتمل الصورة في معناها ومبناها جامعةً كلِّ لمحّة لسيدنا محمدٍ ﷺ  
من ميلاده إلى انتقاله للرَّفِيقِ الأَعْلَى. على نحو ما قاله هند بن أبي  
هالة: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم متواصل الأحران، دائم  
الفكرة، ليست له راحة، لا يتكلم في غير حاجة.. إذا أشار أشار  
بكفها كلها، وإذا تعجّب قلبها، وإذا تحدّث اتصل بها، يضرب  
براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا  
فرح غض طرفه، جلّ ضحكُه التَّبَسُّمُ ويفتر عن مثل حبّ الغمام.."، أو  
ما قالته أم معبد الخزاعية<sup>(٨٢)</sup>: " .. إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم  
سما وعلاه البهاء، حلّو المنطق، فصل لا نزر ولا هذر، كأن منطقَه  
خَرَزَاتُ نُظْمٍ يَتَحَدَّرْنَ.."

#### الخاتمة:

بعد هذه الجولة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف  
للقوف على بعض صور الحركة في كل من القرآن الكريم

والحديث النبويّ، مع علمنا بأنّ هذا الموضوع تمت مناقشته من قبل علماء أجلاء، لكننا أحببنا أن نُسهم في المناقشة؛ لأن لكل كاتب طريقته في الطرح والمناقشة، ومن خلال الأمثلة والنماذج المقدّمة، توصلت الدراسة إلى نتائج، أهمها أنّ:

- ١- التّصوير بالحركة يعدُّ أعلى طرق الأداء والتّعبير وأقدرها على إبراز المعنى فهو يؤكّد المعاني ويزيدها رسوخاً في الأذهان وذلك بسبب ما يتوافر في التصوير الحركي من مشاهد متحركة زائدة عن الدلالة باللّغة يصل بها المتكلم إلى قمة النفاذ والتأثير في النفس الإنسانيّة.
- ٢- والمعنى الذي يأتي مصحوباً بحركته يكون أوقع في النفس فالمعنى يزداد قوّة في الأداء، وكشفاً لدواخل النفس ومضمّراتها، حين تقترن بالبيان القولي حركات تجسّد المعنى حياً شاخصاً معروضاً تراه العين.

- ٣- هناك وظائف متعددة للتّصوير بالحركة، فنجد له وظيفة بيانية إذ إنّه يجسّد المعنى في صورة حسية يستطيع أن يراها

السَّامع أو القاريء، ووظيفة دلالية تتمثل في هدف التصوير بالحركة ومغزاه ترغيباً أو ترهيباً.

٤- كلَّ حركة جسميَّة وردت في القرآن الكريم أو الحديث

النبوي الشريف يمكن أن تُفهم من السياق، أو من اللفظ الدال عليها، أو من لفظٍ يسبقها أو يعقبها لشرحها؛ وذلك مما يسهل فهمها للمسلمين النَّاطقين بغير العربيَّة على نحو ما رأينا في العبارات الدالة على الحركة في الأمثلة التي ذكرناها.

٥- مثل هذه الدراسات لها أهميَّة بالغة فهي توحى بكثير من

الدلالات والإيماءات التي تبرز هذه المعاني شاخصة تأكيداً للبيان القولي مضيئةً دلالات زائدة عن الدلالة باللغة، خاصَّة وأنَّ المسلمين النَّاطقين بغير العربيَّة كانوا - وما يزالون - يتعلمون اللغة العربيَّة تعليماً نظامياً؛ فجاء توضيح القرآن والسنة للحركة الجسميَّة حتى يفهم هؤلاء الذين لا يعيشون في البيئة العربيَّة؛ لأنَّ الحركات الجسميَّة قد يختلف معناها من شعب لآخر.

٦- معظم صور الحركات الجسميَّة التي وردت في القرآن الكريم والحديث الشريف من النوع السائد في كلِّ ثقافات العالم؛ فهي موجودة في النُّظام الحركي للبشريَّة بصفةٍ عامَّةٍ، ومن ثمَّ يكون المعنى مفهوماً لدى سائر الشعوب التي تنتمي إلى ثقافاتٍ مختلفةٍ، ومن ذلك سلوك العين، وأوضاع الوجه وتعبيراته تحت تأثير المواقف والانفعالات، وأوضاع الرأس، وتغطية الأذن عند رفض السماع، وغيرها من صور الحركة الجسميَّة.

### توصيات:

توصي الدراسة ب:

- ١- اعتماد كلِّ من القرآن الكريم والحديث النبوي من الشواهد الأصليَّة التي يُستدلُّ بها في اللغة بكلِّ فروعها.



٢-دراسة التصوير الحركي من خلال الأجناس الأدبية الأخرى

كالشعر والنثر، والعمل على دراسة هذا النوع من التصوير وأثره

على الآداب الحديثة في القصّة والمسرح.

### حواشي البحث:

- (١) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، دار الكتاب العربي- بيروت، ط١، ١٩٩٥م، ص ٣٦٨.
- (٢) غريب الحديث لابن قتيبة، مطبعة العاني- بغداد، ط١٣٩٧، ه١، ص ٢٥.
- (٣) البلاغة القرآنية في التصوير بالإشارة والحركة الجسميّة، للدكتور عبد الله هنداوي، مطبعة الأمانة - مصر، ط١، ١٩٩٥م، ص ٤٥.
- (٤) من بلاغة التّصوير بالحركة في القرآن الكريم (دراسة في البيان الحاكي) للأستاذ الدكتور يوسف بن عبد الله الأنصاري، جامعة أم القرى، ص ٦.
- (٥) البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق: المحامي فوزي عطوي، دار صعب - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م، ص ٥٦.
- (٦) المصدر السابق، ص ٥٦.
- (٧) المصدر السابق نفسه ص ٢١٦.
- (٨) الكامل في اللغة والأدب للمبرّد (أبي العباس محمد بن يزيد) ط ٣، دار الفكر العربي - القاهرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ٣٤/١.
- (٩) الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، عالم الكتب بيروت ٢٤٥/١.
- (١٠) البيت للشاعر سعد بن محمد بن سعد بن الصيفي التميمي، شهاب الدين أبو الفوارس، المعروف ب(الحيص بيص)، الفقيه الأديب الشاعر، كان من أعلم الناس بأخبار العرب ولغاتهم وأشعارهم، توفي سنة ٥٧٤هـ.

(١١) أبو خراش خويلد بن مرة الهذلي (ت ٥١٥هـ) شاعر مخضرم، وفارس فاتك مشهور، أدرك بالعدو، فكان يسبق الخيل. أسلم وهو شيخ كبير، وعاش إلى زمن عمر، وله معه أخبار، نهشته أفعى قتلته، له شعر مطبوع في ديوان الهذليين.

(١٢) الخصائص ٢٤٧/١.

(١٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيرواني، دار الجيل - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٧٢م، ٣٠٩/١.

(١٤) المصدر السابق ٣٠٢/١.

(١٥) قيس بن زهير (ت ١٠هـ) هو قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي، كان فارساً شاعراً داهية يضرب به المثل (فيقال: أدهى من قيس)، وهو أمير عبس وأحد السادة القادة، كان يلقب بقيس الرأي لجودة رأيه وله شعر جيد فحل زهد في أواخر عمره فرحل إلى عُمان وما زال إلى أن مات فيها. وهو صاحب الحروب بين عبس وذبيان وأصلها أن قيساً تراهن على السباق بفرسه داحس مع حذيفة بن بدر فجعل بنو فزارة كميناً، فلطموا داحساً وأخذوا رهان الإبل فقالت عبس أعطونا جزوراً فإننا نكره القالة في العرب فأبوا ذلك، فما هي إلا أيام حتى أغار قيس عليهم فلقى عوف بن بدر فقتله وأخذ إبله... ثم اشتعلت الحرب سنين طويلة حتى ضرب بها المثل.

(١٦) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٢٣٣.

(١٧) هند بن أبي هالة: أبوه هو نبأش بن زرارة بن وقدان، فهند ربيب النبي صلى الله عليه وسلم وأمه السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وأخواته لأمه: زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة عليهن السلام.. وكان هند وصافاً، وقد شهد بدرًا، وقيل شهد أُحدًا، وقتل يوم الجمل. (أسد الغابة ٦١٩/٤).

- (١٨) ابن أبي الأصبع هو أبو محمد عبد العظيم بن عبد الواحد المتوفى سنة ٦٥٤هـ، تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ص ٣١.
- (١٩) سورة الأعراف ، الآية ١٤٨.
- (٢٠) تفسير الكشاف للزمخشري ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ١٥١/٢.
- (٢١) المصدر السابق ، ١٥١/٢ .
- (٢٢) ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت ، ص ١٧٧.
- (٢٣) سورة إبراهيم ، الآية ٩ .
- (٢٤) سورة آل عمران ، الآية ١١٩.
- (٢٥) التحرير والتوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر- تونس، ١٩٩٧م، ١٢/١٩.
- (٢٦) سورة الحجر - آية ٨٨.
- (٢٧) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ٤/٤٤٩.
- (٢٨) سورة غافر - آية ١٩.
- (٢٩) تفسير الكشاف للزمخشري ، ٤/١٦٣.
- (٣٠) سورة لقمان - آية ١٨ .
- (٣١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (أبي عبد الله محمد بن أحمد)، طبعة دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م ، ١٤/٦٨.
- (٣٢) صحيح البخاري، البخاري (محمد بن إسماعيل)، ط ٣، دار ابن كثير- بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ٥/٢٢٥٣.
- (٣٣) سورة آل عمران - آية ١١٩.
- (٣٤) البلاغة القرآنية في التصوير بالإشارة والحركة الجسمية، لهنداوي، ص ٥٥.

- (٣٥) سورة البقرة - آية ١٩ .
- (٣٦) في ظلال القرآن - سيد قطب ١/١٧ .
- (٣٧) سورة البقرة - آية ٢١ .
- (٣٨) في ظلال القرآن ، ١/١٧ .
- (٣٩) سورة نوح - آية ٧ .
- (٤٠) في ظلال القرآن - سيد قطب ٧/٣٤٦ .
- (٤١) سورة الذاريات - آية ٢٩ .
- (٤٢) سورة الأنفال - آية ٣٥ .
- (٤٣) تفسير الكشاف للزمخشري ٢/٢٠٧ .
- (٤٤) سورة الأعراف - آية ١٥٠ .
- (٤٥) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ٣/٢٩٧ .
- (٤٦) لمسات بيانية في نصوص التنزيل ، فاضل صالح السامرائي ، ص ١٥ .  
(كتاب إلكتروني).
- (٤٧) سورة الأحزاب - الآية ٦٦ .
- (٤٨) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ٦/١٠٠ .
- (٤٩) البلاغة القرآنية في التصوير بالإشارة والحركة الجسميّة ، لهنداوي ص ١٠٤ .
- (٥٠) سورة النساء - الآية ٥٦ .
- (٥١) سورة البقرة - الآية ١٤٤ .
- (٥٢) تفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب) ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ١ ،  
١٤٢١هـ ، ٤/١٠٠ .
- (٥٣) سورة البقرة - الآيات [١٤٤ - ١٥٠] .

- (٥٤) جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير الطبري ، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ٥٢٧/٢.
- (٥٥) سورة الكهف - الآية ١٨.
- (٥٦) في ظلال القرآن - سيد قطب ، ٥٦/٥.
- (٥٧) سورة النور - الآية ٣٧.
- (٥٨) تفسير الطبري - ١٩٤/١٩.
- (٥٩) سورة القلم - الآية ٤٢ - ٤٣.
- (٦٠) تفسير الطبري - ٦٢٥/٢٣.
- (٦١) سورة النازعات - الآية ٩.
- (٦٢) في ظلال القرآن - سيد قطب ٤٤٢/٧.
- (٦٣) دلائل النبوة ، لليهقي ، دار الفكر بيروت ، ٢١٣/١.
- (٦٤) صحيح البخاري، ١٨٢/١.
- (٦٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر ، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، ٤٥٠/١٠.
- (٦٦) شرح صحيح البخاري لابن بطلال، مكتبة الرشد - السعودية، ١٤٢٣هـ ، ط ٢ ، ٢٢٧/٩.
- (٦٧) سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة الأنصاري الساعدي من مشاهير الصحابة ، يقال كان اسمه حزناً فغيره النبي ﷺ، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة مات سنة ٩١ هـ وقيل سنة ٨٨هـ. (الإصابة ٢٠٠/٣).
- (٦٨) صحيح البخاري ٢٢٣٧/٥.
- (٦٩) فتح الباري - ج ١٠ ص ٤٣٦.
- (٧٠) صحيح البخاري، ٢٣٨٥/٥.

(٧١) فيض القدير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى - مصر،  
ط١، ١٣٥٦هـ / ١٧٢٠م.

(٧٢) الترغيب والترهيب للمنزري، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٧هـ،  
١٢٣/٤.

(٧٣) الشُّرَاكُ : سَيْرُ النَّعْلِ ، والجمع شُرُكٌ (انظر: لسان العرب ٤٥١/١٠ مادة  
شرك).

(٧٤) أبو سهل بريدة بن الحصيبي بن عبد الله من المهاجرين الأولين، ولما أراد  
النبي ﷺ دخول المدينة قال بريدة : لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء، ثم حمل  
عمامته وشدها في رمح ومشى بين يدي النبي ﷺ يوم قدومه المدينة.. انتقل إلى  
البصرة وأقام بها زماناً.. ثم خرج منها إلى مرو فاستوطنها في إمارة يزيد بن  
معاوية بن أبي سفيان إلى أن مات وبها قبره. (سير أعلام النبلاء، للذهبي،  
مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٩، ١٤١٣هـ، ٤٦٩/٢).

(٧٥) الترغيب والترهيب، ١٢٣/٤.

(٧٦) أبو بكر ( - ٥٢ هـ) هو نفيح بن الحارث بن كلدة. صحابي، من أهل  
الطائف، وهو ممن غلبت عليه كنيته، توفي بالبصرة، وإنما قيل له: (أبو  
بكرة)؛ لأنه تدلَّى ببكرة من حصن الطائف إلى النبي ﷺ. وهو ممن اعتزل  
الفتنة أيام: الجمل وصفين. (أسد الغابة لابن الأثير الجزري، ١٠٠٧/١).

(٧٧) صحيح البخاري، ٩٣٩/٢، وانظر: صحيح مسلم، ٩١/١.

(٧٨) كفتُ الشيءَ أكفته كفتاً إذا ضمته إلى نفسك، وفي الحديث: "نهينا  
أن نكف الثياب في الصلاة" أي نضمها ونجمعها من الانتشار يريد جمع  
الثوب باليدين عند الركوع والسجود. (لسان العرب ٨٠/٢، مادة كفت).

(٧٩) صحيح البخاري، ٢٨٠/١.

(٨٠) صحيح البخاري، ٤٣٩/١. وانظر: صحيح مسلم، ٦٣٦/٢.

(٨١) صحيح البخاري، ٤٣٢/١. وانظر: صحيح مسلم، ٦٤٠/٢.

(٨٢) أم معبد الخزاعيّة : هي عاتكة بنت خالد بن منقذ بن ربيعة ، وكانت امرأة برزة جلدة تسقى وتطعم بفناء الكعبة ، مرّاً عليها رسول الله صلى الله عليه وسلّم ومَن معه وهم في طريقهم إلى المدينة ، وقصتها معهم مشهورة. (الإصابة في معرفة الصحابة) القسم الثامن ص ٣٠٥.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

دلائل الإعجاز لعبد القادر الجرجاني، دار الكتاب العربي □ بيروت، ط ١،

١٩٩٥م.

غريب الحديث لابن قتيبة، مطبعة العاني □ بغداد، ط ١، ١٣٩٧هـ.

البلاغة القرآنية في التصوير بالإشارة والحركة الجسميّة، للدكتور عبد الله

هنداوي، مطبعة الأمانة - مصر، ط ١، ١٩٩٥م.

البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق: المحامي فوزيعطوي، دار صعب -

بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.

الكامل في اللغة والأدب للمبرّد (أبي العباس محمد بن يزيد) ط  
٣، دار الفكر العربي - القاهرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، عالم الكتب  
بيروت.

سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية - بيروت،  
١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

تفسير الكشاف للزمخشري، تحقيق

عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

ديوان ليبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت.

التحريروالتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر - تونس،

١٩٩٧م.

في ظلال القرآن، سيد قطب.

الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (أبي عبد الله محمد بن

أحمد)، طبعة دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

صحيح البخاري، البخاري (محمد بن إسماعيل)، ط ٣، دار ابن كثير -

بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م..

تفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب)، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١،

١٤٢١هـ، ١٠٠/٤.



جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق

أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ.

دلائل النبوة، للبيهقي، دار الفكر بيروت.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، دار المعرفة - بيروت،

١٣٧٩هـ.

شرح صحيح البخاري لابن بطال، مكتبة الرشد - السعودية، ١٤٢٣هـ.

فيضا القدير، عبدالرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط ١،

١٣٥٦هـ.

الترغيب والترهيب للمنذري، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٧هـ.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية للحركات الإسلامية

د. إبراهيم الصادق سالم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية للحركات الإسلامية

المبحث الأول: خطة البحث

## المقدمة :-

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وعلى اله وصحبه  
ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

لقد كان التحرير جوهر رسالة الإسلام ومحور عقائده وشرائعه فكان  
الإيمان الإسلامي وسيلة التحرير الكبرى للعقل والوجدان والضمير والإرادة تحريراً  
شاملاً من كافة الضغوط والأوهام والتضليل. وأحاطها بالضمانات الكافية فليس  
لأحد أن يكرهه على ما لا يريد وجل من قال: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ  
الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ  
لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) سورة البقرة الآية (٢٥٦). (١)

وعلى الرغم من شيوع هذه المفاهيم لدى المسلمين والقائمين على الحركات  
الإسلامية خاصة نجد أن الاستبداد بأنواعه المختلفة السياسي والتربوي قد أدى إلى

انحسار هذه الحرية في الرأي والتعبير والفكر وعرض المثل الأعلى الذي تتشده الحركات نفسها .

ونتيجة لهذا الانحسار شاع التناحر والتدابير والتلاعن بين أفراد الحركة الواحدة ذاتها وبين أنصار الحركات الإسلامية الأخرى حتى وصلت مرحلة المفاصلة وتشظت كثير من الحركات، فظهرت الجماعات المتطرفة وانحرفت نحو التكفير ومارست ألوان العداوة بلغت حد التقتيل والتكيل برصيفاتها من الحركات الإسلامية الأخرى .

لقد عزت كثير من الحركات هذا التقلت والغلو والخروج إلى عدم الضبط التربوي والحركي والفكري مما جعل أكثر الحركات تضيق تضيقا شديدا على الحرية في التربية الفكرية بقصر التكوين فيها على اللون الواحد من المادة النقية التقية كما ضيقت على الحرية في التربية الحركية ضمانا للانضباط والطاعة والانقياد حتى تتلاءم مع الغاية الجهادية .

لقد كانت محصلة هذا التضيق في حرية الرأي داخل الحركات الإسلامية الغلو والتطرف وظهور انحرافات في المسار الدعوى وتمرد على الخط التنظيمي والاتجاه الخطي في الدعوة مما شوه صورة الحركات الإسلامية وأعطى مادة سائغة للأعداء يتربصون عن طريقها لضرب تلك الحركات والانقضاض عليها. وما الحركة في أفغانستان إلا مثالا لذلك.

يتناول الباحث في هذه الدراسة تقصى مظاهر الفرقة ونتائج الاستبداد للحجر عن حرية الرأي ويحاول أن يرسم صورة يبين فيها كيف يمكن أن تكون حرية الرأي

عاملا فاعلا في الوحدة الفكرية للحركات الإسلامية فتفضي إلى وحدة في كافة المجالات الثقافية والمذهبية والسياسية والحركة التربوية.

## مشكلة الدراسة :-

نتيجة لما يمر به عالمنا الإسلامي من فرقة بين الحركات الإسلامية في بلاد العالم الإسلامي والتدابير والتلاعن الذي وصل إلى مرحلة النظر للآخرين بنوع من الارتياب والإدانة والاتهام في القيام بمهام الحركات الإسلامية نجد أنفسنا مدفوعين إلى البحث عن أسباب هذه الفرقة التي وصلت حد الفتنة في الحركة الواحدة لذاتها ومع غيرها من الحركات الإسلامية الأخرى. ومن هنا فان التساؤل الرئيسي هو :-

ما السبب في هذه الفرقة بين الحركات الإسلامية وكتاب الله بين ظهرائهم يدعو إلى الوحدة مقصدا ضروريا من مقاصد الدين ؟

وللإجابة عن سؤال الدراسة الرئيسي ينبغي الإجابة عن الأسئلة الفرعية التالية :

- ١- ما مفهوم الوحدة الفكرية وما هو عاملها.
- ٢- ماهى أركان الوحدة الفكرية .
- ٣- ماهى مظاهر الفرقة في الحركات الإسلامية .
- ٤- مادور حرية الرأي في الوحدة الفكرية للحركات الإسلامية.

## أهمية الدراسة :-

تبرز أهمية الدراسة فيما يلي :-

- ١- العصر الذي يعيشه العالم الإسلامي عامة والعربي خاصة هو عصر

الحرية وانهيار الأنظمة الدكتاتورية التي حكمت عقوداً من الزمان كانت جاثمة على صدر الحركات الإسلامية ومن هنا نرى أهمية إجراء مثل هذه الدراسة لتعرف على دور حرية الرأي ومدى استغلالها في توحيد الحركات الإسلامية حتى تؤدي دورها ومهامها المنوط بها .

٢- معالجة القصور في الحركات الإسلامية لتحقيق الوحدة في ذاتها ومع غيرها.

٣- معرفة وضع الأمة الإسلامية في عصر الاتصالات التي سقطت فيه الحواجز الجغرافية فأصبح العالم عبارة عن قرية أو مدينة واحدة.

٤- تأهيل الحركات الإسلامية لتمكين من الهيمنة على مراكز القوى التي تأهلها للقيام برسالتها مواجهة للعدو ومسايرة للتعبير الايجابي على الأقل.

٥- محاولة إيجاد النموذج الجيد للحركة الإسلامية.

#### أهداف الدراسة:-

تسعى الدراسة لتحقيق الأهداف الآتية :-

١- إبراز دور حرية الرأي في تحقيق أركان الوحدة الفكرية للحركات الإسلامية.

٢- توضيح مظاهر الفرقة في الحركات الإسلامية وأسبابها لكي نتجنبها .

٣- التوصل إلى بعض التوصيات والمقترحات التي يمكن أن تسهم في وحدة الأمة وحركاتها الإسلامية .

#### منهج الدراسة :-

يستخدم الباحث في دراسته منهج تحليل المحتوى الكيفي لمفهوم حرية الرأي لاستخلاص ملتبقي للوحدة ومعرفة مدى تطبيقه في وحدة الحركات الإسلامية .

## مصطلحات الدراسة:

### الحرية:-

لغة: تعنى الاختيار المستتير، العارف الواعي.

اصطلاحا: هي العمل الذي تتضح منطلقاته وأهدافه ويصدر عن ذات الشخص وعن قواه العقلية والنفسية الناضجة المتكاملة ويبطل فيه تأثير الحاجة والعادة وترديد مقولات الآخرين وتأثيرهم وإيحاءاتهم خلال الأحكام الأساسية عن الخير أو الشر.(٢).

### المثل الأعلى:-

نموذج الحياة المعنوية والمادية التي يراد للإنسان المسلم أن يحيها وللأمة المسلمة أن تعيش طبقا لها في ضوء علاقات كل منهما بالخالق والكون والإنسان والحياة والآخرة.(٣).

### الأمة:-

لغة: معلم الخير الذي يقتدي به ويؤم الناس(٤).

اصطلاحا: الكيان الجماعي الذي يتركز في تماسكه إلى عقيدة إيمانية شاملة مصدرها رباني ومجالها كافة أوجه الحياة الدنيا في منظور ممتد يصل بين الحياة الدنيا والآخرة لا يلفى بالفواصل بين أبعادها ولا مجالاتها.(٥).

### الحركة الإسلامية:-

حركة جهادية قامت من اجل تغيير الواقع الجاهلي وإقامة النظام الإسلامي(٦).

## الدراسات السابقة :-

### الدراسة الأولى: دراسة د.عبد المجيد النجار

#### بعنوان دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية للأمة المسلمة

هدف إلى توجيه حرية الرأي في جميع أركان الوحدة الفكرية. وقد توصل إلى أن الحل والمخرج للأمة المسلمة من أجل وحدتها هي حرية الرأي.

### الدراسة الثانية: د.سليمان حامد احمد

#### بعنوان مستقبل الحركات الإسلامية

هدف إلى توجيه التدابير التي اتخذتها الحركة الإسلامية في الوصول إلى السلطة والتحديات التي واجهتها بالداخل والخارج. وانتقالها من العسكرية القابضة إلى بسط السلطة وإشراك القوى السياسية الأخرى في العملية السياسية . توصل إلى التوصيات الآتية :

- ١- الوعي بالذات
- ٢- التعامل والتحديات التي يفرضها النظام الدولي الجديد
- ٣- التعامل وتحديات الأنظمة الحاكمة في الدول الإسلامية.

## الدراسة الثالثة: د.صلاح الصاوي

### بعنوان الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي

هدف إلى بيان الثابت والمتغير. ودعا إلى الاتفاق على الثوابت والانطلاق منها والتعامل مع المتغيرات على إنها مسائل اجتهاد وتشرى العمل الإسلامي والاختلاف فيها يصبح مجالاً للتخصص والتكامل .  
وحذر من التعدد الذي نشأ عنه التضارب في المواقف السياسية والجهادية والذي



يؤدى إلى التعصب ويفقد على أساسه الولاء والبراء.  
اتفقت الدراسة مع الدراسات السابقة في المنهج الوصفي التحليلي وان  
الحركات الإسلامية تواجه تحديات وان التحديات تحتاج إلى وعى وفكر .  
اتفقت الدراسة مع دراسة عبد المجيد النجار في المنهجية والتحليل والتعليل  
والحكم وان حرية الرأي هي المخرج .  
انفردت الدراسة بالتحليل ووضع نموذج وحلول لتلك المشكلات، لم تنحصر في  
التقييم بل تعدته إلى التقويم ووضع التوصيات المحققة لذلك.

## المبحث الثاني: الوحدة الفكرية وعاملها

### المطلب الأول:- مفهوم الوحدة الفكرية

تتأسس الوحدة الفكرية على مفهوم الفكر

الفكر لغة يعنى أعمال النظر أو الخاطر في الشيء (ابن منظور - مادة فكر

(

والتفكر هو أعمال الذهن في آيات الله للوصول إلى حقيقة وجوده وصفاته قال تعالى: { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ } سورة البقرة (٢١٩)

وأعمال الذهن من باب الكيفية لتحصيل معرفة وليس من باب الصور والمعارف (٧).

استعمل الإسلاميون الفكر في المعنى الكيفي المتمثل في حركة الذهن للانتقال من المعلوم إلى المجهول.

ومعنى الفكر اصطلاحاً: ترتيب أمور معلومة لتؤدي إلى مجهول (٨). والمقصود به في هذا البحث المنهج الذي يسلكه العقل للوصول إلى المعرفة.

ومن ثم فإن الفكر الإسلامي يعنى المنهج الذي يفكر به المسلمون أو ينبغي أن يفكروا به ليس الشائع اليوم من انه المبادئ والتعاليم التي جاء بها الإسلام. والوحدة الفكرية بين مجموعة من الناس تعنى اشتراكهم في طريقة النظر العقلي بحيث تجمع بينهم خصائص وصفات موحدة في ذلك. وعليه فان الوحدة الفكرية للمسلمين تعنى اشتراك المسلمين في الأسس المنهجية الكبرى للنظر العقلي في شؤون الكون والحياة للوصول إلى الحقيقة التي يبنون عليها علاقاتهم بالكون وينظمون بها شؤون الحياة في إطار من تعاليم الدين الذي جمعهم في امة واحدة .

### المطلب الثاني:- عامل الوحدة الفكرية

يخضع التشكيل المنهجي للعقل في سعيه للمعرفة النظرية والعملية للمحتوى

الايدولوجي الذي تتوفر عليه الإنسان (٩) وعليه فان الفكر الايدولوجي هو الذي يشكل

منهجية الفكر. لذا تختلف الأمم في مناهجها باختلاف قناعاتها الايدولوجية.

أن فكر الإنسان وقلبه أقوى عنصرين جوهريين أساسيين مميزين لكيانه وما ينعقد فيها يكون له فعل قوى جد في توليد عواطف الإقبال والنفور والحب والكرهية وفى توجيه هذه العواطف وتحريكها شطر نشاطات السلوك (١٠).

والوحدة الفكرية الاعتقادية تشتمل على علم يقيني مقترن بإذعان قلبي وتسليم كامل وعاطفة منقادة للفكر، مثيرة للإرادة وهذا هو الإيمان ما وقر في القلب وصدقته العمل والذي هو أساس عقيدة المسلم.

وعناصر الأمة المسلمة أيا كانت جماعات أو أفراد تجمع بينهم العقيدة الإسلامية على تصور موحد للوجود والكون والمصير وهذه العقيدة الموحدة للمسلمين ايدولوجيا هي الموحدة أيضا لعقولهم بتشكيلها على خصال منهجية في النظر المعرفي .

لذا فهي عامل الوحدة الفكرية الذي وحد الفكر الاسلامى على خصال منهجية تمثل أركان الوحدة الفكرية بين المسلمين .وبقدر ما تكون هذه الخصال مشتركة بينهم بقدر ما تحقق الوحدة الفكرية بينهم والعكس صحيح.

### المبحث الثالث:- أركان الوحدة الفكرية

ان عمق الالتزام بالعبقيدة الإسلامية هو العامل الأكبر في تحقيق التوحد الفكري ومن أهم أركان الوحدة التي تتشعبها العبقة هي :-

#### المطلب الأول:- شمول النظر

وهى تعنى توجه العقل في بحث القضايا توجهها شاملا يتناولها من جميع جوانبها، واستجماع كل ماله علاقة، ثم تقصى المعطيات في موضوع البحث. هذه المنهجية الشمولية تثير السبيل في كشف الحقيقة وفى العبقة الإسلامية. التعاليم الإسلامية شاملة لما هو كائن في حقيقة الوجود وما ينبغي أن يكون في حياة الإنسان. والقران الكريم يوجه الذهن للنظر في الكون نظرا شاملا من حيث خلقه وحركته وتركيبه للكشف عن قوانينه في ذاته وعن دلالته على ما وراءه من حقيقة قال تعالى (سُنُّرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) سورة فصلت الآية (٥٣). (١١)

ومن هذا الشمول في العبقة وهذا التوجه القرآني أي النظر الشامل في العقلية الإسلامية صفة من شمول النظر نقف عليها في التراث الإسلامي وقد وصف خاصية الشمول هذه خير وصف طاش كبرى زادة حين بين أن المسلمين بحثوا عن الحقيقة في مستويات وجودها الأربعة :-

- الوجود العيني في الواقع.
- الوجود الصوري في الذهن.
- الوجود اللفظي في العبارة.
- الوجود الخطى في الكتابة. (١٢)

الشمول في النظر صفة موحدة بين الناظرين. بينما المنهج الجزئي سبب في الفرقة ولعل الفرقة التي أحدثها الخوارج بانشقاقهم عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه كانت بسبب المنهج الجزئي الذي استخدموه في فهم القران الكريم إذ اختصروا فيه على ظواهر الألفاظ واغفلوا مقتضيات الفهم والتطبيق فأدى بهم إلى تكفير

## المطلب الثاني :- المؤلفات والتوحيد

يقصد بها توجه العقل في البحث عن الحق بحيث يؤلف بين المعطيات التي يتوافر عليها وذلك برد بعضها على بعض بحسب التماثل والتشابه ثم يوحدتها في إطار معيار يكون أساسا لمبدأ واحد تتخرط فيه جهود الفهم والتعليل وتتبنى على أساسه الرؤى والحلول. (١٤).

وهذا المعيار الموحد الذي تشتمل عليه العقيدة الإسلامية وحدة في المنشأ ووحدة في الحياة ووحدة في المصير من شأنه أن يكيف عقل المؤمن بها على نحو من المؤلفات والتوحيد في الفهم والتعليل والحكم فينخرط كل من يجمعهم هذا المنهج في الوجهة ويتحركون إلى الغاية في تحقيق الحياة .

وقد ظهر ذلك جليا في العقل الحضاري الاسلامي على عهد ازدهاره. فقد انسجم هذا الفعل بين المسلمين من أقصى البلاد إلى أدناها، فالمسلم يستهل حياته في التعمير بالأندلس علما أو فنا أو صناعة ثم ينطلق إلى ما وراء النهر ليواصل هناك ما بدأه دون أن يصاب باضطراب أو إحباط.

أما ازدواجية المعايير في التحليل والغاية فهي تورث الاضطراب والتدابير وتفضي إلى الفرقة.

## المطلب الثالث:- الواقعية

تعنى الواقعية أن يتخذ العقل في حركته لمعرفة الحق منطلقاً من الواقع سواء كان واقعا كونيا أو نفسيا أو تاريخيا.

ويصبح الواقع هو المعطى الأساسي في التحليل للوصول إلى حقيقة ماهو كائن أو تقدير ما ينبغي أن يكون وذلك عن طريق الآتي :-

- الانتقال من الظواهر الحسية الكونية إلى قوانينها وسننها الكلية بطريقة التجريب.

- أو بالانتقال من الآيات والشواهد المادية الى دلالاتها الغيبية في الخلق والتدبر.

- أو بالانتقال من واقع الحياة الإنسانية التاريخي الانى إلى تقدير ما ينبغي أن يكون من وحدة الصلاح والراشد.

وقد جاء القران موجها العقل في سبيل ادراك حقيقة الغيب و سنن الكون إلى مظاهر الطبيعة المادية وواقع النفس الانسانية قال تعالى (سُنُّرِهِمْ آيَاتًا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) سورة فصلت (٥٣). قال تعالى(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) سورة غافر(٨٢). (١٥)

وبهذا التوجيه القرانى نشأت لدى المسلمين خاصية في الفكر جعلت الواقع الكوني والانسانى منطلقهم لكل معرفة فنشأت من ذلك علوم الطبيعة التي أثمرها

المنهج التجريبي، ونشأت علوم النفس من النظر للواقع النفسي للإنسان، ونشأت علوم الأحكام الفقهية تقدر ما ينبغي أن يكون بالانطلاق مما هو كائن من حياة الناس من أوضاع وأعراف وعادات .

وبناء عليه فإن الواقعية عامل وحدة فكرية بها يتم الاحتكام الى الواقع الموضوعى فتتوحد المعطيات بين الناظرين وينفسح المجال واسعا للاتفاق في النتائج .

أما المنهج الصوري كثير ما يفضى إلى تضارب في الرؤى لأنه ينطلق من معطيات افتراضية تداخلها الذات احيانا ويظهر في الامة الإسلامية بين حين واخر جماعات تجنح بهم الصورية والمثالية في الفكر فيبثون رؤى في الإصلاح تقفز فوق واقع الناس فتصبح مظهر قلق واضطراب في الأمة (١٦).

## المطلب الرابع:- النقدية

يقصد بها أن يسلك العقل في حركته المعرفية مسلكا يجمع فيه بين المتقابلات من الآراء ويقابل بين الاحتمالات المختلفة ثم يمحصها ويختبرها على أساس ذلك التقابل. وهذا النقد عامل مهم في ترشيد الفكر للوصول إلى الحق .

والقران الكريم في عرضه للعقيدة الإسلامية يربى العقول على صفة النقدية فكثير ما يقابل العقيدة الصحيحة بأضدادها قال تعالى (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ) (سورة لقمان الآية (٢١). (١٧)

ومن هذا التوجيه القرانى تكونت لدى المسلمين صيغة من المقارنة والنقد استطاعوا استيعاب علوم الأوائل ما كان منها موافق لعقيدتهم وما كان مخالفا ثم كروا عليها بالنقد فصححوا الصحيح وزيفوا الزائف .

وحين يحدث ضيق في الأفق الفكري عند بعض الفئات الإسلامية فلا تتسع عقولهم إلى الآراء المخالفة لمعتقداتهم فان الفكر يصبح عندهم خطيا (اتجاه واحد) لا يستوعب إلا الرأي الواحد. ولا يتقبل الآخر وهذا ما يسبب الترافض بين المسلمين فتكون الفرقة والتشتت .

وليس التعصب المذهبي الضيق الذي ابتلى به المسلمون في فترات تاريخهم المنحدر - على الأخص - إلا مظهرا من مظاهر ذلك كما لا يعدم زمننا هذا شيئا من ذلك.

### المطلب الخامس: الموضوعية

يقصد بها أن يتجرد العقل في سعيه إلى الحقيقة من العوامل الذاتية التي تعطل فطرته المهمة بالصواب ويتعامل مع موضوع النظر كمعطى خارجي مستقل.

ومن آداب القران الكريم دعوة الناس إلى تحرير العقول عند النظر من العوامل

الذاتية واهم هذه العوامل:

- عامل الهوى قال تعالى (فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ ۖ أَنْ تَعْدِلُوا ۗ وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥)) سورة النساء (١٨)
- عامل الموروث التقليدي للأباء الذي جاء فيه تكبر شديد في قوله تعالى: (وَكَذٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (٢٣) قَالَ أَوْكُوفُوا بِحَبْلِكُمْ بِأَهْدَىٰ ۖ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ۗ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٢٤)) الزخرف الآية (٢٣ - ٢٤). (١٩)

- عامل الظن :- قال تعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۗ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا ۗ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلُ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ )سورة الحجرات الآية (١٢). (٢٠)



وحيثما يستبعد الناس في مناهج المعرفة العوامل الذاتية ويحتكمون إلى الموضوع بحسب معطياته فإنهم يتوصلون إلى الرؤى والأحكام الموحدة التي يفرضها الموضوع ويشكل بينهم قاعدة مشتركة في تدبر حياتهم حيث يشتركون في الوصول إلى المبادئ الأساسية المنظمة للحياة كالمبادئ الفقهية في التعبد والمعاملة والسياسية الشرعية ولم يكن الاختلاف فيها بينهم الا فرعا جزئيا بسبب تفاوت المعطيات لا بسبب العوامل الذاتية.

### المطلب السادس: التنسيق في الموقف السياسي والجهادي

لقد قامت الحركات الإسلامية من اجل تغيير الواقع الجاهلي وإقامة النظام الاسلامي، وهى في سعيها لذلك لا بد لها من الدخول في بعض المعارك الجزئية أو الشاملة مع أعداء الإسلام وخصوم الشريعة الامر الذي يقتضى إضافة عامل وحدة حتى يمهّد السبيل إلى القبول لتعددتها وهو التنسيق بين هذه الحركات أو الفصائل في الحركة الواحدة في الموقف السياسي والجهادي. والأصل في اعتبار هذا الشرط ثلاثة:-

**الأول:-** ما جاء في الصحيفة التي كتبها النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة بين المهاجرين والأنصار ومن تبعهم من اليهود أو من غيرهم. أن المسلمين أمه واحدة على من سواهم وان سلم المؤمن واحد لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم فالأمة الإسلامية تنطلق من موقف واحد في الحرب والسلم، ولا يحل لفريق منها أن يسالم في قتال في سبيل الله إلا عن تشاور وتنسيق مع بقية المسلمين إلا على سواء أو عدل بينهم. فان فعل غير ذلك فقد اتخذ بطانة من دون المؤمنين قال تعالى: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۗ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ ۗ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ) سورة آل عمران (١١٨).

وبهذا يحيا مفهوم الأمة في العمل الاسلامى ويحس كل فصيل أن القرار من المهمات والمسائل العظام ليس إليه وحده وانه لا يصح إلا إذا كان على عدل وسواء بين المسلمين .

## الثاني:-

الثالث: في المهمات والمسائل العظام في الدولة الإسلامية منوط بنظر الإمام أو بمن يخول إليه النظر في ذلك وذلك لصلتها بالصلحة العامة لجماعة المسلمين ولا يحق لصاحب ولاية جزئية أن يستقل بالنظر فيها إلا إذا كان الإمام قد فوض إليه النظر في ذلك (١٤) وإذا عدم الإمام تؤول إلي أهل الحل والعقد في الأمور .

## الثالث :-

الصلحة الراجعة والضرورة الملحة حتى لا يؤدي تباين المواقف السياسية والجهادية لفصائل العمل الإسلامي إلي هرج في الصفوف وتفتيت الطاقة وتناقض في القرارات وإشاعة الوهن والتخاذل واختراق لهذه الفصائل من قبل الخصوم (٢١) .

ويري الباحث أن عدم هذا التنسيق يجد الوهن والاختراق في صفوف الجماعات والفصائل الإسلامية والواقع الأفغانستاني خير مثال علي عدم التنسيق الجهادي والسياسي وما دار في السودان ليس من ذلك ببعيد.

## المبحث الرابع:- مظاهر الفرقة في الأمة المسلمة.

مظاهر الفرقة في الأمة المسلمة مظاهر عديدة منها الثقافية والسياسية والمذهبية الحركية والتربوية.

### المطلب الأول:- مظاهر الفرقة الثقافية

تظهر الفرقة الثقافية في مستوى المعرفة النظرية وأنماط السلوك العملي ففي المستوى الأول تتميز في الأمة ثقافتان متافرتان، ثقافة تعتر وتتشد الي الماضي التراثي وتتخذ منه مصدرا وحيدا للمعرفة فإذا هي معرفة ماضي مبتوتة عن المشاكل الراهنة للمسلمين متتكبه عن الكسب الإنساني من المعرفة الكونية المساعدة لحل تلك المشكلات. وثقافة تعتر وتشد إلي ثقافة الغرب وتتخذ منه مصدرا وحيدا للمعرفة فاذا هي مبتوتة من الأصول الدينية والتراثية للأمة .

وفي المستوى الثاني تختلف مظاهر الحياة الإسلامية بين نمط تقليدي يقوم علي بقايا الموروث ويستند الي القيم الإسلامية في شأ من سوء الفهم أحيانا وبين نمط مجلوب من حضارات الغرب نسخ نسخا رديئا في كثير من الأحيان .

### المطلب الثاني:- مظاهر الفرقة المذهبية

تشق الأمة المسلمة فرقة مذهبية في العقيدة والفقہ استصحبت من الماضي خصومات- ربما كانت لها مبرراتها- ولكن عفا عليها الزمن فلم تبقى الخصومات ذات موضوع لكنها ظلت تلاحق الأجيال وتفعل فعلها في الفرقة ولك أن تتبين هذه الفرقة المذهبية بين السنة والشيعة وبين السلفية والشيعة هي فرقة تدور في الغالب علي قضايا غيبية، وقد يصل الوضع فيها الي حد من التدابر يبلغ درجة التكفير والتلاعن .

وربما كانت الفرقة المذهبية الفقهية اخف وطأ من العقيدية ولكن الاستبداد والتعصب فيها يصد عن التوحد في وضع المذاهب علي صعيد مشترك يؤخذ منها علي السواء مافيه حلول لمشاكل المسلمين الواقعية ( ٢٢ ) .

## المطلب الثالث: - مظاهر الفرقة السياسية

تبدو الفرقة السياسية في تعدد الفصائل السياسية والتضارب في المواقف الداخلية التي تفضي أحيانا إلي الصدام المسلح بين المسلمين أنفسهم وليس ما يجري في ثورات الربيع العربي ببعيد في اعرق البلاد حضارة ودعوة ومؤسسات دينية .

وقد تتطور هذه الفرقة وتزداد ضراوة في المواقف المتضاربة في اختيار الحاكم ولو كانت عن طريق الانتخاب الحر. تضاربا يفضي الي الوقوف في صف أعداء الأمة المسلمة لنصرتهم في تنفيذ مخططات معادية تتعلق بمصير الأمة نفسها.

ولنا في ذلك دليل واضح من قضية جنوب السودان وما يجري الآن في مصر من اجل تطبيق الاستفتاء حتى علي الدستور الإسلامي من قبل المسلمين أنفسهم قال تعالى:(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ۗ لَّا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلَمُوا تَسْلِيمًا ) سورة النساء الآية ( ٦٥ )

وقال تعالى:( أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۗ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ) سورة المائدة الآية (٥٠).

## المطلب الرابع:- مظاهر الفرقة الحركية

علي الرغم من توفر العاملين المخلصين في الحركة الإسلامية وعلى القدر الكبير من الصدق والإخلاص في العمل من أجل تحقيق الإسلام الشامل في واقع المسلمين وتحقيق الوحدة الإسلامية ، لم يسلم المد الإسلامي من الفرقة .

لقد دخلت الفرقة على الإسلاميين علي مستوي التصورات وأساليب العمل لذا أصبحوا فرق شتي بل كثير منهم منشق عن بعضه البعض وقد يصل التدابير بينهم درجة التكفير بل الفتنة الدموية ، كما هو الآن عند التكفيريين وما دار في السودان بين الإسلاميين علي الرغم من وحدة منهجهم وأيدولوجيتهم القائمة علي التمكين إلا أن التصورات والأساليب عن كيفية الحكم هي التي أدت إلي الفرقة. وانحاز بعضهم إلي المعارضة التي ارهقت كاهل الدولة وعصفت بكثير من قضايا الوطن إلي محكمة الجنايات الدولية .

من اخطر الإصابات اليوم انقلاب بعض الجماعات والحركات الإسلامية إلي طوائف منفصلة عن جسم الأمة وخارجة عن أهدافها وشعورها بتميزها واستقلالها وادعائها بأنها الممثل الشرعي والوحيد للإسلام مما جعلها تنظر إلي الآخرين بنوع من الارتياح والإدانة والاتهام فخرجت عن مهمتها في الهداية والترشيد إلي نطاق المواجهة والصراع . حتى أصبح للتكفير والشذوذ الفكري جماعات تسرح وتمرح في بلاد المسلمين .

وقد أجاد الخصوم للأمة الإسلامية توظيف هذه الجماعات في كثير من البلدان لمصالحهم الشخصية وبصم الإسلام بالإرهاب فتحولت المفاهيم الإسلامية

الحقة إلي بعبع خوف فأصبحت الأصولية والإرهاب جميعها كلمات تبصم أولئك المتشددين الخارجين.

### المطلب الخامس:- الفرقة التربوية

الناظر الي واقع المؤسسات التربوية يجد استبداد تربوي يتمثل فيما تمارسه

كثير من المؤسسات التربوية وذلك من انتقائية تتمثل في الآتي :-

١- انتقائية مغلظة في المادة العلمية تفضي إلي لون من الحجر علي عقول الناشئة وتحرمها من حرية الاطلاع علي مختلف المعطيات المعرفية مع التوجيه السديد في ذلك.

٢- ممارسة التلقين والحشو للذان تصادر فيهما حرية التعليق وإبداء الرأي فيما يعرض من مادة التعليم.

وبهذا الحجر في مادة التربية وبتلك المصادر في حرية التعليق وإبداء الرأي تكونت أجيال صفتها في الفكر ذات اتجاه واحد ( خطي ) ضيق يوجهها في معالجة القضايا الي النظر من زاوية واحدة وينتقي معها النظر النقدي المقارن الذي ينفذ الي الحقيقة من المعطيات المتضادة والرؤى المختلفة .

ولم تسلم الحركات الإسلامية من داء الاستبداد التربوي فكانت تمارس في إتباعها دربا من مصادرة الحرية في الرأي بالحجر عليهم فيما يتعلمون ويقرؤون فلا تسمح لهم إلا بألوان معينة من مادة المعرفة التثقيفية وبياعلام معينين من المفكرين والمؤلفين، وبالتضييق الشديد في إبداء الرأي والمجادلة والمنافحة عليه تحقيقا لمعاني الطاعة والانقياد والجنودية .

وليس التعصب الذي يسود اليوم كثير من الفئات الإسلامية إلا مظهرا من مظاهر الفكر الخطي أو ثمرة من ثماره ، كما أصبح كثير من إتباعها علي صفات من السطحية في تعاملهم المعريف مع القضايا التي تطرح عليهم للبحث والحكم (٢٣) .

### المبحث الخامس:- دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية للحركات الإسلامية

لقد كان التحرير هو جوهر الرسالة الإسلامية فقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم وجعله خليفة في الأرض قال تعالى ( وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ) سورة البقرة الآية ٣٠ . مهمة الاستخلاف والائتمان لا تسند إلا لقادر مختار .

وحرية الرأي هي المدخل المعتبر إلى الإيمان الحق ، إذ تثمر اقتناعا مبني علي حرية النظر في كافة المعطيات فيقع الاختيار الذي هو مناط المسؤولية.

إن حرية الرأي تولد صفات منهجية مشتركة بين الناس وهذه الصفات المنهجية تثمر الوحدة الفكرية بين الناس في الثقافة والمذهبية والرؤى السياسية والوحدة الحركية.

## المطلب الأول:- دور حرية الرأي في الوحدة الثقافية

الوحدة الثقافية تعني وحدة الأسلوب في تحقيق الحياة علي المستوي النظري والعملية اللذان يقودان الي معالجة القضايا والانجاز العملي في الحياة نظما وفنونا وعلاقات وتقاليد وعادات .

يقوم أسلوب الثقافة الإسلامية علي عنصرين أساسيين هما:-

الأول:- القيم الإسلامية الثابتة من عقيدة وشريعة وأخلاق.

الثاني:- المسائل المتغيرة بتغير الظروف والمحققة بأفضل وجه لتلك القيم الثابتة . وهي لا تكون كذلك إلا إذا استفادت من الكسب الإنساني في المعرفة النظرية والعملية.

العنصر الأول يمثل الغايات بتعاليمها وقواعدها وتوجيهاتها والعنصر الثاني يمثل الوسائل لتحقيق تلك الغايات.

فإذا ما أقام المسلمون حياتهم علي أسلوب يأخذ بالعنصر الأول و يهمل الثاني فان ثقافتهم تكون متخلفة قاصرة عن مواكبة مجريات الحياة المعاصرة. وإذا ما أقاموها علي العنصر الثاني ويهمل العنصر الأول فهي ثقافة ضالة.

والثقافة الاسمية الحققة هي التي تتفاعل فيها القيم الدينية الثابت مع الكسب المعرفي الانساني المتنامي باطراد . قال تعالى ( إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ) (الإسراء الآية (٩)



وبناء علي ذلك فان الوحدة الثقافية بين المسلمين لا تتحقق إلا بان يجمعهم أسلوب موحد في تحقيق حياتهم يقوم علي العنصرين معا. وهذا الأسلوب لا يتحقق إلا بتوفر مناخ من حرية الرأي تفتح فيه العقول علي المعطيات الكاملة للعنصرين معا، القيم الدينية الثابتة والكسب المعرفي الإنساني .

الانفتاح للعقول علي العنصر الأول يكون بالاتجاه الدراسي للقيم والمبادئ والأحكام الدينية من مصدرها الأصلي الوحي قرآنا وحديثا ، ثم بالاتجاه الي التراث الإسلامي الذي شرح وفصل وقنن تلك القيم والمبادئ ونزلها إلي ارض الواقع في تجربة أثمرت فقها في التطبيق لا غنا للمسلمين عنه ويكون هذا الاتجاه شامل لكل المذاهب الإسلامية .

أما الانفتاح علي العنصر الثاني يكون بالاتجاه الدراسي للكسب الإنساني في المعرفة في كافة الحضارات وللجذور المنبثقة منها في روحها الدينية والفلسفية ويكون هذا الاتجاه الدراسي متاولا للمذاهب الفلسفية علي اختلافها.

ولا تكفي هذه الحرية في الانفتاح علي المعطيات الكاملة في كلا العنصرين بل ينبغي أن تستتبع بحرية في النظر النقدي في تلك المعطيات بعنصرها علي حد سواء.

ففي معطيات العنصر الأول يكون النظر النقدي بحرية الاجتهاد في الفهم والتقرير لأحكام الشريعة استنباطا للنصوص أو استحداثا لما لا نص فيه وفق المبادئ والقواعد الكلية ووفق ما تقتضيه أوضاع المسلمين. أما حرية النقد في معطيات العنصر الثاني ينبغي أن تفضي إلي حركة نقدية واسعة يقع فيها تمييز الحق من الباطل في ذاته ببراهين العقل و براهين الآثار الواقعية في الحياة الفردية والاجتماعية.(٢٤)

ويرى الباحث إذا ما تم التعامل مع التراث تعاملًا انفتاحيًا نقديًا، وتم التعامل مع الكسب المعرفي الإنساني كذلك فإن هذا سيؤدي إلى وجهة ثقافية موحدة تلتقي فيها الأطراف على أسلوب موحد يتأسس على الثابت من قيم الدين وتوجه الحياة الإسلامية على ذلك الأسلوب الموحد لتحقيق عمارة الأرض والخلافة فيها قال تعالى (وَإِلَىٰ أُولَٰئِكَ نَمُودُ أَسْوَءَ صَالِحِينَ ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ) سورة هود الآية ٦١

## المطلب الثاني:- حرية الرأي والوحدة المذهبية

للمسلمين مذاهب متعددة و أهمها اليوم في الفقه أربع وهي :-

المذهب المالكي والشافعي والحنفي والحنبلي.

والمذاهب في العقيدة ثلاثة السنة والشيعة والأباضية.

وقد يشتد الانتماء الي هذه المذاهب حتى يميل إلى التعصب المفضي الي الفرقة

كما هو اليوم بين السنة والشيعة .

الوحدة المذهبية درجتان وهي الأولى أن يتوحد المسلمون في مذهب واحد يكون

منبثقا عن المذاهب كلها وقائم بالأساس على الصلة المباشرة بنصوص الوحي من

القرآن والحديث .

الثانية :- أن تقارب المسلمين في مذاهبهم يشتركون في أكبر قدر ممكن

منها ويتعازرون في خصوصيات يبقي عليها كل صاحب مذهب ورحم الله الإمام حسن

البناء إذ قال: (فلنتعاون فيما اتفقنا عليه وليعزر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه ) (رسائل البنا).

المذهبية بنوعها الفقهي والعقدي افراز تاريخي للاختلاف في التدين بالإسلام إيماننا عقديا وسلوكا شرعيا ، واجتهادات في الكيفية التي يطبق بها الدين تفاعلت فيها نصوص الوحي و الأوضاع مع الأوضاع والظروف الواقعية التي كانت تجري عليها حياة المسلمين زمن نشؤئها .

المذهبية علي هذا النحو هي ضرب من التشبث باجتهادات سابقة في التاريخ كانت وليدة لظروف واقعية وانقلب بعضها اليوم رأسا علي عقب وهي بذلك تمت بسبب درب من التقيد في حرية الرأي والتخلص منها علي وضع يقوم علي حرية في التدين رهين بحركة واسعة من الاجتهاد علي حرية الرأي سواء في التدين العقدي أو التدين الفقهي ( الشرعي ).

في مجال التدين العقدي نشأت المذاهب من سنة وشيعة وأباطلية في ظروف أحداث الفتنة في التاريخ الإسلامي الأول وفرضت تلك الأحداث والظروف قضايا معينة وأساليب أصبحت محاور أساسية للمذهبية من بينها العلاقة بين ذات الله وصفاته ...

وتحرير العقول في التدين والتدين العقدي أن تتوجه بحريتها في النظر العقدي إلي مشاكل الواقع الراهن المتمثلة في التحديات التي تستهدف العقيدة الإسلامية وتهدد بتحريفها في عقول المسلمين ليجد المسلمون في جبه جهادية عقيدية موحدة ، تتخذ من الكتاب والسنة منطلقا أساسيا يكون خلفية توجيهية لكل اجتهادات المسلمين . (٢٥)

أما بالنسبة للمذهبية الفقهية فالفكاك منها لا يكون إلا بحرية اجتهادية تتوجه فيها العقول الي التحديات العملية الراهنة لتوجه الحياة الاسلاميه فيها وجهه دينية صحيحة، و هذا التوجه الاجتهادي الحر سيلجئ العقول إلى أن تتخذ من فقه المذاهب مرجعا عاما نستعين به علي توفيق النوازل الطارئة إلى هدي الشريعة.

## المطلب الثالث:- حرية الرأي و الوحدة السياسية

تتم الوحدة السياسية في نظر الباحث علي درجتين:-

الدرجة الأولى:- الوحدة السياسية الشاملة بتوحد الكيان في الدولة الإسلامية.

الدرجة الثانية:- وحدة المواقف في نطاق الأحداث الداخلية في معترك الصراع الدولي الذي يعيشه العالم اليوم .

لحرية الرأي دور كبير في التقدم بالوحدة الإسلامية إلى أهدافها بالدرجتين الأولى والثانية.

بالنسبة للدرجة الأولى في النطاق الإسلامي العالمي من شأن حرية الرأي أن تفضي إلى تقارب بين الشعوب الإسلامية تكشف عن مراكز الهيمنة الدولية علي العالم الإسلامي وتكشف أسبابها الايدولوجيه والتاريخية، ومن ثم يتكون رأي إسلامي مشترك يقوم علي الوعي بمعترك الصراع الدولي وموقع الدول الإسلامية منه مما يفضي إلى الوعي بسبيل التصدي المشترك للهيمنة الدولية.

أما بالنسبة للدرجة الثانية فإن حرية الرأي من شأنها أن تفضي إلي مناخ من الحوار تتدافع فيه الآراء في تصريف شؤون الأمة، وبدوره تقود إلى قدر مشترك من الاتفاق يخف فيه التوتر الذي يحدثه الكبت ويهون فيه الأمر علي من ابدا رايه وجادل حتى ولو لم يكن له الى التطبيق طريقا .

وبالتأمل إلي حال الشعوب نجد أن أكثرها حرية في الرأي السياسي أقواها وحدة سياسية. وما أمر السودانيين ووحدتهم ضد قرارات المحكمة الجنائية علي رئيسها (اوكامبو) إلا خير دليل علي وحدة الصف السوداني رغم التباين السياسي لأحزابهم .

وهناك مخرج توفره حرية الرأي السياسي وهو ضعف الانتماء الإقليمي في البلاد الإسلامية. وذلك لما تكشف عنه من محدودية الإقليمية الضيقة في أحداث التنمية والتعمير وتوفير الأمن الخارجي فيتحول الولاء من الإقليمية الضيقة إلي الإسلامية الواسعة القوية . وما قول ربيعي بن عامر إلي رستم الفرس إلا تعبير عن حرية الرأي والوحدة السياسية (ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلي عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلي عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلي سعة الدنيا الآخرة) (ابن هشام) (٢٦).

#### المطلب الرابع:- حرية الرأي والوحدة الحركية

لقد أصاب الحركات الإسلامية بمختلف توجهاتها التشتت والانشطار إلي وحدات بلغ بها التدابر حد التكفير والتلاعن وحمل السلاح علي الآخر

السبب الذي أدى إلى هذا أن ما تنتهجه الحركات الإسلامية من نهج يقوم على مصادرة الحرية في مجال التربية ومجال الحركة .

لقد كان رفض الحركات الإسلامية للتخلف والتغريب بارقة أمل الراض للحاضر والتائق إلى المستقبل الأفضل ، مما أفضى إلى أن يكون الأساس الجهادي هو الأساس الذي تشكلت عليه الحركات الإسلامية .لذا ضيقت علي الحرية في التربية الفكرية والتربية الحركية ضمانا للانضباط والطاعة والانقياد التي تتلاءم مع الغاية الجهادية .

وهذا التضييق أفضى إلى تشققات كثيرة في الحركات الإسلامية سواء في نطاق الحركة الواحدة أو في نطاق الحركات فيما بينها.

بناء علي ذلك فان لحرية الرأي دور كبير في الحفاظ الحركات الإسلامية في وحدتها الذاتية والشاملة وذلك بالاتي:-

١- تربية الأفراد علي المادة التربوية الواسعة المنفتحة علي المذاهب والاتجاهات الفلسفية المختلفة.

٢- تربية الأفراد علي الشورى والتداول الحر في القضايا بميزان الحجّة والبرهان.

٣- توجيه العقول إلى عالم الواقع العريض بخيره وشره للوقوف علي حقيقته ومن ثم الانطلاق لمعالجته ورحم الله عمر بن الخطاب إذ قال (لتنقضن عرى الإسلام عروة إذا دخل في الإسلام من لم يعرف الجاهلية).

وبإشاعة هذه التربية الحرة في الحركة الإسلامية يصبح الحوار السبيل الأمثل لامتناس كل جنوح أو تطرف أو خطأ، فلتلقي العقول التقية المخلصة علي القدر المشترك من الرأي الذي يكون محل العزم فيتناوله الجميع سواء كان ذلك في نطاق

الحركة الواحدة أو في نطاق الحركات عموما. والحركات الإسلامية في السودان  
وتونس شاهد ودليل علي ذلك .

## التوصيات:-

يوصي الباحث بالاتي :-

- ١- تحرير العقول عن الابائية والتغريب بتوفير حرية الرأي والنظر النقدي.
- ٢- بناء الحركات علي نظم تستوعب الجماهير وتفسح لها المجال في المشاركة.
- ٣- إنفاذ تطبيق الشريعة في واقع المجتمع اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وثقافيا.
- ٤- استيعاب اتساع الرقعة الإقليمية والتعددية والتنوع الحزبي.
- ٥- بسط السلطة وإشراك الأحزاب السياسية الاخرى في السلطة.
- ٦- تربية الأفراد علي المادة التربوية الواسعة المنفتحة علي المذاهب والاتجاهات الفلسفية المختلفة.
- ٧- العمل علي تجاوز الحدود القطرية لوحدة المسلمين اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا.
- ٨- العمل علي أحكام السلطة مع السيادة.
- ٩- العمل علي إنتاج النماذج القادرة علي تشكيل النخبة المطلوبة لقيادة الأمة.
- ١٠- العمل علي تشكيل عقل الفرد علي نحو يكفل له بلوغ أقصى غاية تسمح بها ملكاته.
- ١١- العناية بالإعلام الإسلامي.
- ١٢- إظهار البديل الحضاري للأنظمة المعاصرة
- ١٣- التأصيل لكيفية الحكم وتبادل السلطة وبسطها في المجتمع



- ١٤- العناية بالمسائل الاقتصادية التي تعاينها الشعوب وتوضيح معالم الاقتصاد الإسلامي بما يناسب العصر.
- ١٥- تكريس وحدة الحركات الإسلامية في ظل النظام العالمي الجديد عمقا استراتيجيا يسندها حال الأزمات ويعزز قوتها وقت الانتصارات.

## هوامش البحث:

- ١ - سورة البقرة ، الآية ٢٥٦ .
- ٢ - ماجد عرسان الكيلاني، اهداف التربية الاسلامية، ص٩٤ .
- ٣ - ماجد عرسان الكيلاني، مرجع سابق، ص ١١١ .
- ٤ - منى عبد المنعم ابو الفضل، الأمة القطب، ص٢٣ .
- ٥ - منى عبد المنعم ابو الفضل، مرجع سابق، ص٢٤ .
- ٦ - سورة البقرة، الآية ٢١٩ .
- ٧ - طه جابر العلواني، الأزمة الفكرية، ص١٨ .
- ٨ - طه جابر العلواني، مرجع سابق، ص ٢٢ .
- ٩ - عبد المجيد النجار، دور حرية الراي في الوحدة الفكرية للأمة المسلمة، ص٣١ .
- ١٠ - عبد الرحمن حنبكة، الأمة الربانية، ص٧٤ .
- ١١ - سورة فصلت، الآية ٥٣ .
- ١٢ - طاش كبرى زادة، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، الجزء الأول، ص ٧٥، ٧١ .
- ١٣ - طاش كبرى زاده، مرجع سابق، ص٧٥ .

- ١٤ - عبد المجيد النجار، مرجع سابق، ص ٣٥.
- ١٥ - سورة غافر، الآية ٨٢.
- ١٦ - حسن الترابي، قضايا الحرية والوحدة، ص ٦٠.
- ١٧ - سورة لقمان، الآية ٢١.
- ١٨ - سورة النساء، الآية ٣٥.
- ١٩ - سورة الزخرف، الايات ٢٤، ٢٣.
- ٢٠ - سورة الحجرات، الآية ١٢.
- ٢١ - صلاح الصاوي، الثواب والمتغيرات في مسيرة العمل الاسلامي، ص ٣٤٣، ٣٤٢.
- ٢٢ - حسن الترابي، الايمان واثره في حياة المسلم، ص ٣٦.
- ٢٣ - عمر عبيد حسنة، مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، ص ٦٠.
- ٢٤ - عبد المجيد النجار، مرجع سابق، ص ٧٧، ٧٦.
- ٢٥ - ابو حامد الغزالي، احياء علوم الدين، ص ٥٥.
- ٢٦ - محمد عبد الملك ابن هشام، الجزء الرابع، ص ٢٧٥.

**المراجع:**

- ١- ماجد عرسان الكيلاني:- أهداف التربية الإسلامية - ولاية فيرجينيا - المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٩٩٦.
- ٢- ماجد عرسان الكيلاني:- فلسفة التربية الإسلامية - ولاية فيرجينيا - المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٩٩٦.
- ٣- ماجد عرسان الكيلاني:- مرجع سابق.
- ٤- منى عبد المعنم أبو الفضل، رؤية تأصيلية للأمة القطب ،ولاية فيرجينيا، المعهد العالمي للفقه الاسلامي، ٢٠٠٨م.
- ٥- الزمخشري، الكشاف، دار النشر القاهرة ، ١٩٤٨م.
- ٦- الجرجاني، الفهارس والمعاني، دار النشر(بدون).
- ٧- كمال الدين خليل، تشكيل العقل المسلم، اسلام المعرفة، ١٩٩٥م.
- ٨- عبد الرحمن حنبكة، الأمة الربانية، دار القلم، بيروت، ١٩٩١م.
- ٩- طاش كبرا زادة:- مفتاح السعادة ومصباح السيادة - دار الكتب القاهرة ١٩٦٨.
- ١٠- احمد عبيد حسنة،مراجعات في الفكر والدعوة والحركة.الدار السعودية جدة ١٩٩١م.
- ١١- عبد المجيد النجار، دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية للأمة المسلمة، ولاية فيرجينيا، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ١٩٩٦م.

- ١٢- ابن خلدون:- المقدمة - دار الشعب - القاهرة - بدون
- ١٣- حسن الترابي:- قضايا الحرية والوحدة - دار النشر - الخرطوم  
١٩٨٥.
- ١٤- ابن قدامى:- المغني الجزء ١٠ ص٣٦٨.
- ١٥- صلاح الصاوي:- الثواب والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي - دار  
الكتب - الرياض ٢٠٠٨.
- ١٦- حسن الترابي:- الايمان واثره في الحياة - دار النشر - الخرطوم  
١٩٧٦.
- ١٧- عمر عبيد حسنة:- مراجعات في الفكر والدعوة والحركة - الدار  
السعودية - جدة ١٩٩١. مرجع سابق.
- ١٨- محمد الغزالي، احياء علوم الدين، المجلد الأول، ص٥٥.
- ١٩- حسن الترابي، مرجع سابق.
- ٢٠- محمد عبد الملك ابن هشام الحيميري، السيرة النبوية، دار ابن كثير  
دمشق ٢٠٠٩م.

بحث بعنوان :

نحو علم نفس إسلامي(الدواعي والأبعاد)

إعداد الدكتور / إبراهيم محمد شريف

أستاذ أصول التربية المشارك

مدير مركز الدراسات التربوية والمناهج

كلية التربية - جامعة نيالا

ت : ٠٩١٥٩٣٦٢٥٣

ملخص الدراسة :

هدفت الدراسة إلى :

- ١- معرفة مفهوم إسلامية المعرفة .
- ٢- توضيح آراء بعض العلماء المسلمين من العلوم الغربية .
- ٣- إبراز مبررات قيام علم نفس إسلامي .
- ٤- معرفة الصعوبات والعقبات التي تقف أمام علم النفس الإسلامي .
- ٥- الكشف عن العلاقة بين علم النفس الحديث أو المعاصر وعلم النفس الإسلامي والترابط بينهما .

اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي حيث قام الباحث  
بمسح موضوع الدراسة من خلال الاطلاع على أدبيات الموضوع  
وكتابات المفكرين وآرائهم .

تطرق الباحث للموضوع من خلال الإجابة على خمسة أسئلة  
وكانت النتائج علي النحو التالي :-

١ / تعددت مسميات التأصيل الإسلامي للمعرفة فمنها (أسلمة العلوم)  
و(إسلامية المعرفة) و (التوجيه الإسلامي للعلوم) أو (توجيه العلوم

الإنسانية وجهة إسلامية) ومن هذه العلوم علم النفس بكل فروعهِ  
والذي انبثق من أصول الإسلام ومفاهيمه العقديّة وقد ظهر هذا المفهوم  
في نهاية القرن العشرين .

٢ / تباينت مواقف العلماء المسلمين من العلوم الغربيّة فمنهم من وقف  
منها موقفاً سلبياً وآخرين دعوا إلى التغريب والأخذ بكل أسباب  
الحضارة الغربيّة خيرها وشرها وفئة ثالثة دعت إلى التوفيق بين  
الحضارتين وهنالك فئة رابعة تدعو إلى الاحتفاظ بما جاء في الكتاب  
والسنة والاستفادة من إنجازات الغرب التي لا تتعارض مع الدين وبذلك  
تعددت المواقف .

٣ / نتيجة للتخبط الذي وقع فيه علماء النفس الغربيين في فهم النفس  
البشرية والأساليب القاصرة في فهم تلك النفس والفلسفة الخاطئة التي  
انتهجتها استدعى كل ذلك إلى تبني إسلامية المعرفة لأن الوحي  
مصدر من مصادر المعرفة .



٤ / تواجه علماء النفس المسلمين عدة أمور منها عدم المزاولة بين العلوم  
المعرفية والإسلامية وتعظيم التراث وعدم تعمق علماء المسلمين في مواد  
علم النفس الغربي وجهل البعض منهم بالمفهوم الإسلامي .

٥ / إن النتاج الفكري الغربي ليس كل ما فيه لا يصلح لنا بل علينا  
معرفة الأسس التي قام عليها علم النفس وموضوعاته ومحتوياته كل  
ذلك يساعدنا في معرفة وتحديد ما يتلائم مع عقيدتنا ؛ لذلك لا يعني  
بالضرورة رفض كل نظريات علم النفس الغربي وأن يظل الحوار  
الحضاري أو الحوار مع الآخرين قائماً وتوسيع دائرة التفاهم وإبلاغ  
رسالة الإسلام إلى العالم وذلك بأفضل الوسائل مع مراعاة أدب الحوار  
وإتاحة الفرصة لتبادل الرأي للوصول إلى تفاهم وتعاون مشترك في ضوء  
العقيدة الإسلامية . وختم الباحث الدراسة بالتوصيات والمقترحات .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

إن الحديث عن الإنسان عامة والنفس الإنسانية على وجه الخصوص يمثل في حقيقته معضلة العضلات حيث تحدث عنها الفلاسفة وعلماء النفس وأخضعوا النفس الإنسانية لمناهج التحليل وفق

مختلف المدارس ووفق مختلف المناهج والواقع أن علم النفس الحديث بمدارسه المختلفة لم يتوصل حتى الآن إلى تعريف جامع مانع للنفس البشرية ورغم أن هناك الكثير من التعريفات إلا أنها جميعاً تناقض بعضها بعضاً حتى لتظهر آخر الأمر قاصرة معرضة للنقد.

ومعلوم أننا لا نستطيع أن نفهم شخصية الإنسان فهماً واضحاً بدون أن نفهم حقيقة جميع العوامل المحددة للشخصية سواء أكانت مادية أو اجتماعية أو ثقافية أو روحية أما الاقتصار على دراسة العوامل الجسمية البيولوجية والعوامل الاجتماعية والثقافية فقط وإهمال أثر الجانب الروحي فمن شأن ذلك أن يعطينا صورة غير واضحة وغير دقيقة للشخصية .

إن كثيراً من العاملين في حقول الفكر والمعرفة يرون أن أزمة المسلمين الفكرية اليوم تتمثل في غياب المنهج ؛ لأن الأزمة ليست بافتقاد المنهج ، فالمنهج موجود ومعصوم لكن المشكلة افتقاد وسائل الفهم الصحيحة وأدوات التوصيل وكيفية التعامل معه .

وفى علم النفس الاجتماعى دعوة صادقة إلى التعمق في طبيعة الإنسان البشرى ودوره ووظيفته في الحياة الدنيا ومن هنا وجب على دارس العلوم الإنسانية على وجه العموم وعلم النفس على وجه الخصوص أن يتفهم الطبيعة الإنسانية للنفس البشرية ، حتى تتطرق دراساته عن فهم واقعى وصحيح وشامل للنفس البشرية .<sup>(١)</sup>

### مشكلة الدراسة :

إن علماء النفس المعاصرين يريدون أن يخضعوا النفس لمناهج العلوم الوضعية والتجريبية مستهدفين الوصول إلى تعميمات يمكن بها تفسير السلوك الإنسانى تفسيراً مادياً مثل ما يجرى على المادة الصماء

---

<sup>(١)</sup> محمد محمود محمد : علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام ، دار الشروق للطباعة والنشر ، ط ١ ، جدة ،

المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٤م ، ص ١٢ .

والموضوعات الحسية والأشياء الجامدة التي يمكن أن تخضع للتجريب  
المعملى من خلال دراسة النفس دراسة جزئية غير متكاملة<sup>(١)</sup>

فقد ثبت بما لا يحصى من الأدلة أن الغرب مع دعواه المنهجية  
والعلمية ودعواه في التجرد و الموضوعية إلا أنه لم يلتزم بذلك حيث  
حصر التجريبيين العلم في التجربة وهذا الحصر غير علمي وذلك لأن  
التجربة ليست سوى مصدر من مصادر العلم وليست هي المصدر  
الوحيد وهي مصدر لنوع علم بعينه هو العلم بالمحسوس والوجود ليس  
هو المحسوس وحده وإنما الوجود محسوس وغير محسوس وشهود  
وغيب وإدعاء أن المحسوس وحده هو العالم وهو المعلوم هو إلحاد لا  
علم.<sup>(٢)</sup>

إن رؤية الإسلام إلى الشخصية في ضوء الاتجاه الجديد الذي يتبناه  
كوكبة من علماء النفس المسلمين من أجل إقامة هذا العلم على

---

<sup>(١)</sup> هاشم جاسم السامرائي : علم النفس الإسلامي ، ط ١ ، مركز عبادى للدراسات والنشر ،  
صنعاء ، اليمن ، ص ١١ .

<sup>(٢)</sup> محمد رشاد خليل : مرجع سابق - ص ٣٨ .

أساس التصور الإسلامي للإنسان بحيث تصبح موضوعات هذا العلم  
وما يتضمنه من مفهومات ونظريات متفقة مع مبادئ الإسلام أو على  
الأقل غير متعارضة معها .<sup>(٣)</sup>

وهناك من العلماء من أسهم في هذا المجال أمثال حسن  
الشرقاوي وعامر النجار ونبيل محمد السملوطي وسيد عبد الحميد  
مرسي ومحمد عودة محمد وكمال إبراهيم مرسي وعدنان ومحمد  
عثمان نجاتي ومحمد عز الدين توفيق ومالك بدري وآخرين كما  
عقدت عدة ندوات ومؤتمرات لهذا الأمر كما برزت جمعيات ومراكز  
ومنظمات تهتم بهذا المشروع . لو أن علم النفس كان مجموعة حقائق  
علمية مجردة لما كان هناك مسوغاً للحديث عند ضرورة تأصيله في  
إطار ثقافي بعينه ولما كان هنالك فجوة كبيرة بين علم النفس في  
الغرب والشرق تولد إحساس بالتلمذة والتابعة وهنا تبرر الحاجة  
للتأصيل .

---

<sup>(٣)</sup> أحمد الجرموزي : شخصية وقدرات عقلية ، مركز التربية للنشر - صنعاء ، ص ٢١ .

## أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى الآتي :

- ١- معرفة مفهوم إسلامية المعرفة .
- ٢- توضيح آراء بعض العلماء المسلمين للعلوم الغربية عامة وعلم النفس علي وجه الخصوص .
- ٣- إبراز مسوقات قيام علم نفس إسلامي.
- ٤- معرفة الصعوبات والعقبات التي تقف أمام علم النفس الإسلامي سواء أكانت منهجية أو فكرية او فلسفية.
- ٥- كشف العلاقة بين علم النفس وعلم النفس الإسلامي .
- ٦- توجيه النظر للترابط بين الدين الإسلامي والعلوم الإنسانية مما يؤكد معاني الوحدة بين علم مستمد من الله عبر رسوله وعلم نستخلصه من تجارب وأفكار الإنسان .

## أهمية الدراسة :

تتمثل أهمية الدراسة في الآتي:

١. احتياج المشغلين في مجال علم النفس لمثل هذه الدراسة .
٢. إظهار جانب مهم من مخزون الفكر النفسي الغربي والإسلامي وإتاحة الفرصة للباحثين والمفكرين لإحياء مصادر التراث من جديد وإعادة تنظيم عملية البحث .
٣. استبعاد كثير من المفاهيم والأفكار الوافدة التي تناقض الإسلام ودحض تلك المفاهيم بالحجة والبرهان في ضوء معايير التأصيل الإسلامي لعلم النفس .
٤. أهمية مكانة النفس في القرآن والسنة .

## أسئلة الدراسة :



يتمثل السؤال الرئيس لهذه الدراسة في الآتي : ( ما دواعي وأبعاد قيام

علم نفس إسلامي ؟ ) وتتفرع منه الأسئلة الآتية :

س ١ : ماذا نعني بإسلامية المعرفة أو التأصيل الإسلامي؟

س ٢ : ما موقف العلماء المسلمين من العلوم الغربية؟

س ٣ : لماذا قيام علم نفس إسلامي ؟

س ٤ : ما الصعوبات التي تواجه علم النفس الإسلامي ؟

س ٥ : ما هي طبيعة العلاقة بين علم النفس وعلم النفس الإسلامي؟

منهج الدراسة :

اعتمد الباحث المنهج الوصفي والمنهج التحليلي النظري ؛ لأنه

أنسب مناهج البحث لهذا النوع من الدراسة وهو أكثر المناهج شيوعاً

واستخداماً من الباحثين في الدراسات النفسية حيث قام الباحث بمسح

موضوع الدراسة من خلال الاطلاع على أدبيات الموضوع وكتابات

المفكرين وآرائهم وذلك للوصول إلى بعض النقاط التي تساعد في

تطوير الفكرة ، كما استطاع الباحث من خلال ذلك الإجابة على أسئلة البحث .

### مصطلحات الدراسة :

التأصيل الإسلامي للمعرفة : التأصيل الإسلامي للمعرفة ( التأصيل يعني من حيث دلالاته اللغوية الوصل بالأصل وبما أن أصل كل أمر يرد إلى الله جل جلاله بمقتضى المعرفة فإن مفهوم التأصيل مرتبط ارتباطاً وثيقاً بمبادئ الإيمان به تعالى مثلما هو مرتبط بهذه المعرفة) <sup>(١)</sup>

وتأصيل المعرفة بردها إلى أصولها العقدية . لا يعني مجرد التمسك بهذه الأصول دون وعي بغاياتها وإنما يفيد الأخذ بها لبلوغ تلك الغايات وهكذا نجد أن تأسيس المعرفة بتأصيلها على قيم الدين ومبادئه يعني إسلامها لله عز وجل <sup>(٢)</sup>

---

<sup>(١)</sup> محمد عطا مدني : تصميم حقيبة تعليمية وإنتاجها حول بعض المفاهيم في الجغرافيا الطبيعية للصف الأول الثانوي في ضوء آيات من القرآن الكريم ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الخرطوم - ٢٠٠٠م - ص ٣٥ .

<sup>(٢)</sup> شرف الدين على الطاهر: تأصيل المعرفة أسسه وأهدافه ، مجلة التأصيل - العدد السادس -

ويعرفها العاني بأنها ( عملية مقصودة لتوجيه المعرفة بعمومها فكراً وسلوكاً نظراً وتطبيقاً في ضوء معارف الوحي قرآناً وسنة والاجتهاد المشروع في نصوصه بما تقتضيه الفطرة الإلاهية للإنسان والسنن والنواميس الكونية)<sup>(١)</sup>

ويعرف الباحث التأصيل الإسلامي للمعرفة بأنه : ( ممارسة النشاط المعرفي من زاوية التصور الإسلامي ) تعريف إجرائي.

علم النفس :

---

الخرطوم - ١٩٩٨م - ص ٣ .  
<sup>(١)</sup> نزار العاني : محددات أولية لمنهجية أسلمة المعرفة ، مجلة التجديد ، السنة الثانية ، العدد الثالث ، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ، ١٩٩٨م - ١٢٢-١١٣ .

هو الدراسة العلمية للسلوك الإنساني في علاقته وتفاعله مع

البيئة التي تحيط به (تعريف إجرائي).

**الدواعي لغة :-** السبب أو طلب الاسباب أو الذريعة أو ما يتوصل به

الي غيره أو الطريق و الاخذ والعطاء<sup>(٢)</sup> وداعاه : ناداه ورغبه إليه<sup>(٣)</sup>

**الدواعي اصطلاحاً :** الاسباب التي تدعو لتبني واعتماد علم نفس

بالمنظور الإسلامي ( تعريف اجرائي ) .

**الابعاد لغة:** جمع بعدوالبعد : الرعي و الحزم .

**الابعاد اصطلاحاً :** الجوانب التي ارتكزت عليها الدراسة لإثبات

المبررات الداعية لقيام علم نفس اسلامي ( تعريف إجرائي )

**إجراءات الدراسة :**

---

(٢) لويس معلوف : المتجدد في اللغة ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ ، ص ٤٣

(٣) المرجع السابق ، ص ٢١٦

اطلع الباحث على قدر وافر من كتابات علماء الغرب  
والمسلمين عن علم النفس عامة ، ولقد استفاد الباحث من تلك  
الكتابات في تكوين فكرة واضحة عن الموضوع بكل جوانبه كما  
ساق الباحث آراء بعض الكتاب المسلمين في هذا الأمر واستند عليها  
في التفسير والمناقشة .

**للإجابة على السؤال الأول ومضمونه :** (ماذا نعني بإسلامية المعرفة أو  
التأصيل الإسلامي؟)

الإسلام والمعرفة يتفاعلان لذلك كانت مهمة الإسلام تطور  
الفكر البشري ؛ لأنه يعمل على ربط المعرفة بالدين ربطاً عضوياً ؛  
فالعلاقة بين الإسلام والمعرفة علاقة وطيدة جداً انطلاقاً من تقدير  
الإسلام للعقل والمعرفة ومصدر المعرفة هو تصور الإسلام للكون  
والإنسان والحياة والتفاعل بين هذه العناصر لذلك ينبغي أن تتدرج  
جميع العلوم والمعارف في إطار الدين الكلي كما يراه الإسلام فيخدم

كل واحد منهما من زاوية اختصاصه في كشف الحقيقة ؛ لأنها من مقاصد وغايات الدين في تربية الإنسان .

فالمعرفة الدينية ليست قاصرة فقط على دراسة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، ولكن لا بد أن تكون تربية شاملة تهتم بثقافة المسلم وسلوكه ، فالدين ليس علماً ولكنه منهج حياة شاملة ويجب ألا تقع فيما وقعت فيه الأديان الأخرى بعزل الدين عن الحياة العامة للمجتمع .

جعل علم النفس بكل فروعِهِ منبثقاً من أصول الإسلام ومفاهيمه العقديّة المبنوثة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والاستفادة من جهود العلماء المسلمين وغيرهم فيما لا يتعارض مع تلك الأصول .

الأصل في اللغة يأتي بعده معانٍ منها: الأصل للشيء أو أسفل كل شيء وجمعه أصول وتأصيل الشيء إثبات أصله ورجل أصيل : ثابت الرأي والعقل وأصل الشجرة: جذورها وهذا المصطلح رغم أنه سليم إلى حد كبير إلا أنه لا يمكن تأصيل كل العلوم ولا نجد لها

أصولاً إسلامية كما هو المطلوب ، فإذا اقتصر التأصيل على العلوم الاجتماعية يكون المصطلح سليماً<sup>(١)</sup> .

ولقد أدرك المسلمون ذلك مؤخراً حيث راجت منذ مطلع الثمانينات مع تنامي الصحوة الإسلامية مصطلحات ( أسلمة العلوم ) و (الإسلام هو الحل ) و (الاقتصاد الإسلامي ) و (إسلامية المعرفة ) و (علم النفس الإسلامي ) وغير ذلك مما أريد به تأكيد ربط الإسلام بجوانب الحياة كافة الفكرية والاجتماعية والثقافية والسياسية " ولم تكن الدعوة إلى (أسلمة العلوم ) و(إسلامية المعرفة) في حقيقة الأمر نتاجاً خاصاً بمرحلة الثمانينيات بل موغل النقاش في هذه الإشكالية إلى القرن الماضي ، حيث اكتشف المسلمون التقدم العلمي الهائل في أوروبا مقابلة بما كانوا هم عليه الأمر الذي أثار بين مثقفهم وعلمائهم أسئلة

---

(١) مقداد يالخن : سياسات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون - دار عالم الكتب للطباعة والنشر - ط ١ - الرياض /السعودية - ١٩٩٦م - ص ٣١-٣٢ .

واتجاهات تبحث عن سبل التوفيق بين الإسلام والعلم وعن أسباب  
تخلف المسلمين وتقدم غيرهم) <sup>(١)</sup>

وقد نال موضوع (أسلمة المعرفة) إهتماماً كبيراً في السنوات  
الأخيرة من مجموعة من العلماء والمفكرين المسلمين حيث تبلورت  
جهودهم في إنتاج العديد من الأبحاث والدراسات التأصيلية في مختلف  
فروع المعرفة ونشرت العديد من المقالات والدراسات والمؤلفات التي  
تدعو إلى هذا الاتجاه التأصيلي للعلوم الاجتماعية والإنسانية والتربوية  
وعقدت العديد من المؤتمرات والندوات لذلك .

ويعرف إسماعيل الفاروقي أسلمة المعرفة بأنها إعادة صياغة  
العلوم في ضوء الإسلام وإعادة صياغة المعلومات وتنسيقها وإعادة  
التفكير في المقدمات والنتائج المتحصلة منها وتقييم الاستنتاجات التي

---

<sup>(١)</sup> طلال عتريسي : ضالة المؤمن بين أسلمة المعرفة وعلوم الغرب - مجلة باحثات - العدد الثالث  
- المركز اللبناني للدراسات - بيروت - لبنان - ١٩٩٧م - ص ٣٨١.



انتهت إليها وإعادة تحديد الأهداف على أن يكون كل ذلك بطريقة تجعل فروع المعرفة المختلفة تثري التصور الإسلامي وتخدم أهداف

الإسلام.<sup>(٢)</sup>

ويعرف يالجن "إسلامية المعرفة" بأنها (إعادة النظر في الدراسات العلمية بعامة والإنسانية منها بخاصة وتأصيلها وفق ثوابت الفكر الإسلامي وصياغتها في إطار الإسلام).<sup>(٣)</sup>

بينما يرى بعضهم أن قضية أسلمة المعرفة نشأت بسبب وجود أزمة حالية قامت نتيجة لإنهيار الشخصية المسلمة أمام عطاء الحضارة الغربية المعاصرة بينما يرى آخرون أن الشخصية المسلمة كانت قد انهارت منذ أيام الدولة العباسية وبالتالي فإن الأزمة ليست حالية وإنما قديمة

---

(٢) صالح سليمان العمرو : التأصيل الإسلامي لفلسفة التربية ، معهد البحوث العلمية ، جامعة ام القرى ، السعودية ، ١٩٩٩ م ، ص ١٧-١٨ .

(٣) مقداد يالجن : مرجع سابق ، ص ٩٦

ويورد (حاج حمد) <sup>(١)</sup> بعض الإشكالات في مصطلح إسلامية المعرفة فيرى أن (إسلامية المعرفة) عنوان مركب من (إسلامية) ومن (معرفة) في حين أن (الإسلامية) فيما يراها الناس (تخصيص ديني) في مقابل (معرفة) هي عامة غير قابلة للتخصيص وليس التخصيص الديني فقط وإنما تتسع لعدد من المناهج وتستبطن العديد من الإيدولوجية فتركيب المعرفة على الإسلامية يحمل تخصيصها وتحديداً يوصف هذه المعرفة الإسلامية مفارقة لغيرها على مستوى المناهج الأخرى فهل يمكن مصادرة الإنتاج البشري العام لصالح معرفة خاصة .

ويقال إن الصحوة الإسلامية التي أخذت بالانتشار بعد هزيمة العرب في حزيران عام ١٩٦٧م تحولت إلى تيار سياسي يحاول تقديم البديل الإسلامي أو الحل الإسلامي ثم أخذ الإسلاميون يكتبون عن المشروع الحضاري الإسلامي .

---

<sup>(١)</sup> محمد أبو القاسم حاج حمد: إسلامية المعرفة ، المفاهيم والقضايا الكونية ، معهد إسلامية المعرفة، مجلة تفكر ، المجلد ٣ ، العدد ٢ ، ٢٠٠١م ، ص ٩ .

وهناك عدة مسميات لهذا التأصيل منها على سبيل المثال : ( إسلامية المعرفة المعهد العالمي للفكر الإسلامي) بالولايات المتحدة أو إسلام المعرفة (معهد إسلام المعرفة بجامعة الجزيرة ) أو التأصيل الإسلامي للمعرفة ( جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ) أو التوجيه الإسلامي للعلوم (جامعة الأزهر بمصر) على اعتبار أن المهم هو المفهوم والمضمون وليس المصطلح أو الشعار<sup>(٢)</sup>.

وشهد العالم الإسلامي منذ مغرب القرن التاسع عشر وإلى يومنا هذا دعوات ومحاولات لإعادة قراءة التراث المعرفي الإسلامي وصياغته بجميع فروعه وتخصصاته وتنوعت هذه الدعوات بين الاعتدال والغلو وبين النجاح والإخفاق.<sup>(١)</sup>

---

<sup>(٢)</sup> فتحي حسن ملكاوي : حوارات إسلامية المعرفة عرض وتحليل - مجلة إسلامية المعرفة - المعهد العالمي للفكر الإسلامي - السنة السابعة - العدد الخامس والعشرون - ٢٠٠١ م - ص ١٠٠.

<sup>(١)</sup> نعمان جعيم : نظريات الفقه الإسلامي منهجية الاجتهاد ، مجلة إسلامية المعرفة ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، السنة الرابعة ، العدد الرابع عشر ، واشنطن ، ١٩٩٨ م ، ص ٢٠٣.

ومن حسن الطالع أن بدأ المسلمون يستتبطنون ويستيقظون ويستعيدون قوتهم ويتبصرون في تعاليم الإسلام الصافية ومعانيه العميقة وأخذ البعض منهم على عاتقه أمرين : أحدهما تخليصه مما شابه وشوه خلال عصور الانحطاط والتخلف وثنائهما : الوقوف أمام تحدي الغرب وعقائده وفلسفاته ونظمه ولقد سارت العمليتان في آن واحد فكان الجهد مبدولاً لإزالة ما علق به من الشوائب وتصحيح المفاهيم وإعادة النسب والمقاييس إلى أصلها وإبراز ما أغفل من أقسامه ولا تزال هذه العملية مستمرة والحاجة إليها قائمة .

أما العملية الثانية فقد بدأت في أول أمرها بالموازنة ، والمقابلة والبحث عما في الإسلام مما يماثل أفكار الحضارة الغربية ونظمها وممرت العملية بمرحلة التوفيق بين الإسلام والأفكار الغربية وكان لهذه المرحلة فوائدها ومضارها فكانت سبيلاً للكشف عن كثير من جوانب عظمة الإسلام وجلاء حكمه وأحكامه كما كانت أحياناً طريقاً للانحراف والتعسف في تأويل نصوصه وإلباسه غير ثوبه وإقحام

أفكار غربية عليه ولذلك كان لا بد من أن تعقبها مرحلة ثالثة تزيل  
هذا التلفيق بين فكرتين وعقيدتين ونظامين مختلفين وهذه المرحلة  
الأخيرة تتسم بالأصالة وتتجلى فيها ذاتية التراث الإسلامي وخصائصه  
المميزة .<sup>(٢)</sup>

للإجابة على السؤال الثاني ومضمونه : ( ما موقف العلماء المسلمين من  
العلوم الغربية؟ )

يواجه المجتمع الإسلامي اليوم قضايا متعددة فرضتها عليه  
تحديات العصر والحضارة ومن هذه القضايا الغزو الفكري ويرى عبد  
الكريم عثمان ( أن للمفكرين الإسلاميين من الغزو الفكري الغربي  
مواقف تتحدد في أربع اتجاهات هي :

**الأول :** يتخذ موقفاً سلبياً أمام الحضارة الغربية وكل ما انبثق عنها  
وعدم الأخذ بشيء من أسباب هذه الحضارة .

---

<sup>(٢)</sup> محمد المبارك : الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية ، دار الفكر ، ط ٣ ،  
بيروت ، ١٩٧٢م ، ص ١١ - ١٦ .

**الثاني :** يدعو إلى التغريب والأخذ بكل أسباب الحضارة خيرها  
وشرها .

**الثالث :** التوفيق بين الحضارتين ويدعو هذا الرأي إلى تقريب مبادئ  
الإسلام من مثل الحضارة الغربية مع الميل إلى تبني الثقافة الغربية .

**الرابع :** الاتجاه الذي يتمثل في الدعوة إلى احتفاظ المسلمين بإسلامهم  
حسب ما جاء في القرآن والسنة مع الإفادة من خير ما أنجزته المدنية  
الغربية والعلم الغربي مع عدم الأخذ من الثقافة نفسها إلا ما لم  
يتعارض مع شخصية الأمة الإسلامية وثقافتها<sup>(١)</sup>.

كما يصنف لهذه المرحلة طه العلواني الذي يؤرخ لها بالمرحلة  
الرابعة من مراحل تطور فكر المسلمين فالمرحلة الأولى عنده يصطلح  
عليها بمرحلة ( الصدمة الأولى والانبهار المباشر ) حيث زلزل فيها  
المسلمون زلزالاً شديداً عن مواقفهم الفكرية والثقافية وفقدوا ثقتهم

---

<sup>(١)</sup> عبد الكريم عثمان : معالم الثقافة الإسلامية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٢ م ،

بفكرهم الإسلامي والمرحلة الثانية التي بدأت فيها النفوس تستقر إلى حد ما وتجتاز فترة الانبهار والمرحلة الثالثة وهي التي تعيشها أو نعيش جزءاً منها وهي التي سميت بمرحلة ( الصحوة الإسلامية ) أي مرحلة الوعي بالذات أو اكتشاف الذات أما المرحلة الرابعة وهي التي نقصدها فهي مرحلة تقديم البديل الإسلامي الحضاري لكل ما قدمه الغرب<sup>(٢)</sup> .

بينما يرى منير شفيق بأن المراحل خمسة ( المرحلة الأولى وتتسم بمحاولة إصلاح الدولة العثمانية من الداخل ويمثلها فكر جمال الدين الأفغاني والثانية تثبت أقدام الاستعمار في نهايات الحرب العالمية الأولى ويمثلها أفكار محمد عبده ورشيد رضا والكواكبي وأرسلان والثالثة وهي مرحلة الاستعمار المباشر والرابعة مرحلة الدولة العربية المستقلة ما بعد الحرب العالمية الثانية وأما المرحلة الخامسة فيمكن اعتبار نجاح الثورة الإسلامية في إيران وبداية القرن الخامس عشر

---

(٢) طه جابر العلواني : الأزمة الفكرية المعاصرة تشخيص ومقترحات وعلاج ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي - واشنطن - ١٩٩٣ م ، ص ٩٣ .

للهجرة إيذاناً بالدخول إليها وتتسم بمحاولة الفكر الإسلامي مراجعة تجربته السابقة والانتقال إلى مواقع الهجوم الإيجابية في تغيير الواقع .

(١)

وقد أفرز الحديث نحو علم نفس إسلامي ثلاثة مواقف ويذكر مالك بدري ثلاثة تيارات مختلفة لمفهوم أسلمة علم النفس . أولها : التيار المتطرف الذي يؤكد أنه ليس هناك شيء أسمه (علم نفس إسلامي) وليس هناك ما يدعو للتأصيل الإسلامي لعلم النفس أو غيره من العلوم الإنسانية . ثانيها : يرى أن علم النفس الحديث بكل فروعه هو وليد شرعي للحضارة الغربية اليهودية والمسيحية وأن العالم الإسلامي لو تمسك بدينه وتراثه لن يكون بحاجة لهذا المسخ الأكاديمي العلماني ، ويرى أصحاب هذا الرأي أن العالم الإسلامي بحاجة إلى علم نفس إسلامي مستمد فقط من نصوص القرآن والسنة . ثالثها : وهو الاتجاه الوسط الذي يعترف لعلم النفس بالعلمية وفوائده وأهميته ولكنه لا

---

(١) منير شفيق : الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات ، دار النشر ، بيروت - ١٩٩١م - ص



ينسى تأثير الخلفية الفلسفية الغربية لهذا العلم لذلك وجب على العلماء المسلمين التّأصيل ليميزوا الخبيث من الطيب .<sup>(٢)</sup>

١ / موقف الرفض باسم الإسلام :هذا الموقف يرفض علم النفس باسم الإسلام ، ويرى أن المسلمين في غنى عنه وهو موقف أولئك الذين لم يدرسوا علم النفس دراسة متخصصة ولم تسمح لهم ثقافتهم التقليدية أن يحيطوا بموضوعاته أو أنهم الذين نظروا في بعض النظريات التي قامت بها مدارس نفسية ورأوا آثارها في أوساط الشباب والمثقفين وربما المتخصصين في علم النفس فذهبوا إلى انتقاده ورفضه .

٢ / موقف الرفض باسم علم النفس : عندما يذكر علم النفس الإسلامي يستحضر علماء النفس في مجتمعنا صوراً متباينة تبعاً لمفهوم علم النفس لدى كل واحد والتشكيك في إمكانية تحقيقه.

---

<sup>(٢)</sup> مالك بدري : علم النفس الحديث من منظور إسلامي ، سلسلة المنهجية الإسلامية ، المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية ، ج٣ ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٩٩٢ م ، ص ٣٣٧ - ٣٣٨ .

٣ / وهنالك موقفاً وسطاً بين الموقفين السابقين باعتبار أن علم النفس يشترك مع غيره من العلوم وهو موقف من أدركوا أهمية علم النفس وأدركوا في ذات الوقت خطورته إذا انتقل إلى المجتمع الإسلامي بضاعة مستوردة .

وإن المرحلة التي تمر بها الأمة الإسلامية تتطلب هذا الموقف بإلحاح ففي الوقت الذي يتقدم علم النفس الغربي بخطى سريعة وواسعة ويزيد بذلك من ضغطه على البلاد المتأثرة بثقافته فإن هذه التطورات قد نبهت إلى الطابع الثقافى لهذا العلم ولا نجد في العالم الإسلامي إلا أبحاثاً محدودة لا تتوافر في أغلبها شروط البحث العلمي .

ويرى عمارة ظهور ثلاثة تيارات هم<sup>(١)</sup>

١ - تيار التقليد للموروث .

---

(١) محمد عمارة : أزمة الفكر الإسلامي الحديث ، دار الفكر ، ط ١ ، بيروت - لبنان -

١٩٩٨م - ص ٨١-١٠٠ .

٢- تيار التقليد للوفد الغربي .

٣- تيار الإحياء والتجديد.

التيار الأول له فضل الحفاظ على التراث والدفاع عنه أمام الوافد الغربي الأمر الذي حفظ للأمة ولثقافتها التواصل مع ماضيها الحضاري ولكنه انكفأ على (الذات) وقد ظل عاجزاً عن صياغة الخيار الحضاري والنموذج التجديدي القادر على منافسة النموذج الغربي لا لقصور طبيعي في عقول أعلام هذا التيار وإنما لغيب في بضاعتهم الفكرية .

أما التيار الثاني فكانت بدايات فكره الاستقلال من الموروث وقطع حبال التواصل الحضاري واستبدال النموذج الغربي بدلاً من المنابع الحضارية الإسلامية .

أما التيار الثالث فأرادوا مشروعاً تجديدياً لا يقيم قطيعة مع التراث ، وإنما يتجاوز المتخلف منه ذلك الذي تجاوزه التطور ولا يقيم

قطيعة مع الحضارات الأخرى وإنما يميز بين ( المشترك الإنساني العام ( ، وبين (الخصوصيات ) التي تتميز بها تلك الحضارات ولا يدير ظهره للواقع حاضراً ومستقبلاً وهو بذلك يريد استلهاً الموروث والاستعانة بالوافد الملائم كمنطلقات لإبداع جديد للواقع الإسلامي . فالفكر الإسلامي بأصوله القائمة على التوحيد كان دائماً قادراً على أن يحتفظ بذاتيته الخاصة يأخذ من الفكر البشري ويترك وقد عجزت كل القوى - في أحلك الظروف والأوقات - أن تصهره أو تخضعه أو تفقده مقوماته وهو ما لا يمكن أن يحدث .<sup>(١)</sup>

للإجابة على السؤال الثالث : (لماذا قيام علم نفس إسلامي ؟)

نتيجة للظروف التاريخية التي مرت بها أوروبا في العصور الوسطى وما حدث من صراع عنيف بين الكنيسة والعلم ظهرت العلمانية في أوروبا في عصر النهضة وما بعدها ، واتخذ هذا الاتجاه

---

<sup>(١)</sup> أنور الجندي : قضايا العصر ومشكلات الفكر تحت ضوء الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ،

بيروت - لبنان ، ١٩٨٤ م ، ص ٢٠٣ .

موقفاً عدائياً من الدين أدى إلى إقصائه عن الحياة وصار الإلحاد هو الأساس الفكري الذي تبنى عليه العلوم في كل ميادينها مما أدى ذلك إلى ظهور المنهج الوضعي الذي ينادي بوجوب تطبيق قواعد المنهج العلمي المستخدم في ميدان العلوم الطبيعية ذاته على جميع العلوم الاجتماعية والإنسانية والنفسية وهو منهج يرتكز على موقف فلسفي مفاده بأنه لا يمكن الوصول إلى المعرفة إلا من خلال الخبرة الحسية والاعتماد المطلق على الملاحظة والخبرة الحسية والتجربة<sup>(٢)</sup>

ويرى الباحث أن هذه النظرة تعد اتجاهاً علمانياً قاصراً ؛ لأنه يحصر المعرفة في أمور الحياة الدنيا ويعادي الدين كما يعادي البحث فيما وراء الوجود المحسوس وهذا يجعل موقف العلماء المسلمين من الحضارة الغربية ومنجزاتها واضحة وجلية فنأخذ منها التقنين الذي تميزت به علومها ومناهجها ونرفض الخلفية الفكرية التي بنيت عليها هذه العلوم .

---

<sup>(٢)</sup> صالح سليمان العمرو : مرجع سابق ، ص ١٧-١٨

لقد أفسد علم النفس الحديث العلم بالنفس ؛ لأنه بنى هذا العلم على فلسفة التطور التي تتكرر الخالق والخلق وتقول بالطبيعة المتطورة والتي أصبحت الموجة الرئيس لعلم النفس الحديث . وإن التطور الإلحادي لأصل الإنسان والذي قال به التطويريون قد أصبح اليوم هو أساس جميع العلوم الإنسانية وغير الإنسانية وهو بالتالي أساس علم النفس بجميع مدارس سواء أكانت التحليلية أو السلوكية ، لأن جميع هذه المدارس على اختلافها إنما هي انعكاس للموروث القومي والتاريخي لمؤسسيها من جانب كما أنها وسيلة مستترة بستار العلم لتحقيق أهداف قومية من جانب آخر.<sup>(١)</sup>

كما يضاف إلى ذلك أن علم النفس الحديث في الغرب ما هو إلا علم نفس الرجل الأبيض وليس صحيحاً أنه كان في أول الأمر بل أنه ما زال كذلك .<sup>(٢)</sup>

---

<sup>(١)</sup> محمد رشاد خليل :مرجع سابق ، ص

<sup>(٢)</sup> أحمد عزت راجح : أصول علم النفس ، ط ١٠ ، المكتب الحديث ، القاهرة ، ١٩٧٦ م . ص

لقد تخبط علماء النفس الغربيين في فهم أنواع الصراع النفسى وذلك بسبب إنكارهم لحقيقة النفس المخلوقة على نحو ما بينه الإسلام ولذا فإن الإسلام يعرض لنا الصراع بأبعاده المختلفة وهو الصراع في نفس الإنسان الذى همه دنياه لا يعرف غيرها والإنسان يتردد بين دنياه وآخرتة والإنسان الذى يقبل بكل همه على آخرتة ولذا فإن علم النفس الإلحادى الذى لا يعترف بالروح لا يستطيع أن يفهم أنواع الصراع بين الخير والشر لأن عوامل الصراع منها ما هو مغيب ومنها ما هو مشهود فالمؤمن يسلم بوجودها كلها وإن لم يعرف كيفية عملها بينما الكافر يسلم ببعض وينكر البعض ويظل تحت شيطانه ونفسه وهمومه ومخاوفه ويعيش حياته نهياً للقلق والخوف.<sup>(٣)</sup>

إن اعتماد نظرية الأنماط سواء التي جاء بها أبقراط أو كرتشمير Kretschmer أو شلدون أو كاتل أو غيرهما لا تمت إلى الحقيقة العلمية ولا يمكن الاعتماد عليها فالنمط البدين أو النحيل أو

---

<sup>(٣)</sup> محمد رشاد خليل : مرجع سابق ، ص ٧٥

الرياضي أو النمط الغير منتظم وخصائص كل منهم لا يمكن أن تكون منطبقة على نمط الشخصية بكل أبعادها وحذافيرها ولا يمكن اعتمادها كأساس لدراسة الشخصية ؛ لأن علم الأنماط والنماذج ارتكزتا على علم التشريح والأشكال وهي تعتمد على النظرية البيولوجية في تفسير السلوك .

وقد ذهب أصحاب المدرسة الإنسانية إلى رفض المسلمات التي تقوم عليها مدرسة التحليل النفسي والسلوكية كما يرفضون كثيراً من المصطلحات المستخدمة في هاتين المدرستين .

لا يوجد على ظهر الأرض منهج علمي قد حرر الدليل تحريراً علمياً خالصاً مجرداً من الهوى والغرض غير المنهجية الإسلامية التي تعتمد على الوحي والتجريب والحواس باعتبارهم دلائل ، إن دعوة الغرب للمنهجية العلمية والتجرد والموضوعية لم يحرر الدليل العلمي تحريراً مجرداً من الغرض أو الهوى فالإسلام حينما يناقش خصومه لا يرد دعواهم لمجرد المخالفة وإنما يرفضها لأنها لا تستند إلى دليل ولذا يقول



اللّٰه تعالى لهم : ( قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)<sup>(١)</sup> والبرهان هو الدليل وقوله تعالى : ( إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على اللّٰه ما لا تعلمون )<sup>(٢)</sup> والسلطان هو الدليل ، فمصادر العلم عند علماء الغرب محدودة ومحصورة على التجربة وهذا حصر غير علمي لأن التجربة ليست سوى مصدر من مصادر العلم وليست هي المصدر الوحيد للعلم وهي مصدر لنوع علم بعينه هو العلم بالمحسوس والوجود ليس هو المحسوس وحده وإنما الوجود محسوس وغير محسوس ومشهود وغيب ومصادر العلم تختلف باختلاف نوع المعلوم فالغيب مصدر العلم به هو الوحي الصادق أو الخبر والمحسوس الذي غاب عنا لا مصدر للعلم به إلا الخبر عنه والمحسوس سبيله للملاحظة والتجربة والخبر أيضاً إن الحاجة إلى المعرفة الصحيحة بالنفس حاجة إنسانية أساسية :لأن حياة الإنسان كله يتوقف عليها وأنه لمن السفه أن يظن ظاناً أن اللّٰه تعالى خلق الناس وكلفهم ثم تركهم بدون علم صحيح

---

(١) سورة الأنبياء - الآية ٤٣ .

(٢) سورة يونس - الآية ٦٨ .

بالنفس وهو يعلم أن حياتهم لا تصح إلا بهذا العلم ومن السفه أيضاً أن  
يظن ظان “ أن البشرية ظلت جاهلة جهلاً مطلقاً بالنفس حتى جاء  
سقراط فقال (أعرف نفسك) فبدأ الناس يعرفون جزء من أنفسهم ثم  
ظلوا على جهل كبير بها إلى أن جاء فرويد وبونج وواطسن وبافلوف  
فكشفوا لهم سرها وفكوا لهم رموز علمها .

إن العلوم الإنسانية في الغرب تقوم على فلسفات خاصة تتطلق كل  
منها من وجهة نظر خاصة بصاحبها ولقد شاع كثير من هذه النظريات  
رغم ثبوت بطلانها لأن كثيراً ما ينكر بعضها بعضاً وينقض بعضها  
بعضاً بسبب التعصب أو بسبب الجمود أو لأنها تخدم سياسات مذهبية  
واستعمارية.<sup>(١)</sup>

لكل ما تقدم نستطيع أن نقول إنه يستحيل قيام علم نفس  
على أساس غير إسلامي ؛ لأن النفس ليست مجموعة من الظواهر التي

---

(١) محمد رشاد خليل : علم النفس الإسلامي العام والتربوي ، دار القلم ، ط ١ ، الكويت ،

تخضع للملاحظة والتجربة كما ذهب إلى ذلك أصحاب الفلسفة  
التجريبية الإلحادية على اختلاف مدارسهم .

وحيثما نقول علم نفس إسلامي إنما نقول عن علم تأسس أولاً  
على خبر الوحي الصادق من خالق النفس ثم اتسع بالاجتهاد عبر  
القرون على أساس عملية منهجية أرسى قواعدها الوحي الإلهي وعلم  
النفس بهذه الصورة أوسع علوم الإسلام على الإطلاق ؛ لأنه يحتل  
مساحة واسعة في الكتاب والسنة وآراء الفقهاء المسلمين ؛ لأنهم  
استتبوا تلك الأحكام الشرعية من علم النفس.

لذا فإن تلك الأمور بمثابة قواعد مؤطره للمعرفة الإسلامية  
ومؤثرة في حركة ومسيرة الفكر الإسلامي .

إن اعتماد كثير من المدارس النفسية والفلسفية على التواصل  
الدارويني فيما بين الإنسان والحيوان قد أثر على نشاطها وبحوثها  
لدرجة جعلت علم النفس أقرب إلى علم الحيوان منه إلى الإنسان  
بالرغم من بعض الفوائد ذات القيمة في الملاحظة التجريبية لسلوك

الحيوان ، إلا أنه من الواضح أن الإنسان يحمل من البناء الداخلي والإمكانات الذاتية لتحديد أشكال السلوك أكثر مما تحمله الفئران أو الكلاب . ومن الواضح أن التصور الإسلامي للإنسان يؤكد على تمييزه عن بقية المخلوقات وتكريم الحق سبحانه وتعالى له وتسخير الكون له واعتباره كائناً أعلى وأشرف من أن تفسر حياته قوانين المادة أو الكائنات الحية الأخرى.

وتتميز نظرية المعرفة الإسلامية بالتشديد على أهمية الوحي كمصدر رئيسي للمعرفة ومعطيات الوحي المعرفية بالإضافة إلى الحواس والعقل .

لو أن علم النفس كان مجموعة من حقائق علمية مجردة لما كان هنالك مسوغاً للحديث عن ضرورة تأصيله في إطار ثقافي بعينه ولما كان هنالك فجوة كبيرة بين علم النفس في الغرب والشرق تولد إحساس بالتلمذة والتابعة .

إن قيادة الحركة العلمية ليست حكراً على العلمانيين والدليل على ذلك ما نطالعه في التراث الإسلامي حيث نجد أن ابن الهيثم وابن طفيل وابن سينا وغيرهم يتحركون بمنهج علمي وتجريبي في إطار تصوراتهم الإسلامية وكانوا في ذات الوقت قادرين على القيام بمهام التنظير السيكولوجي الرفيع وفي ضوء تلك الاعتبارات الماضية نجد أن علماءنا المسلمين اليوم قادرين على القيادة العلمية امتداداً لأجدادهم لأنهم يمارسون علم النفس داخل الأطر النظرية للثقافة التي نشأوا عليها وهي أطر بكل تأكيد ليست علمانية .

وفي الإنسان وفق مفهوم الإسلام عنصران : عنصر ثابت لا يتغير مهما تغيرت الظروف ومهما تغيرت حياته على الأرض لأنه يتصل بحقائق أزلية ثابتة لا يدركها التغيير أما العنصر الثاني فهو عنصر متغير من الجوهر الثابت أو حالات متطورة للكيان الدائم ولكنها مع تغيرها وتطورها لا تخرج بالإنسان عن كونه إنساناً.<sup>(١)</sup>

---

(١) أنور الجندي : مرجع سابق - ص ٨٤ .

ونسلم هذه الأيام أصوات تتعالى تدحض النظرية المادية أو على الأقل يثير الشبهات القوية حولها كمقدمة لانهارها في المستقبل القريب .

ولا شك أن القول بأن الدين يلغي العلم أو العكس إنما هو خطأ فالعلم طاقة من طاقات الإنسان أما الدين فهو منهج كامل للحياة البشرية والعلاقة تنبثق من إيمان وإدراك بالله والالتزام بمنهجه.

إن علم النفس من أوسع علوم الإسلام وقد احتل مساحة واسعة في الكتاب والسنة كما أولاه الفقهاء المسلمون عناية شديدة فقد أسس الفقهاء عليه كثيراً من استنباطاتهم للأحكام الشرعية بالإضافة إلى كونه أساساً عاماً للأحكام الشرعية سواء منها الوارد بالنص أو المستنبط بالاجتهاد كما نجد علم النفس ركناً أساسياً من

مباحث أصول الدين والاعتقاد لأن مسائل الاعتقاد من إيمان وكفر ونفاق هي أمور نفسية في المقام الأول.<sup>(١)</sup>

وإذا كانت بعض المرجعيات التي لا ترقى إلى مرجعية الإسلام قد أقنعت بافتراضاتها علماء النفس في الشرق والغرب يستندون إليها لتأسيس نظرياتهم وبناء الوجهة العامة التي تستوعب وتؤطر تلك النظريات ، فإن الباحث النفسي المسلم أحق منهم بعرض مكتسباته العلمية على مرجعيته الإسلامية بوصفها وحيًا من عند الله بل أنه أجدر من غيره بالبحث في العلوم النفسية لثراء المعلومات التي تمده بها هذه المرجعية المتميزة.<sup>(٢)</sup>

وكثيراً من علماء النفس في البلاد الإسلامية قد أدركوا في الآونة الأخيرة أهمية إيجاد علم نفس إسلامي فأخذوا ينقبون في القرآن

---

<sup>(١)</sup> محمد رشاد خليل : مرجع سابق - ص ٤٥ .

<sup>(٢)</sup> محمد عز الدين توفيق : التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية ، دار السلام للطباعة والنشر ، ط ١ ، القاهرة ، مصر ، ١٩٩٨ م . ص ٨ .

الكريم والسنة النبوية واجتهادات علماء المسلمين عما يسهم في بناء علم نفس إسلامي مرتبط بالثقافة الإسلامية . ومن هنا تأتي الحاجة

لقد أفسد علم النفس الحديث العلم بالنفس لأنه بنى هذا العلم على فلسفة التطور التي تتكر الخالق والخلق وتقول بالطبيعة المتطورة وأن التطور الإلحادي لأصل الإنسان والذي قال به التطويريون قد أصبح اليوم هو أساس جميع العلوم الإنسانية وغير الإنسانية هو بالتالي أساس علم النفس بجميع مدارسه سواء منها التحليلية أو السلوكية أو الجشتطالية.

ولعل علماء النفس الغربيين الذين يتبعون في بحوثهم المنهج الموضوعي التجريبي بعض العذر في عدم تعرضهم للجانب الروحي في الإنسان ؛ لأنهم لا يعرفون كيف يتناولونه بالبحث العلمي الموضوعي غير أن عجزهم عن تناول الجانب الروحي في الإنسان بالبحث العلمي لا ينبغي أن يؤدي إلى إغفال ذلك الجانب الروحي من الشخصية إغفالاً



تماماً في محاولاتهم فهم شخصية الإنسان وهذا الإغفال أدى بدوره إلى قصور واضح في فهمهم للإنسان فهماً صحيحاً.

لا شك أن المهتمين بالدراسات النفسية والإسلامية على السواء متفقون على أن ما تتضمنه العلوم الإنسانية من آراء ونظريات ليس فوق النقد ، وأنه لا يعدو أن يكون اجتهادات بشرية تخطئ وتصيب كما لا تغيب عنهم السلبيات الناشئة عن بعض هذه الآراء والنظريات النفسية بل أغلبهم على وعي بهذه السلبيات .

إن بتر جزء من أجزاء الشخصية ودراسته ومعاملته تجريبياً لا

يعنى أن النتائج

المتعلق بذلك الجزء يمكن تعميمها على بقية الشخصية في اكتمالها من قريب او بعيد .

إن أصحاب التحليل النفسى مثلاً لم ينجحوا في إثبات  
فرضياتهم رغم كثرة تفسيراتهم وتحليلاتهم عندما قسموا النفس إلى  
مجالات للشعور واللاشعور والأنا والهو والأنا العليا .

إن العلوم الإنسانية في الغرب تختزل الإنسان في أربع أبعاد هي :  
البيولوجى والنفسى والاجتماعى والجمالى وتتجاهل أهم بعد في  
الإنسان ألا وهو البعد الروحى ، وعلى افتراض التقدم الذى طرأ في  
ميدان علم النفس في المجتمعات الغربية ولئن حق للمجتمعات الغربية أن  
تقطف ثمار غرسها من علم النفس فليست هذه الثمار بالضرورة  
مستساغة لغيرها من المجتمعات ، إن علم النفس في الغرب مجموعة  
حقائق علمية مجردة ولما كان هنالك مصوغ للحديث عن ضرورة  
تأصيله في إطار ثقافى بعينه ولما كان هنالك فجوة كبيرة بين علم  
النفس في الغرب وفى المجتمع الإسلامى . ومعلوم أن كل العلوم هي  
حاضن وناقل لقيم الثقافة التى نشأت في كنفها .

وتولد لدينا نحن المسلمين احساس بالتلمذة والتابعة فهنا تبرز

الحاجة للتأصيل وهى حركة انتظمت كافة فروع العلم والمعرفة

الإنسانية .

لم يكن يهم الحضارة الغربية الرجوع إلى الجذور القرآنية التى

تمثل أساس علم النفس الإسلامى الأصيل ، أصالة الروح والنفس في

البدن ووجودها .. ولا غرو إذا وجدنا أن الله جل وعلا قد اعتنى في

كتابه المجيد تلك العناية كلها بالذات الإنسانية مبيناً مفهومها

ومدلولاتها وموضحاً ما يكتنفها من غموض ، والحقيقة أن تراجع علم

النفس القرآنى في كتابات وتفسير الأولين لم يكن متأتياً من قصور

في علم النفس ذاته أو علاجه بل كان لقصور في أقلام المفسرين

وباعهم الذى غالباً ما يقتصر على الفهم اللغوى والسرد التاريخى للعلوم

القرآنية من دون تحليل .<sup>(١)</sup>

---

<sup>(١)</sup> علاء الدين ناصر القبائجى : معالم علم النفس في القرآن الكريم ، مجلة النبأ ، العدد ٤٣ ، الاستشارات

النفسية والسيكولوجية ، الكويت ، ١٤٢٥ هـ ، ص ٢٤ .

علينا إذن أن نسعى جاهدين للبحث عن مفهوم شامل وكامل  
وواضح للنفس البشرية وصولاً إلى الحقائق التي لا جدال فيها ولا  
نتصور ذلك ممكناً إلا إذا رجعنا إلى الأصل أى النبع الفياض إلى  
القرآن الكريم كلام الله الذى لا يرتقى إليه عقل عالم أو فيلسوف  
مهما بلغ من علم ومعرفة ، لنستطيع بعد ذلك من تعريف النفس تعريفاً  
لم يصفه بشر عاجز ولا حس مريض ولا عقل ناقص وإنما وضعه الله  
الكامل الباقي الذى ليس كمثلته شيء والذى لا تبديل لكلماته ولا  
تغيير في آياته فهو الله تعالى العالم بخلقه وبجبال نفوس مخلوقاته  
وعالم النفس المعاصر الذى يريد حقاً أن يتعرف على حقيقة النفس  
البشرية ويسعى إلى حكم رشيد على الشخصية الإنسانية عليه أن يغير  
من وسائله وغاياته ويبدل نظرياته ليستطيع أن يفسر النفس تفسيراً  
صادقاً وسليماً ولن يتمكن من تحقيق ذلك إلا إذا اتبع منهجاً إسلامياً  
استقى مادته من علم الله ومن آياته البيّنات فالمنهج الإسلامى المتمثل  
في القرآن الكريم والسنة النبوية لديهما الإجابة الثابتة والواضحة بهذا  
الشأن لا يدع مجالاً للشك عند من يريد أن يصل إلى جوهر تلك

القضايا التي ما زال أغلبها غامضاً أو غائباً عن أذهان العلماء  
والباحثين في مجال الدراسات النفسية .

إن علماء المسلمين المتخصصين في دراسة النفس البشرية  
مدعوون إذاً لدراسة ما قدمه الإسلام من أمور عدة منها ما هي حلول  
ومعالجات لمشكلات تواجه هذا الإنسان .

فعلينا التأمل في خلق أنفسنا والتعرف عليها مما يقودنا إلى  
معرفة الله عز وجل فمن عرف نفسه عرف ربه ومن عرف ربه عمل ما  
يرضيه ومن أرضى ربه حظى بالدنيا والآخرة .

ويمكن القول إن ملامح شخصية الإنسان من منظور إسلامي  
يمكن أن يتطور ويتعمق ويصبح أكثر شمولاً ووضوحاً بالمزيد من  
الاستطراد والتعمق والاستشهاد بالقرآن والسنة والتراث الإسلامي  
الزاخر بأراء علماء وفلاسفة المسلمين عبر القرون حتى نخرج بنظرية  
تجسد الشخصية من منظور إسلامي .

إن فكرة المرء عن نفسه ومفهومه عن نفسه ومفهومه عن الآخرين التي تتميها الثقافة الغربية ويقوم عليها تحقيق الذات تتطوى على ربط النجاح والتفوق بقدرة الفرد على الأخذ بالأسباب التي توصله لما يريد ولا تربطه بمشيئة الله وتتطوى على ربط قيمة العمل بالمنفعة الفردية ولا تربطها بحكم الله فيها أحلال هي أم حرام؟ وهذا يجعل تحديد (تحقيق الذات) بالمفهوم السائد في المجتمعات الغربية لا يصلح للتطبيق في المجتمعات الإسلامية؛ لأن توجيهات الإسلام تتطوى على أن الإنسان خلق ليعبد الله ويعمر الكون وأن مصلحة الفرد من مصلحة الجماعة ومصلحة الجماعة من مصلحة الفرد.<sup>(١)</sup>

إن تحديد السلوك الذي يمكن أن نطلق عليه سلوكاً لا توافقياً وكذلك تحديد الأفراد الذين يمكن أن نطلق عليهم أفراداً

---

(١) كمال إبراهيم مرسى: تعريفات الصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس سلسلة المنهجية الإسلامية، ط ١، ج ٣، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرنندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٩٢م، ص ٢٣٥ - ٢٣٦.

غير متوافقين يعتمد أساساً على أحكام القيم النهائية للحسن والقيبح

(١).

إن علم النفس الحديث في الغرب أهمل الجانب الروحي للإنسان وهذه الحقيقة هي من أهم أسباب قصوره في كثير من الميادين . إن التجارب التي أجراها علماء الغرب على الحيوانات بقصد فهم سلوك الإنسان قد واجهت نقداً قوياً ؛ لأن ما تكسبه من ضبط قد تخسره في الاصطناع فليس الإنسان كالحيوان يستطيع إلغاء عقله وهو يخضع للتجريب وهنالك اعتراضاً أخلاقياً لهذا النوع من التجارب .

هذه الأسباب وهذه الأعراض أبرزت واقعاً يلخصه نجاتي بقوله : ( إن علم النفس وجميع العلوم الإنسانية الأخرى التي تدرس بالجامعات في البلاد الإسلامية هي علوم غربية في فلسفتها ووجهتها ، أسس نظرياتها علماء غربيون غير مسلمين على أساس نتائج بحوث ودراسات أجريت في مجتمعات غربية غير مسلمة لها أساليبها في التفكير

---

(١) روتر جوليان : علم النفس الأكلينيكي ، ترجمة عطية محمود ، دار الشروق ، ط٢ ، القاهرة ١٩٨٤ م ، ص

والحياة ولها فلسفتها الخاصة في طبيعة الحياة وفي طبيعة الإنسان  
ورسالته في الحياة وغايته منها ولها معاييرها في دور الدين في حياة  
الإنسان . (٢)

والظاهرة الفذة التي يمتاز بها الإسلام عن بقية الأديان والمذاهب أنه  
أوجب على المسلمين وجوباً كفايئاً تحصيل العلوم التي تنظم بها  
حياتهم كما أوجب عليهم وجوباً عينياً التفقه في شؤون دينهم العظيم  
إما اجتهاداً أو تقليداً فإن الجاهل به غيره معذور (٣).

إن الإسلام ربط الحق بالمنفعة ونرى ذلك في قوله تعالى :  
كذلك يضرب الله الحق بالباطل فأما الزيد فيذهب جفاءً وأما ما  
ينفع الناس فيمكث في الأرض (٤) ويؤكد ذلك قوله عليه السلام ( )  
الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها ( وبهذه العبقرية التي

---

(٢) محمد عثمان نجاتي: منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس ، بحث مقدم لندوة بعنوان نحو علم نفس إسلامي ،  
القاهرة ، ١٩٨٩م ، ص ١ .

(٣) باقر شريف القرشي : النظام التربوي في الإسلام - دار المعارف للمطبوعات - بيروت ، لبنان  
- ١٩٧٩م - ص ١٩٤ .

(٤) سورة الرعد - الآية ١٧ .



ينبوعها القرآن والسنة أثبتت حضارة الإسلام قدرتها على صهر الثقافات الثرية الأخرى في بوتقتها الإسلامية وأمامنا أمثلة تاريخية عديدة .

**للإجابة على السؤال الرابع:** ( ما الصعوبات التي تواجه علم النفس الإسلامي؟ )

هنالك جدلاً واسعاً يدور في أروقة المتخصصين في العلوم الحديثة حول ربط العلوم التجريبية بالإسلام وحول جدوى هذا الربط وحول علمية هذا الربط وأصل هذا الجدل راجع إلى الفصل غير العلمي الذي قام في الغرب بين الدين والعلم ذلك الفصل الذي حدث في الغرب لظروف خاصة بالغرب.<sup>(١)</sup>

إن المسلمين لا يزالون يمتلكون الخطاب الإلهي السليم دون سائر الأمم ، إن وضوح المفهومات والمصطلحات الإسلامية ومحاولة إشاعتها وإحيائها وإدراك دلالاتها يعتبر من الأمور المهمة في بناء

---

<sup>(١)</sup> محمد رشاد خليل : مرجع سابق ، ص ٣٦ .

المرجعية والتحسين الثقافى ؛ لأن هذه المصطلحات تشكل أوعية التفكير ، لذلك فأى تنازل عنها باسم الحداثة أو العصرية أو حتى مقاربتها بمصطلحات أو مفهومات أخرى هو تخل عن الذات وتوهين لقيم الأمة فى معركة الصراع الحضاري وعدول عن الانتماء إلى الارتواء والسقوط لصالح الآخر. (٢)

ومن التحديات التي تواجه القائمين على تأصيل المعرفة أن غالبيتهم اتبعوا منهجيات متباينة ذكرها نزار العاني على النحو التالي :

١. مزاجية بين العلوم المعرفية والإسلام والمزاجية هنا لا تعدوا محاولة جمع نقيضين إلى بعضهما .

٢. أو محاولة تصديق القرآن الكريم عن طريق العلم حيث وضع العلم الوضعي قاعدة لتفسير نصوص القرآن الكريم أو السنة النبوية لأنها تطابقت أو تطابقت نظريات أو مستجدات وضعية .

---

(٢) أحمد القديدي : الإسلام وصراع الحضارات ، ط ١ ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، سلسلة كتاب الأمة ١٩٥٥م ، ص ٢٢-٢٣ .

٣. النكوص إلى التراث وتعظيمه والوقوف عنده تماماً وأسلمه المعرفة مفهوم معاصر يراد له أن ينهل من التراث ما يفيدده وخاصة في فهم النصوص وتعليها .

٤. ردة الفعل العنيفة ضد العلم الوضعي ووصم كل الناتج العلمي العلماني بالكفر والإلحاد .

٥. نجد أن الناتج البحثي عبارة عن ترجمة العلوم وترديفها ببعض الآيات القرآنية والأحاديث الكريمة وإصاقها بها عن علم وغير علم ليقال أن هذا الكتاب أو هذا البحث إسلامي النزعة والتوجيه والقصد .

٦. الإنكفاء على التأطير النظري فحسب والإطار النظري من الأهمية بمكان ولكنه يجب أن يستند على قواعد ومرتكزات واضحة أولاً وخصائص ومعايير متفق عليها ثانياً.

٧. لي عنق بعض الآيات والأحاديث الكريمة وبعض النصوص في الفكر الإسلامي ليطباق النظريات العلمية الحديثة .

٨. الخلط بين مفهومي ( أسلمة المعرفة ) و (التنصير والتغريب ) أي الوقوف بوجه التنصير والتغريب أو ما يدعى أحياناً بالغزو الفكري<sup>(١)</sup>

ويمكن تمييز عدة فئات بين المعارضين لمشرع إسلامية المعرفة ينتسب بعضها إلى الدوائر الإسلامية وبعضها إلى الدوائر العلمانية وأخرى محسوبة على اليسار والبعض الآخر من الصحفيين والكتاب الذين لم يطلعوا على أدبيات أسلمة المعرفة. إن موضوع أسلمة علم النفس يكتنفه كثير من الصعوبات والتحديات فهو بحاجة أولاً إلى تعمق في مواد علم النفس الغربي ومناهجه وممارساته وتحتاج ثانياً إلى إلمام عام بالإسلام نفسه وبأصوله ومصادره الأساسية وتحتاج ثالثاً إلى تفكير ابتكاري خلاق وقدرة على الربط بين مقاصد الدين وما هو مقبول في علم النفس الغربي بمناهجه وميادينه وممارساته دون تفريط أو إفراط. رابعاً تحتاج إلى تمحيص محتوى كتب علم النفس الغربية

---

(١) نزار العاتي : مرجع سابق ، ص ١٢٢-١١٣.

والتي نقلت إلى اللغة العربية وفرضت تدريسها في جامعاتنا ومعاهدنا العليا.

وعزا المقدادي قلة إنجازات مشروع أسلمة المعرفة خاصة في علم النفس إلى عدم التمكن العالي من التخصص وغياب الدرجة العالية من التقوى التي يفتقدها الكثيرون وعدم الاتفاق على منهج موحد والاختلافات الفكرية داخل المدرسة الواحدة كما يضيف لذلك عدم العمل الجماعي والاعتماد على الفردية كما يضيف عائقاً آخر هو الحاجز اللغوي المتمثل في معرفة اللغة العربية وإجادتها<sup>(١)</sup>

إن محاولة أسلمة علم النفس أو تأسيس علم نفس إسلامي قد يتبناه الرافضون تماماً لعلم النفس بالمنظور الغربي وأكثرهم من غير المتخصصين في علم النفس أو من المتخصصين النفسانيين الذين تبناوا مفهوم التأصيل الإسلامي لتخصصهم بجدية وإخلاص ، وهناك فريق

---

(١) أحمد عبد الرحيم نصر : إسلامية المعرفة ، الحاجز اللغوي ، مجلة تفكر ، معهد إسلام المعرفة ، المجلد ٩ ، العددان ( ٢-١ ) جامعة الجزيرة ٢٠٠٨ م ، ص ٥٧-٥٨ .

ثالث يتكون من أوَّلئك المتخصصين الذين آثروا أن يسايروا هذا الفكر الإسلامى المسيطر دون اقتناع حقيقى بالأسلمة .<sup>(٢)</sup>

وفى علم النفس الإسلامى دعوة صادقة إلى التعمق فى طبيعة الإنسان البشرى من حيث أثره ووظيفته فى الحياة الدنيا ومن هنا وجب على دارس العلوم الإنسانية على وجه العموم وعلم النفس على وجه الخصوص أن يتفهم الطبيعة الإنسانية للنفس البشرية حتى تتطلق دراسته عن فهم واقعى وصحيح وشامل للنفس البشرية .

إن أزمة علم النفس فى العالم العربى والإسلامى فى رأى أبو حطب ( صنعها علماء النفس المسلمون أنفسهم ولا يلام علماء النفس الغربيون إن وجهوا علم النفس لتحقيق مصالحهم وأهدافهم والملمون هم الذين وضعوا أنفسهم فى شرك التبعية العلمية).<sup>(٣)</sup>

---

(٢) مالك بدرى : مرجع سابق ، ص ٣٥٩ .

(٣) فؤاد أبو حطب : نحو وجهة إسلامية لعلم النفس ، بحث مقدم إلى ندوة علم النفس الإسلامى التى نظمها المعهد العالى للفكر الإسلامى بالاشتراك مع الجمعية العربية للتربية الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٨٩ م ، ص

للإجابة على السؤال الخامس: (ما هي طبيعة العلاقة بين علم النفس  
وعلم النفس الإسلامي؟)

إن الحكم المتسرع على منجزات فكرية هامة وتقديمها عن طريق التهكم الجاهل أو الإلغاء المباشر والسريع للآخر كل هذا من شأنه أن يضعنا في عزلة عن العالم وحركة الحياة فيه فالعقل الإسلامي المتفتح يرى من واجبه أن يجري اتصالاً وحواراً مع الحضارات الأخرى قائماً على الاحترام المتبادل و أدب الاختلاف ولا بد لهذا الحوار أن يؤتي ثماره في صياغته أفكار إسلامية غير منعزلة وذات طابع علمي وعلى الكتاب المسلمين أن لا يضيّقوا بآراء وأفكار غيرهم .

والقاعدة الإسلامية في مثل هذه الحالات هي أن نأخذ الحكمة أينما وجدت ولكي نأخذ الحكمة من غيرنا يجب أن نتحرر من بعض الأوهام وأن نتأدب بأدب الإسلام والعلم والحوار حتى نستطيع بناء عقلية مرنة قابلة للاستفادة من منجزات المعرفة الحالية .

إن النتاج العلمي الغربي ليس كل ما فيه أو نتج عنه لا يصلح  
لنا ولا يعني أننا عندما نريد أن نقدم بديلاً حضارياً عالمياً جديداً فإننا  
يجب أن نبدأ من الصفر ولكن يمكن أن نبدأ مما وصل إليه العلم  
الحديث من إنتاج العقل الغربي من دون المتعارض مع الفكر الإسلامي

إن معرفتنا للأسس التي قام عليها علم النفس وموضوعاته  
ومحتوياته يساعدنا على تحديد ما يتلاءم مع عقائدنا ويتواءم مع أسس  
فكرنا الإسلامي وأغراضنا ومبادئنا وقيمنا ويمكننا أن نستفيد منه  
ويساعدنا على تحديد ما لا يمكن أن يتلاءم منها فنرفضه  
ونعمل على تغييره  
أو تعديله .

يلخص أبو حطب واقع العلاقة بين الغرب والعالم الثالث في  
مجال الدراسات النفسية في مجموعة من النقاط نلخصها فيما يلي :



١. علاقة الاستيراد والتصدير التي تتم من جانب واحد دائماً .
٢. الاعتماد المعرفي على الغرب ( نظريات ونماذج ومنهاج واختبارات ونتائج )
٣. قطع الصلة بالتراث الثقافي واعتبار القديم عائقاً عن التقدم .
٤. انتشار البدع الثقافية في العلم ( معظم التراث الغربي المستورد لم يتم اختياره على ضوء الحاجات القومية والثقافية).
٥. كف التفكير الإبداعي وانتشار التكرار في أبحاث الماجستير والدكتوراه لما قاله علماء الغرب على حساب المشكلات الجوهرية التي تعاني منها البلاد النامية ناهيك عن ظواهر الادعاء والتزوير والسرقة .
٦. الاغتراب وفقدان الهوية الثقافية .
٧. فقدان الهوية المهنية ( الخلط بين الأخصائي النفسي والأخصائي الاجتماعي وطبيب الأمراض العقلية ) . إضافة إلى أن ما يدرسه

الأخصائي النفسي لا يكفي للتأهيل ويعزي أبو حطب من وجهة نظرة قيام هذه الأمة بأن من صنعها هم علماء النفس لتحقيق مصالحهم وأهدافهم والموم هم الذين وضعوا أنفسهم في شرك التبعية العلمية<sup>(١)</sup>

وهذا لا يعني بالضرورة رفض كل نظريات علم النفس الغربي جملة وتفصيلاً بل يمكن لعلم النفس الإسلامي الاستفادة من نظريات علم النفس تلك غاية العلوم الشرعية تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية في تزكية النفوس ووقايتها من الانحراف وعلاج انحرافها فالإسلام منهج لهداية الناس إلى السعادة في الدنيا والآخرة قال تعالى : ( فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى )<sup>(٢)</sup>

وغاية العلوم الشرعية هي نفسها غاية علم النفس الحديث ولكن اختلفت الوسائل واتفاق العلوم الشرعية مع علم النفس في هذه الغاية جعل الكثير من الموضوعات النفسية تتدخل ضمن موضوعات

---

(١) فؤاد أبو حطب : مرجع سابق ، ص ٣٠ - ٣١ .

(٢) سورة طه - الآية ١٢٢ .

العلوم الشرعية وجعل الكثير من العلماء والفلاسفة المسلمين المهتمين بعلم النفس يبحثون وينقبون عن هذا العلم الجديد وهو جديد في مظهر قديم في جوهره فإذا كانت الرسالة المحمدية قد أخرجت الناس من الظلمات إلى النور فكل ما يرتبط بهذه الرسالة هو طوق نجاة للإنسانية جمعاء .

إن الحوار الحضاري سنة من سنن الله في الكون له مقوماته وآلياته وأدواته وأهدافه وغاياته وأسلحته المتعددة فإن فهم إدارة الحوار وكيفية التعامل معه لا يقل أهمية عن امتلاك أدواته<sup>(١)</sup>

إن تأسيس علم نفس إسلامي على أسس ومنطلقات وممارسات إسلامية وربطه بمنهج الحياة الإسلامية أمر محبب وليس معنى ذلك رفض النظريات الغربية في علم النفس الحديث جملة وتفصيلاً ولكن يحكم عليها في ضوء العقيدة والفلسفة والشريعة الإسلامية.

---

(١) أحمد القديدي : مرجع سابق ، ص ٢٩-٣٠ .

إن الاختلاف بين علم النفس الإسلامى وعلم النفس الغربى يعود إلى أن الأول مع الإنسان المخلوق والأخير يتعامل مع الإنسان الطبيعى لذا فإن النفس مختلفة في العلمين إلا أن ذلك لا يعنى عدم وجود نقاط التقاء وإنما يعنى وجود فوارق سببها اختلاف نوع العلم المتاح في كل منها .<sup>(٢)</sup>

ويتبادر إلى الأذهان سؤال مفاده هل ينقطع الحوار بين علم النفس من المنظور الإسلامى وعلم النفس المعاصر؟ ليس هناك ما يدعو للاعتقاد بأن القطيعة بين المنظرين حتمية فاللغة النفسية مشتركة والإجراءات التجريبية والبحثية هى أدوات للمعرفة التى لا غنى عنها لعلم النفس أياً كانت تربته الثقافية بل من المتوقع أن يتهياً لعلماء النفس الغربيين فرصة لكى يروا صوراً للظواهر النفسية التى ليس لهم بها عهد.

---

<sup>(٢)</sup> محمد رشاد خليل : مرجع سابق، ص ١١٤ - ١١٥ .

أما الحوار الحضاري أو الحوار مع الآخر وإتاحة الفرصة لتوسيع دائرة التفاهم وإبلاغ رسالة الإسلام إلى العالم وإيصال دين الله بأفضل الوسائل والمجادلة بالتالي هي أحسن مع مراعاة أدب الحوار وشرائطه فهو من الفروض الشرعية الكفائية التي تعتبر من مسؤولية الأمة جميعها ، إن الحوار مع الآخر وإتاحة الفرصة لتبادل الرأي للوصول إلى قناعات معينة أو للوصول إلى صيغ مشتركة للتفاهم والتعاون هو مطلب إسلامي وإحدى وسائل الدعوة والبلاغ المبين إذا توفر للحوار شروطه

إن معرفتنا بما عند الأمم الأخرى بأحوالها وتاريخها وتجاربها وأفكارها وعقائدها هو أمر ضروري لدعوتها للإسلام فالإسلام عالمي الخطاب وهم أمة الدعوة على كل حال فكيف يمكن أن يكون خطابنا الذي نحمله عالمياً ولا نفهم ما عند العالم .

إن الحوار الحضاري هو سنة من سنن الله في الكون له مقوماته وآلياته وأدواته وأهدافه وغاياته وأسلحته المتعددة فإن فهم

إدارة الحوار وكيفية التعامل معه لا يقل أهمية عن امتلاك أدواته ،وقد يكون من المفيد هنا أن نشير إلى أن الصراع أو التدافع أو التداول أو الحوار الحضاري سنة اجتماعية من سنن الله تعالى وقوانينه التي لا تتخلف ولا تتبدل.<sup>(١)</sup>

وإذا كانت الظروف التي أحاطت بالأمة الإسلامية قد فرضت عليها في فترة من الفترات تقليد ما جاء به الغرب فإننا يجب أن نعود اليوم إلى الأصول الثابتة التي يحفل بها ديننا الإسلامية ولا يعني ذلك أننا نعلن الحرب على الحضارة الغربية لأننا إذا أعلنها عليها إنما نعلنها في الواقع على أنفسنا وعلى مستقبل أمتنا وإنما نحن ندعو إلى تطويع هذه الحضارة لتتناسب واقعنا وبدون هذا التطويع ستتحوّل هذه الحضارة - كجسم غريب - إلى عبء علينا كما هي اليوم بالفعل بعد أن كان مفروضاً أن تكون عوناً لنا.<sup>(٢)</sup>

---

(١) أحمد القديدي : مرجع سابق - ص ١٠ .

(٢) عبد الغني عبود : التربية الإسلامية والقرن الخامس عشر الهجري - دار الفكر العربي - القاهرة - ١٩٨٢م ، ص ٦ .

فالنظر في عند الآخرين والانتفاع به والأمة بما لها من سابقة حضارية يمكن أن نقول بأنها تمتلك الإمكان الحضاري وخميرة النهوض .

والحق أن الأمة لا تحرص على أصالتها ولا تحافظ على مميزاتها ولا تعني بالإبقاء على الصالح من عاداتها وتقاليدها أمة يصعب عليها ان تبقى ناهيك أن يكون لها شأن ومكان ومساهمة في الحضارة العالمية ، وهو يدعو إلى استيعاب لغة العصر وثقافته بالعلم والدين معاً ، إذ لا يمكن العيش على الفكر الغربي كاملاً بدون الاهتمام بمشكلات الواقع الإنساني المعاش كما صورها الدين الإسلامي وتدخل العلم في دراسة بعض جوانبها .<sup>(١)</sup>

---

<sup>(١)</sup> أحمد فؤاد باشا : فلسفة العلوم بنظرة إسلامية - دار المعارف - القاهرة - ط ١ - ١٩٨٤م

وحتى يمكن أن ننمي في كياننا طاقات المعرفة وقدرات

الإبداع لا بد لنا من استيعاب المعارف الحديثة هضمها وتمثل طاقاتها

المبدعة بشكل

سليم .<sup>(٢)</sup>

فتأصيل منهج فهم السنة وسبل الاستفادة منها في بناء الثقافة

والحضارة الإسلامية المعاصرة أمر ضروري .

بالرغم من وجود هذا المنهج الذي ارتضاه الله لنا بين أيدينا ،

والسبب في ذلك هو أننا نكتفي بالنقل عن الآخرين ولا نريد أن نسهم

في الإبداع الحضاري بنصيب يتناسب مع مجدنا ومكانتنا في تاريخ

العلم والحضارة .

وهذا يوضح أهمية تأصيل ثقافتنا الإسلامية والاسترشاد بها في

تدريس العلوم المختلفة ، لأنها إكسير الحياة للأمة والمجدد والدائب

---

<sup>(٢)</sup> الوجيز في إسلامية المعرفة : سلسلة إسلامية المعرفة - المعهد العالي للفكر الإسلامي -



لطاقتها والباعث لها علي المشاركة في مقومات العصر كلها ، مع  
الحفاظ علي إنسانية الإنسان<sup>(٣)</sup> .

إن المسلمين اليوم ما يزالون يمتلكون الخطاب الإلهي السليم دون  
سائر الأمم يمتلكون معرفة الوحي .

فلا بد من جعل الوحي ( القرآن والسنة ) يتحول في حياتنا إلى طاقة  
متحركة .

لقد لجأ كثير من الفقهاء والمفكرين المسلمين منذ القرن الماضي  
وخصوصاً مع بدايات التغلغل الغربي الثقافى والتعليمي إلى العالم  
الإسلامي إلى الفتوى والدعوة إلى تكوين سياج من الحماية والتفوق  
والعزلة درءاً لمخاطر هذا التغلغل الذي لم يملك المسلمون آنذاك البنى  
أو المؤسسات الدفاعية لمواجهة أو الحد من تأثيره فكانت الدعوة إلى  
الحماية الذات وتربيتها بعيداً من كل المؤثرات الخارجية<sup>(٤)</sup>

---

(٣) أحمد فؤاد باشا : مرجع سابق

(٤) طلال عتريسي : مرجع سابق ، ص ٣٨٦ .

وعليه نحن مع من يدعو إلى استيعاب لغة العصر وثقافته بالعلم والدين معاً إذ لا يمكن العيش على الفكر الغربي كاملاً بدون الاهتمام بمشكلات الواقع الإنساني المعيش كما صورها الدين الإسلامي<sup>(٢)</sup> والفكر الإسلامي حين يتفتح على المعاصرة لا ينسي أبداً قيمته وذاتيته التي لا تذوب أو تتصهر في معرض النقل والاقتراس فالأصالة لاتحد من المعاصرة والتجديد<sup>(٣)</sup>

### النتائج :

١ / تعددت مسميات التأصيل الإسلامي للمعرفة فمنها (أسلمة العلوم) و(إسلامية المعرفة) و (التوجيه الإسلامي للعلوم) أو (توجيه العلوم الإنسانية وجهة إسلامية) ومن هذه العلوم علم النفس بكل فروعته والذي انبثق من أصول الإسلام ومفاهيمه العقدية وقد ظهر هذا المفهوم في نهاية القرن العشرين .

---

(٢) أحمد فؤاد باشا : مرجع سابق، ص ١٨ .

(٣) أنور الجندي : مرجع سابق ، ص ١٩

٢ / تباينت مواقف العلماء المسلمين من العلوم الغربية فمنهم من وقف منها موقفاً سلبياً وآخرين دعوا إلى التغريب والأخذ بكل أسباب الحضارة الغربية خيرها وشرها وفئة ثالثة دعت إلى التوفيق بين الحضارتين وهنالك فئة رابعة تدعو إلى الاحتفاظ بما جاء في الكتاب والسنة والاستفادة من إنجازات الغرب التي لا تتعارض مع الدين وبذلك تعددت المواقف .

٣ / نتيجة للتخبط الذي وقع فيه علماء النفس الغربيين في فهم النفس البشرية والأساليب القاصرة في فهم تلك النفس والفلسفة الخاطئة التي انتهجتها استدعى كل ذلك إلى تبني إسلامية المعرفة ؛ لأن الوحي مصدر من مصادر المعرفة .

٤ / تواجه علماء النفس المسلمين عدة أمور منها عدم المزاولة بين العلوم المعرفية والإسلامية وتعظيم التراث وعدم تعمق علماء المسلمين في مواد علم النفس الغربي وجهل البعض منهم بالمفهوم الإسلامي .

٥ / إن النتاج الفكري الغربي ليس كل ما فيه لا يصلح لنا بل علينا معرفة الأسس التي قام عليها علم النفس وموضوعاته ومحتوياته كل ذلك يساعدنا في معرفة وتحديد ما يتلائم مع عقيدتنا لذلك لا يعني بالضرورة رفض كل نظريات علم النفس الغربي وأن يظل الحوار الحضاري أو الحوار مع الآخرين قائماً وتوسيع دائرة التفاهم وإبلاغ رسالة الإسلام إلى العالم وذلك بأفضل الوسائل مع مراعاة أدب الحوار وإتاحة الفرصة لتبادل الرأي للوصول إلى تفاهم وتعاون مشترك في ضوء العقيدة الإسلامية .

## التوصيات :

- ١ - قيام كيان لتوحيد الرؤى بين علماء المسلمين في تبني الدعوة لقيام علم نفس إسلامي.
- ٢ - نشر ثقافة الحوار مع الحضارات الأخرى .
- ٣ - العمل على تأصيل وأسلمة فروع المعرفة الأخرى .
- ٤ - العمل على نشر مفهوم تأصيل وأسلمة المعرفة عبر وسائل الإعلام المختلفة .
- ٥ - توضيح أساتذة علم النفس لطلابهم بالجامعات لبعض الآراء أو المدارس الفكرية ومدى تطابقها أو تنافرها مع التوجه الإسلامي .
- ٦ - الانتفاع من الإنتاج العلمي والمعرفي الغربي باعتباره إنتاجاً بشرياً وهو ملك مشاع للجميع .
- ٧ - الانفتاح على الغرب بقصد عكس ثقافتنا وهويتنا للشعوب الأخرى .

## المقترحات :

- ١ / إجراء دراسات في التأصيل لبعض المفاهيم في علم النفس .
- ٢ / إجراء دراسات مقارنة بين كتابات الفلاسفة والعلماء المسلمين في العصور السابقة عن النفس .
- ٣ / إجراء دراسات لإثبات سبق العلماء المسلمين في التطرق لمعرفة النفس في كتاباتهم .
- ٤ / القيام بدراسات بحثية في المفاهيم النفسية الحديثة بقصد اسلمتها .
- ٥ / القيام بدراسة عن كيفية وضوابط التأصيل الإسلامي .

المصادر و المراجع:

- ١- القرآن الكريم
- ٢- الاحاديث النبوية
- ٣- أحمد الجرموزي : شخصية وقدرات عقلية ، مركز التربية للنشر - صنعاء .
- ٤- أحمد القديدي : الإسلام وصراع الحضارات ، ط١ ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، سلسلة كتاب الأمة ١٩٥٥م .
- ٥- أحمد عبد الرحيم نصر : إسلامية المعرفة ، الحاجز اللغوي ، مجلة تفكير ، معهد إسلام المعرفة ، المجلد ٩ ، العددان ( ١ - ٢ ) جامعة الجزيرة ٢٠٠٨م .
- ٦- أحمد عزت راجح : أصول علم النفس ، ط١٠ ، المكتب الحديث ، القاهرة ، ١٩٧٦م .
- ٧- أحمد بن تيمية الفتاوي : ج ١٠ - جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد العاصمي النجدي - ط١ - الرياض - ١٣٨١هـ .

- ٨- أنور الجندي : قضايا العصر ومشكلات الفكر تحت ضوء الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٤م .
- ٩- أحمد فؤاد باشا : فلسفة العلوم بنظرة إسلامية - دار المعارف - القاهرة - ط١ - ١٩٨٤م .
- ١٠- الوجيز في إسلامية المعرفة : سلسلة إسلامية المعرفة - المعهد العالي للفكر الإسلامي - ١٩٨٧م .
- ١١- باقر شريف القرشي : النظام التربوي في الإسلام - دار المعارف للمطبوعات - بيروت ، لبنان - ١٩٧٩م .
- ١٢- روتر جوليان : علم النفس الأكلينيكي ، ترجمة عطية محمود ، دار الشروق ، ط٢ ، القاهرة ١٩٨٤م .
- ١٣- طه جابر العلواني : الأزمة الفكرية المعاصرة تشخيص ومقترحات وعلاج ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي - واشنطن - ١٩٩٣م .



١٤- طلال عتريسي : ضالة المؤمن بين أسلمة المعرفة وعلوم

الغرب - مجلة باحثات - العدد الثالث - المركز اللبناني

للدراسات - بيروت - لبنان - ١٩٩٧م

١٥- شرف الدين على الطاهر: تأصيل المعرفة أسسه

وأهدافه ، مجلة التأصيل - العدد السادس - الخرطوم -

١٩٩٨م.

١٦- صالح سليمان العمرو : التأصيل الإسلامي لفلسفة

التربية - معهد البحوث العلمية - جامعة ام القرى - السعودية

- ١٩٩٩م.

١٧- عبد الغني عبود : التربية الإسلامي والقرن الخامس

عشر الهجري - دار الفكر العربي - القاهرة - ١٩٨٢م.

١٨- عبد الكريم عثمان : معالم الثقافة الإسلامية ،

مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٢م.

١٩- علاء الدين ناصر القبانجي : معالم علم النفس في

القرآن الكريم ، مجلة النبأ ، العدد ٤٣ ، الاستشارات

النفسية والسيكولوجية ، الكويت ، ١٤٢٥هـ .

٢٠- فتحي حسن ملكاوي : حوارات إسلامية المعرفة عرض

وتحليل - مجلة إسلامية المعرفة - المعهد العالمي للفكر

الإسلامي - السنة السابعة - العدد الخامس والعشرون -

٢٠٠١م .

٢١- فؤاد أبو حطب : نحو وجهة إسلامية لعلم النفس ، بحث

مقدم إلى ندوة علم النفس الإسلامي التي نظمها المعهد العالمي

للفكر الإسلامي بالاشتراك مع الجمعية العربية للتربية

الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٨٩م .

٢٢- كمال إبراهيم مرسى : تعريفات الصحة النفسية في

الإسلام وعلم النفس سلسلة المنهجية الإسلامية ، ط١ ، ج٣ ،

المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، هيرندن ، فرجينيا ،

الولايات المتحدة الأمريكية ، ١٩٩٢م .

٢٣- ماجد عرسان الكيلاني : تطور مفهوم النظرية التربوية

الإسلامية - دار التراث - ط٣ - المدينة المنورة - ١٩٨٧م .

٢٤- مالك بدرى : علم النفس الحديث من منظور إسلامى ،

سلسلة المنهجية الإسلامية ، ج٣ ، المعهد العالمى للفكر

الإسلامى ، ط١ ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، هيرندن ،

فرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية ، ١٩٩٢م .

٢٥- محمد أبو القاسم حاج حمد: إسلامية المعرفة ،

المفاهيم والقضايا الكونية ، معهد إسلامية المعرفة، مجلة

تفكر ، المجلد ٣ ، العدد ٢ ، ٢٠٠١م

٢٦- محمد المبارك : الفكر الإسلامى الحديث في مواجهة

الأفكار الغربية ، دار الفكر ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٧٢م .

٢٧- محمد عطا مدني : تصميم حقيبة تعليمية وإنتاجها حول

بعض المفاهيم في الجغرافيا الطبيعية للصف الأول الثانوي في

ضوء آيات من القرآن الكريم ، رسالة دكتوراه غير منشورة ،

جامعة الخرطوم - ٢٠٠٠م .

٢٨- محمد عمارة : أزمة الفكر الإسلامي الحديث ، دار

الفكر ، ط ١ ، بيروت - لبنان - ١٩٩٨م .

٢٩- محمد رشاد خليل : علم النفس الإسلامي العام والتربوي

، دار القلم ، ط ١ ، الكويت ، ١٩٧٨م .

٣٠- محمد عز الدين توفيق : التأصيل الإسلامي للدراسات

النفسية ، دار السلام للطباعة والنشر ، ط ١ ، القاهرة ، مصر

، ١٩٩٨م .

٣١- محمد محمود محمد : علم النفس المعاصر في ضوء

الإسلام ، دار الشروق للطباعة والنشر ، ط ١ ، جدة ،

المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٤م .

٣٢- محمد عثمان نجاتي : منهج التأصيل الإسلامي لعلم

النفس ، بحث مقدم لندوة بعنوان نحو علم نفس إسلامي ،

القاهرة ، ١٩٨٩م .

٣٣- مقداد يالجن : سياسات التأصيل والتوجيه الإسلامي

للعلوم والمعارف والفضون - دار عالم الكتب للطباعة والنشر -

ط١ - الرياض /السعودية - ١٩٩٦م.

٣٤- منير شفيق : الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات ،

دار النشر ، بيروت - ١٩٩١م .

٣٥- نزار العاني : محددات أولية لمنهجية أسلمة المعرفة -

مجلة التجديد - السنة الثانية - العدد الثالث - الجامعة

الإسلامية العالمية بماليزيا - ١٩٩٨م .

٣٦- نعمان جفيم : نظريات الفقه الإسلامي منهجية الاجتهاد

، مجلة إسلامية المعرفة ، المعهد العالي للفكر الإسلامي ،

السنة الرابعة ، العدد الرابع عشر ، واشنطن ، ١٩٩٨م.

٣٧- هاشم جاسم السامرائي : علم النفس الإسلامي ، ط١

، مركز عبادي للدراسات والنشر ، صنعاء ، اليمن .

